Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

دائرة معارف القرآن الكريم

الشيخ حسن السعيد

959

مكتبة چهل ستون العامة ومدرستها
تاسيس الشيخ حسن النعيمي
في المسجد الجامع بطهران

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد رسوله الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين. ونقدم تحياتنا الحاره بمناسبة رسول الاسلام نبي الرحمه وحفيده الامام الصادق عليهم السلام الى العالم الاسلامي وندعوالهم العزة.

وبعد، فالى محققى كتاب الله العزيز نعلن: بان مكتبة چهل ستون العامة، قد باشرت بتأسيس دائرة معارف خاصة بالقرآن الكريم...

و معلوم، بان مثل هذا العمل القيم ، هومن الاعمال المهمة، التى هى بحاجة الى مؤازرة جميع من يعينه امر القرآن.

وبالتالى فنحن بصدد جمع كل ماكتب - بحدود المستطاع - حول الكتاب الفرقان، و رسول القرآن، من لدن نزوله و حتى الان، علماً بان المكتبة مستعدة لدفع ماينا سبه المقام و ماهوتحت يدالامكان.

لذا، نهيب بكل من له علاقة بالقرآن، ان يساهم بدوره معنا بما يتحفنا، من توجيه اومقالة او بحث اوای مجهود آخر يعلى من كلمة القرآن.

والله من وراء القصد؟

١٧٧

اقرؤاالقرآن واستظهروه فانالله تعالى
لايعذب قلباً وعىالقرآن

الامام الصادق (ع)

مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٩٤

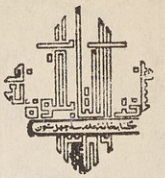

دائرة معارف القرآن الكريم

خزانةالقرآن الكريم
«گنجينه قرآن كريم»

اعداد
الشيخ حسن السعيد

Daftar
inv.#72/6/1220

(RECAP)
BP133
.D347
1987

الكتاب: دائرة معارف القرآن الكريم

تأليف: جمع من المحققين والاساتذة

اعداد: الشيخ حسن السعيد

الناشر: مدرسة چهل ستون و مكتبتها العامة مسجد جامع طهران ٥٦٩١٩٤

التعداد: ٢٠٠٠ نسخه

الطبعة الاولى: مولد النبى وامام الصادق عليهما السلام سنة ١٦٠٨

المطبعة: خوشه

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL
2101 02955

الموضوعات

الاهداء	هيئة دائرة معارف القرآن الكريم
منهجنا	للشيخ حسن السعيد
صورة من القرآن الكريم لابن البواب	للشيخ حسن السعيد
الشيعه وعملاء الاستعمار	للشيخ حسن السعيد
القرآن ومعجزة الاديان خالد خلود الزمان	للشيخ حسن السعيد
حول الوحدة الاسلامية	للاستاذ محمد الغزالى المصرى
عصمة الائمة	للاستاذ العلامة المحقق الطباطبائى
وجوب نصب الامام	لاية الله المظفر مؤلف دلائل الصدق
عصمة اولى الامر	للمحقق العسكرى
صيانة القرآن عن التحريف	لاية الله العظمى الخوئى زعيم الشيعه
حول البسمله	للاستاذ المحقق عبدالحسين محمد على بقال

الاهداء

يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة

الى من نزل القرآن على صدره والى آله المعصومين الامناء على وحيه والولاة لامره سيما بقية الله في الارضين ارواحنا فداه الذين بذلوا مهجهم في سبيل حفظ كيان الاسلام والمسلمين وتبيين مفاهيم القرآن الكريم وحل غوامض الامور و بيان احكام الدين القويم.

الى من يسير بسيرتهم الالهيه في بقاء كتابه و شرعه و آدابه و اخلاقه على اساس الكتاب والسنة.

الى من ربانا بهذه التربية السماوية وارشدنا الى سواء السبيل.

الى من ساعدنا في هذا النهج في ابعاد مختلفه جعلنا الله واياهم ممن تمسك بالقرآن والعترة واعاذنا الله من شرور انفسنا.

بسمه تعالى

منهجنا:

ومالنا ان لانتوكل على الله و قدهدينا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا و على الله فليتوكل المتوكلون «ابراهيم ١١»

انباء مولمة وصلتنا من انحاء مختلفة باشكال متفاوتة وكلها تحكى عن موجات شديدة فى العالم لايجاد الخلاف والعناد واهتمام المستعمرين والمستكبرين و الملحدين على ضد الاديان الالهية سيما الاسلام وبالاخص الشيعة الاماميه وانهم يهتمون بتزلزل عقائد الناس والقاء الشبهات ليتسلطوا على الملل والشعوب عند تزلزلهم فى جميع شئونهم وعقائدهم مع عدم نقطة الاتكاء لهم ومع الاسف الشديد ان من لهم قدرة على دفع هذه الكارثة المهيبه، غير متوجهين الى هذا الامر وفى كل امة يتفكرون بصورة جدية فى مسائل الاقتصادية والسياسيه والاجتماعية ولكنهم غافلين ان الاساس لبناء المجتمع القيم الذى لايزال قوياً فى جميع شئونه و مزاياه انما هو الارتباط مع الله العلى القدير الذى يتوكل عليه المؤمنون فى مجالات الحياة ولاقيمة لماسواه وفى هذا الظرف العصيب رأينا ان النجاة من هذه الاهوآء المتشتته والمشارب المختلفة التى انتشرت فى جميع الطوائف والملل التأسى بالنبى الاعظم فى بيان الصراط المستقيم الذى بينه الخالق الكريم واوضحه فى كتابه العزيز وارشدنا الى مفاهيمه واصوله الرسول العظيم والائمة المعصومين و حيث ان الطغاة من عصر النبى الى يومنا هذا و من يومنا الى يوم البعث دائماً يشتغلون بايجاد اجواء مظلمة لستر الحق واسواق ملتويه لجلب النفوس، واما العلماء الاعلام رضوان الله عليهم فى طول الزمان ماغفلوا و ماسكتوا و دائماً كانوا يشتغلون بدفع الاوهام و رفع الشبهات عقلا و نقلا على اساس الكتاب والسنة طبقاً لما استفادوا من سيرة النبى العظيم والائمة المعصومين ونحن ايضاً نسير بسيرتهم ونأخذ من مقالاتهم و كتبهم مع ذكر تلك الشخصيات الممتازة فى العالم و ملقيها اذ بعد ثبوت طريقة الحق لاتبقى لاهل الانصاف والتحقيق شبهة واشكال بل يؤمنون على اساس لايقبل التزلزل والابهام، والفضل لهم وانما ننشرها بصورة جالبة موجزة ليتمكن المتفكر من مطالعتها ولانبالى اذاً بمايؤذوننا فى اشكال مختلفة بل نصبر على ذلك ونتوكل على الله و من يتوكل على الله فهو حسبه نعم المولى ونعم النصير

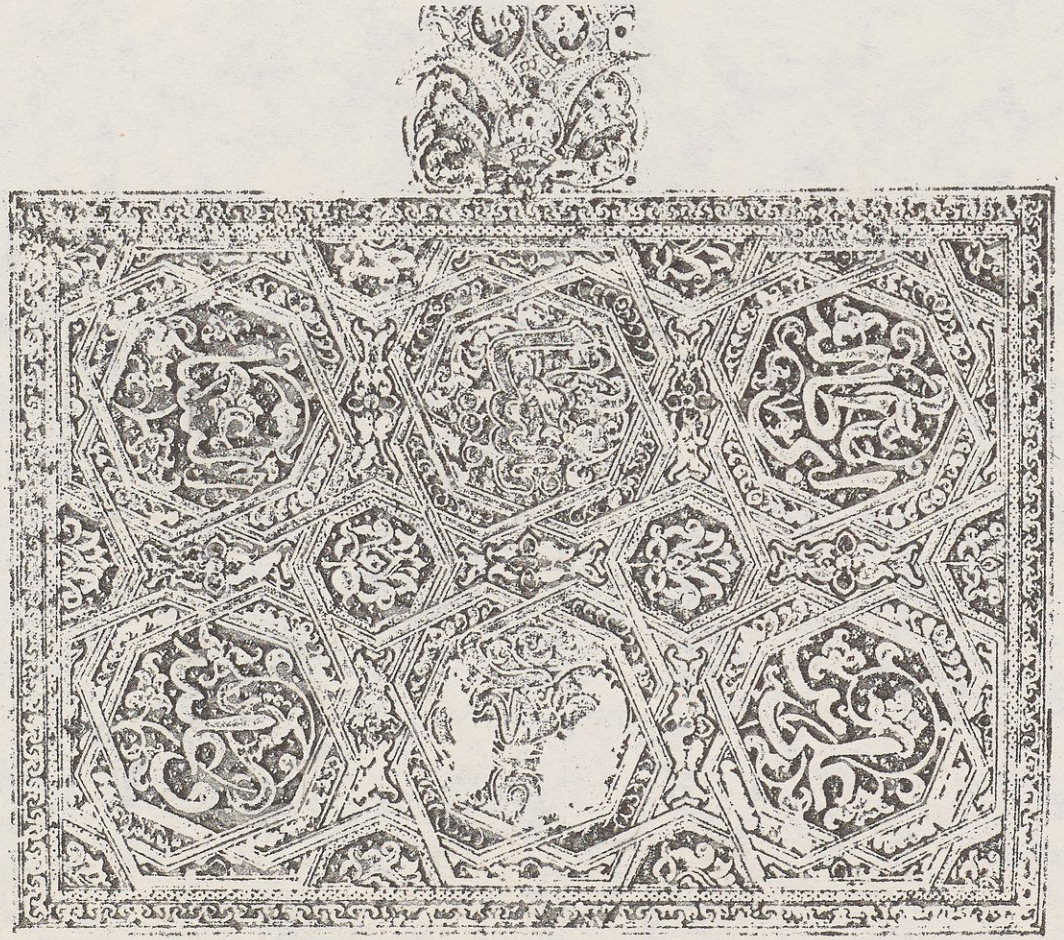

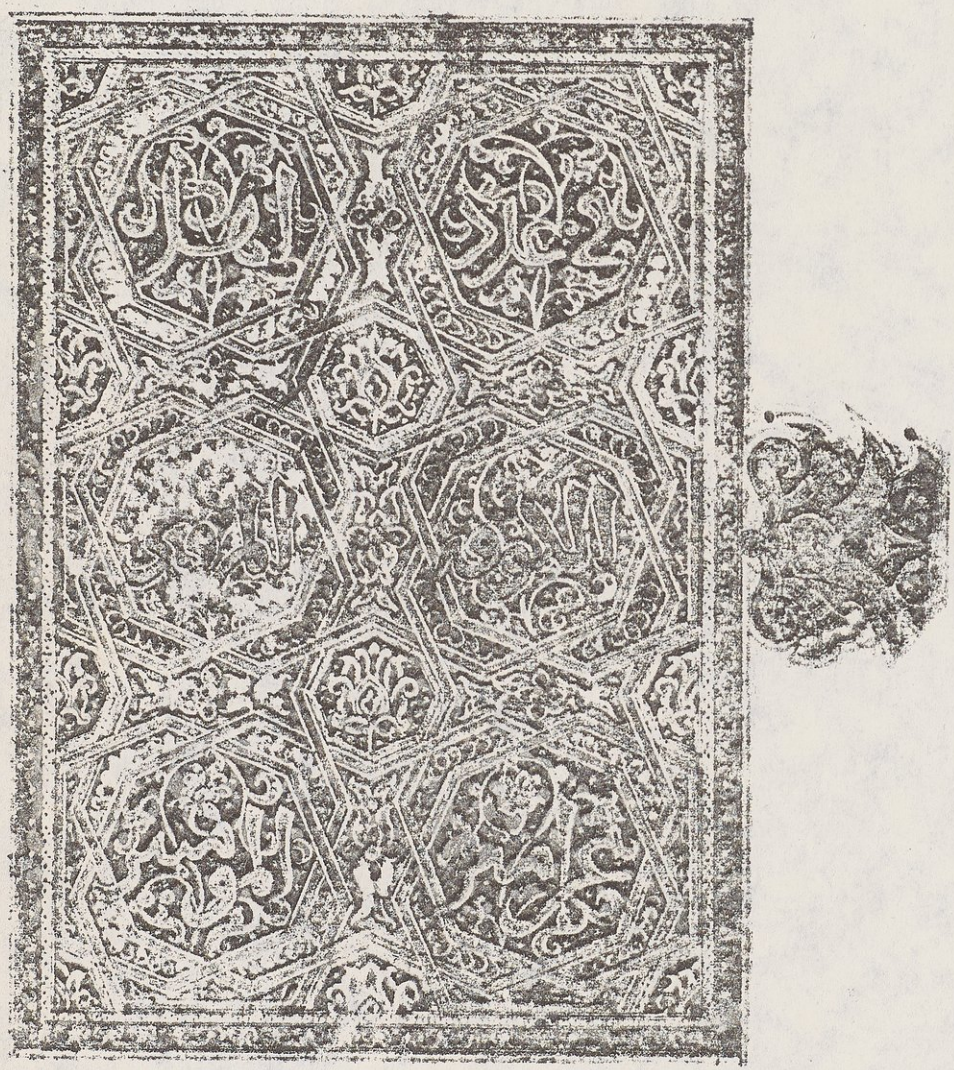

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ۝ اياك
نعبد واياك نستعين ۝ اهدنا الصراط المستقيم ۝ صراط
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
بسم الله الرحمن الرحيم
الم ۝ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۝ الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ۝ والذين يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ۝ ان الذين

صدق الله العظيم الحي القيوم الحي
لا إله إلا هو وبلغت الرسل والحمد
على ما قال ربنا ومولانا آمين الشاهدين
وصلى الله على سيدنا نبيه محمد
وعترته الطاهرين وسلم عليهم
أجمعين ولا قوة إلا بالله رب العالمين
كتب هذا الخاتم علي بن هلال بمدينة السلام
سنة إحدى وتسعين وثلثمائة حامدا لله
تعالى على نعمه ومصليا على نبيه محمد وآله
وسلم تسليما كثيرا

المخطوط الوحيد لابن البواب

هذا المصحف الكريم محفوظ فى مكتبة شسبربيتى وانتشرت نسخاً منذ بواسطه (صليب لوبو ـ پاريس) وقدم له دى. اس. رايس وقد اخذنا من بعض صفحاتها صوراً تيمناً و جعلناها فى مقدمة دائرة معارف القرآن الكريم والاستاذ احمد الارفلى ترجم المقدمة باللغة العربية وقدذكر فى هذه المقدمة: مخطوط شسبربيتى المدون فى بغداد فى عام ٣٩١ هـ/ ١٠٠٠ ـ ام هواقدم المصاحف المدونة بخط النسخ التى نعرفها و هوالعمل الباقى من اعمال هذا الخطاط و المزخرف كما انه املخطوط الوحيد المزخرف بالكامل الباقى لدينا من ايام البوبهمين.

و ممانبه على تشيعه ماكتب بنصه: والتقريظ يشتمل على الاشارة الى ـ آل الرسول الطاهرين» وان ابن البواب من انصار مذهب الشيعه مثله فى ذالك كمثل اربابه البوبهميين و مايستدل عليه كذالك من اسناد لقب امير المؤمنين الى على مع استخدام عبارة عليه السلام بدلا من رضى الله عنه، و ذالك عند تعداد الايات فى بداية الخطوط الكامل للخاتمه وهو: كتب هذا الجامع على بن هلل بمدينة السلم (بغداد) سنة احدى و تسعين و ثلمثاة حامداً لله تعالى على نعمه و مصلياً على نبيه محمد وآله مستغفراً من ذنبه.

هذا وقد تعرض الاورفلى لحياته قائلا: اننا لانعرف سوى القليل عن حياة ابى الحسن على بن هلال كمانجهل اين و متى ولدغير ان المؤكد انه امضى الشطر الاكبر من حياته فى بغداد... و طبقاً لاقوال ابن هلال عن نفسه عمل فترة من الوقت اميناً لمكتبة البويهى بهاء الدوله فى مدينه شيراز.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيعة و عملاءُ الاستعمار

نشأت فكرة المخالفة مع الاسلام والسعى فى هدمه عند ما ابلغ الرسول الاعظم ما امره الله به من انذار عشيرته الاقربين واعلمهم بأنى قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وكلما انتشر الاسلام واحكمت اصوله اجتهد اعداؤه فى المعارضة مع رسوله و احكامه و قرآنه بصور شتى و مكروا و مكر الله والله خير الماكرين و ما ان تشكلت الحكومة الاسلامية تحت قيادة رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و استحكمت مبانيها الاصلية رأى مناوؤه انهم عاجزون عن مكافحتها ولذلك اظهروا الاسلام واخفوا العناد له فى قلوبهم التى تغلى عليه منتظرين الفرصة السانحة لهم لاظهار ما تكنه صدورهم للرسول العظيم صاحب الدعوة الاسلامية المباركة كما اخبر الله تعالى رسوله بذلك فى قوله «اذا جائك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله و الله يعلم انك لرسوله و الله يشهد ان المنافقين لكاذبون» وسدده بآية «والله يعصمك من الناس».

ثم انه صلى الله عليه وآله بنى ليثبت رسالته حسب ما امر الله به اساسا اقامه على ولاية عترته اهل بيته لايمكن لاحد نقضه وهدم ما بناه الله بيده التى فوق ايديهم وان حاول قوم فى ذلك فوكل (ص) الامر الى على «عليه السلام» حسب قوله تعالى «بلغ

ما انزل اليك من ربك» و بذلك تاسست مدرسه شيعية تسعى فى تثبيت الاسلام على مر الزمان قال صلى الله عليه و آله وسلم لعلى «انت و شيعتك هم الفائزون يوم القيامة» ولكن من امتلا قلبه نفاقا و شقاقا و رأى نفسه فوق ماهى عليه لايخضع الا لهواه فشغل نفسه بامور تافهة توجب انشعاب الامة الاسلامية الى مذاهب فيضعف كيان الاسلام والمسلمين فى كافة عصور التاريخ بابعاد مختلفه و صور متباينة متضادة نشأ اصلها من غلبة الهوى على الهدى و عبادة الشيطان فى ازاء عبادة الرحمن و من تلك السبل التى سلكوها فى غالب العصور والامصار جعل الاحاديث و الاكاذيب حول المسائل الاسلامية الاصيلة بغية اضعاف الاسلام الذى بنى على الفطرة و دل عليه العقل و المنطق السليم و قد اعتمد الاسلام على الكتاب والسنة اما الكتاب حيث لايمكنهم تحريفه و صرفه عن واقعه فلامحالة توجهوا الى جعل الاحاديث فى صورة واسعة مبددة فقل من يتمكن من تمييز ماصدر عن النبى الاعظم و ما افترى عليه البقاء حكومة فردية و قومية احدثوها فى مقابل حكومة الهية ومع الاسف الشديد منذ الصدر الاول حتى عصرنا الحاضر تحمل كثير من المرتزقة و ابناء الدنيا من عملاء الاستعمار هذه الرذيلة للوصول الى بعض حطام الدنيا الفانية ومن حسن الحظ ان كل من سلك هذا الطريق لم ينل من الدنيا بغيته سوى تحمل الرزايا و النكبات و الذى استفاده منها حقا بمنظار الثمرة العاجله وليس الآجله هم الخلفاء و الحكام الغاشمون نسئل الله العصمة من شرور انفسنا.

وحيث ان الشيعة تابعون لهداية ائمتهم المعصومين و ارشاداتهم القيمة اسسوا حسب وظيفتهم لصيانة سنة الرسول صلى الله عليه وآله و ابنائه الطاهرين علما كاملا حاملا بجميع

الجهات باسم الدراية لتشخيص ما نقل باسم الحديث والخبر والاثر من الصحيح و غير الصحيح فى جنب علم الرجال الذى يتكفل ببيان مراتب ايمان الرواة و وثاقتهم و درايتهم بالاحاديث والاثار لمن اراد ان يعتمد على سنة النبى الذى امر الله تعالى باتباعه فيجب عليه ان يتعلم هذين العلمين. كما يستند الشيعة الى مبانيه بعد ملاحظة هذه الاصول الاصيلة من الكتاب والسنة الصادرة عن المعصوم لاجل الموازين المقررة فى علم الرجال والدراية و لكن الاسف الشديد ان خصوم الشيعة لم يكتفوا بوضع الاحاديث الملفقة بل اخذوا يفترون على من اقتدى بسنة النبى و عمل بكتاب الله عزو جل امورا لايمكن نسبتها الى اضعاف العقلاء والجهلاء فكيف يصح انتسابها الى من قال الله فى حقهم (على ما ورد فى مسانيدهم المعتبرة) (اولئك هم خير البرية) فعلى كل حال هذه عادتهم جارية الى عصرنا الحاضر وقد اشتبه على كثير من المسلمين فرأوا ان ما ينسبه هؤلاء الى الشيعة حقا فاخذوا من ذلك ما لايصح لهم الاخذ به وما ذلك الا من جراء سكوت علمائنا الابرار و من له خبرة فى الاثار.

وقد تصدى العلامة الجليل السيد محمد الرضى الرضوى الذى له المام بكتب القوم و افكار هم و موارد اشتباهاتهم اتباعا لقوله صلى الله عليه وآله «فعلى العالم ان يظهر علمه» لبيان ما نسب الى الشيعة مع انهم براء من هذه الا باطيل الهدامة للدين و الانسانيه وكتب الشيعة من الصدر الاول الى الان كفيلة فى بيان معتقداتهم والتاريخ شاهد صدق على كفاحهم مع من لايستسلم للحكومة الالهية وينوى تغيير القوانين الاسلامية وبناء حكومة استبدادية ضد الاسلام لمصالح الحكام والمستعمرين سيما فى هذا العصر فان جماعة ممن لايمكننى تسميتهم باسم العلماء والمؤرخين

كتبوا ماكتبوا وعلى الله جزاؤهم وان ايادى المستعمرين طبعت ما كتبوا باحسن صورة واجمل ورق واحسن طباعة فى عدد كثير يوزع فى البلاد الاسلامية وبطبيعة الحال ان لذلك آثار سوء للاسلام والمسلمين وينتفع منها المستكبرون ولذلك اقدم على طبع ما كتبه السيد لحفظ الحق «كذبوا على الشيعه» وبيان الواقع فانه تعالى خير موفق ومعين وما توفيقى الا بالله عليه توكلت و اليه انيب.

نسئل الله تعالى ختاما ان يوفقنا و جميع المسلمين لمتابعة الحق و مجانبة الباطل فان لهما مغبة محمودة و نرجوا من العلماء والمحققين ان يطلعوننا على ما كتب اثباتا و نفيا حول العقائد الاسلامية لنستفيد منها و نعرضها للعالم الاسلامى والسلام على من اتبع الهدى.

مدرسه چهل‌ستون و متبتها العامة ـ طهران مسجد جامع

حسن سعيد

ميلاد الزهراء (ع) فى المهرجان الالفى لتأليف نهج البلاغة ٢٠ جمادى الثانية ١٤٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن معجزة الاديان خالد خلود الزمان

الحمدلله رب العالمين والصلوة والسلام على من نزل القرآن على صدره فبلغه الى امته وعلى آله المعصومين الذين بينوا ما امر الله به ومن حذا حذو هم الى يوم الدين.

وبعد فان محمداً هو خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وان القرآن الذى جاء به هو دستور آلهى للحياة الانسانية بكافة جوانبها وذالك لانه متكفل لجميع مايحتاج الانسان اليه فى معاشه و معاده، كما ارشد الناس الى طريق الصواب فى نفس الكتاب:

«ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شىء و هدى و رحمة» (النحل ٨٩)

«لا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين» (الانعام ٥٩)

«لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث» (الروم ٥٦)

وقال رسول الله صلى اله عليه وآله ان هذا القرآن ما دبة الله فتعلموا من مادبته ما استطعتم. كنز العمال ٢٣٥٦.

وحيث كان القرآن معجزة خالدة خلود الزمان يتحدى به من قبل جميع جوامع البشريه على الاطلاق من دون اختصاص لعصر دون عصر و خلق بمعزل عن خلق آخر. «وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله» (٢٣ البقره).

«قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن

لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً. (الاسراء ٨٨).

وحيث كانت النبوة باقية لرسول الله الى يوم القيمه. وماكان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين. (الاحزاب ٤٠). فالمعجزة التى جاءبها لامحالة ثابتة الى يوم يبعثون «و انه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد.» (فصلت ٤٢). و عليه فبقاعدة اللطف ترى الله جل جلاله نزله وحفظه كمانص على ذلك فى كتابه «وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون» (الحجر ٩). ولو لاذلك لكان الانسان معذوراً فيما يقع من انحرافات وخطايا وذالك لعدم وصول التكليف اليه كيف الحجة العقليه قامت على عدم امكان عقابه فى مثل هذه الحالة بل له ان يحتج على الخالق بذلك ولايمكن اقامة حجة على طائفة فى عصر من الاعصار و فى حكم من الاحكام اذا كان هناك وجود للتحريف اوالنقص فى المعجزة الالهيه وبالتالى لايمكن الاخذ بالكتاب العزيز لان النقص والزيادة فى القرآن الكريم معناه اضطراب الافكار والعقيدة فيما يوجب هداية الانسان والله سبحانه انزله لهداية البشر «ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق» البقرة ١٧٦ وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس» البقرة ٢١٣ ـ «انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق» الصافات ١٤١ و جميع بنى الانسان يجب عليهم متابعة القرآن كله «وهذاكتاب انزلناه مبارك فاتبعوه» الانعام ١٥٥. «ذالك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» البقره ٢. فاذا حرف فقد حرم الناس حيث من تمام نعم الله النبوة وطبعاً ما وصلت اليهم كاملة نعم ان من تولى عن القرآن اوكذبه فالله يضله «وكتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير» (الحجج ٤). «الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به فسوف يعلمون» (الزمر ٧٠).

فالآيات باسرها دالة على نفى الباطل كماتنفى النقص بجميع اقسامه عن الكتاب اذالنفى ـ كما يقول الاصوليون ـ اذا ورد على الطبيعة افادالعموم ولا اشكال فى ان التحريف من اعظم افراد الباطل فيجب ان لايتطرق الى كتاب الله الكريم.

ولذا فان رسول الاسلام انما اكد واصر على حفظ القرآن بجميع خصوصياته ومزاياه من زمان نزوله الى يوم رحلته (ص) حتى انه لم يذكر لهم اى آية جديدة قبل حفظ ما علمهم ماسبق من آيات نعم كان امير المؤمنين فى مكة كاتب الوحى على الاطلاق و لماهاجر الرسول الى المدينه توالت الحوادث والوقايع فمست الحاجة الى كتاب وجعل (ص) لكل عمل كاتباً ولكل كاتب مهمة معينة وقد ذكر فى مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢١ عن المناقب واسدالغابه و «التنبيه والاشراف» ان على بن ابى طالب يكتب اكثر الوحى ويكتب ايضاً غير الوحى وعده الحلبى فى «السيرة» وابن الاثير فى «الكامل» من الكتاب و قد ذكر الواقدى فى ج ٣ صفحة ١١ الى ٣٧ فى مناقب على «هواول من اسلم واول من صلى وراء الرسل» وذكر روايات عديدة حول شخصيته الفذة و مزاياه.

و على كل حال كل ماتجلى نور النبوة و عمم العالم فيضه و كلما اتسعت دائرة المستبصرين فيه، بل صار كل من شارك فى القيام بمهمة فيه اوخدمة بالاصالة او بالعرض يباهى فى ذالك افتخاراً لجلب عواطف الناس اليه سواء كان كاتب وحى اوكاتب شىء من الحوادث الاجتماعيه على اختلافها فقد بلغ رسول الله ص، ما انزل اليه الى الجامعة البشريه نجوماً و قد صرح فى غير موضع من كتاب الله بان القرآن، هوالفرقان والكتاب والذكر، انما نزله اليه تعالى «هوالذى انزل عليك الكتاب» (آل عمران) وامر الله تعالى الناس بالايمان بالله وبرسوله و بالكتاب «آمنوا بالله و رسوله والكتاب

الذى نزل على رسوله» (النساء ١٣٦) و بلغ رسول الله ـ ص ـ ماانزله الله على مدى ثلاث و عشرين سنة نجوماً امتثالا لماامر الله به و آخر ما بلغ قوله تعالى «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس» (المائده ٦٧) ثم بعد ذلك قال الله العظيم «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلاتخشوهم واخشون» (المائده ٣) «فلاتخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون» (البقره ١٥٠) «فلاتخشوا الناس واخشون» (المائده ٤٤)، فالكتاب باجمعه كان فى ايدى المسلمين بصورة كاملة مرتبة من حيث ترتيب الايات والسور بحيث يطلق عليه القرآن والكتاب و الفرقان والذكر و كل ذلك انمايكون بامر من الله و الرسول امين لحفظ جميع ما امر الله به ولاحق له فى تغييره و تبديله كما صرح القرآن بذلك «قل مايكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى» (يونس ١٥) ولا خلاف فى ذلك وانما الاختلاف فى القرآت الواردة اللاتى لاتثبت بالاجماع. والاخبار الواردة فى جمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله انما هى ناظرة الى هذا المطلب ولذا فلاينبغى ان يبقى اى شك اووهم فى مانزل من الله تعالى فمايكون بين الدفتين هو الحاكم بين المسلمين وهو القرآن الذى يجب على كل مسلم اتباعه والعمل به ولذا قدامر رسول الله (ص) فى يوم وفاته انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى اهل بيتى و انهمالن يفترقا حتى يردا على الحوض (وهو حديث متواتر و مشهور عند المسلمين كافة) انظر الترمذى ص ٢٠٠ ج ١٣ و قد صرح بانه ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداً. فبمقتضى ذلك الحديث وغيره[١] نعلم ان الكتاب كان

١ـ وفى كنز العمال ج١ الرقم ٩٤٣ الى ٩٥٢ مع زيادة واختلاف يسيرة ←

موجوداً و مرتباً و معروفاً عندهم والامر بوجوب التمسك به و بالعترة باق فى الناس الى يوم القيامة فلابد من كونه موجوداً بين الامة ليمكنها ان تتمسك به لئلاتقع فى الضلال و اما التمسك بالعترة انمايكون باتباع اوامرهم ونواهيهم ولذا ان الشيعة فى ايام الغيبة متمسكون بامامهم بالرجوع الى رواة احاديثهم فى الحوادث الواقعه فعلى كل حال فالكتاب كان فى عصر النبى كاملا تاماًوغير قابل للتحريف ولذا قال سيدنا الاستاذ زعيم الشيعة الامامية الاثنى عشريه فى كتابه البيان ٢٧٨ مانصه: ان حديث تحريف القرآن حديث خرافة و خيال، لايقول به الامن ضعف عقله اومن لم يتامل فى اطرافه حق التأمل، اومن الجاه اليه يجب القول به والحب يعمى ويصم واما العاقل المنصف المتدبر فلايشك فى بطلانه و خرافته و قال الاستاذ محمد الغزالى المصرى جائنى رجل من العلوم مغضبتا يتسائل: كيف أصدر شيخ الازهر فتواه بأن الشيعة مذهب اسلامى كسائر المذاهب المعروفة؟ فقلت الرجل: ماذا تعرف عن الشيعة؟ فسكت قليلا ثم أجاب: ناس على غير ديننا! فقلت له: لكنى رأيتهم يصلون و يصومون كما نصلى و نصوم! فعجب الرجل، و قال: كيف هذا؟ قلت له: والاغرب انهم يقرءون القرآن مثلنا، و يعظمون الرسول، ويحجون الى البيت الحرام..!

قال: لقد بلغنى أن لهم قرآنا آخر، و أنهم يذهبون الى الكعبة ليحقروها! فنظرت الرجل راعياً، وقلت له: أنت معذور! ان بعضنا يشيع عن البعض الاخر مايحاول به هدمه وجرح كرامته، مثل ما يفعل الروس بالامريكان، والامريكا بالروس، كاننا أمم متعادية

: كانى دعيت فاجبت انى تارك فيكم الثقلين احدهما اكبرمن الاخر كتاب الله وعترتى اهل بيتى فانظرواكيف تخلفونى فيهما وانهما لن يفترقا حتى يرداعلى الحوض ان الله مولاى وانا ولى كل مؤمن من كنت مولاه اللهم وال من والاه وعادمن عاداه.

لا أمة واحدة.

وعلى هذا كان القرآن فى عهد رسول الله (ص) موضعاً لعنايته واهتمام المسلمين بحفظه و قرائته رجاء ثواب ذلك بل الاطفال والنساء يهتمون بحفظه و قرائته ليتباهوا اما حفظ بعض سور القرآن او آيات من سورة فقد كان منتشراً جداً ويندر ان يخرج من هذه المكرمة احد من المسلمين رجلا او امرأة. روى عبادة بن الصامت قال كان رسول الله (ص)... فاذا قدم رجل مهاجر على رسول الله (ص) دفعه الى رجل منا يعلمه القرآن مسند احمد ج ٥ ص ٣٢٤ و روى كليب قال كنت مع على (ع) فسمع ضجتهم فى المسجد القرآن فقال طوبى لهؤلاء كنز العمال ج ٢ ص ١٩٥ وقد عد من حفاظ القرآن فى عهده ـ ص ـ جم غفير و قتل يوم اليمامة سبعون او اربعمائة رجل من القراء على اختلاف الروايات وكذا فى بئر معونة و على كل حال ان النبى ـ ص ـ اهتم لضبطه وله كتاب عديدون و منهم على بن ابى طالب، ابى بن كعب و زيد بن ثابت وغيرهم الذين اشتهروا بكتاب الوحى و من البديهى ان النبى امر بكتابة القرآن على عهده و قد روى زيد بن ثابت وقال: كنا عند رسول الله ـ ص ـ يؤلف القرآن من الرقاع و هذا دليل على ان القرآن قد جمع وكتب على عهد رسول الله ـ ص ـ وصرح الحاكم فى المستدرك. بان هذا حديث صحيح على شرط الشيخين غير انهما لم يخرجاه ولذا قد ذكر السيوطى فى الاتقان ص ٦٠ ج ١ مانصه: فصل الاجماع والنصوص المترادفة على ان ترتيب الايات توقيفى لاشبهة فى ذلك اما الاجماع فنقله غير واحد منهم الزركشى فى البرهان و ابو جعفر بن الزبير فى مناسباته وعبارته: ترتيب الايات فى سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وامره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين انتهى... كان رسول الله ـ ص ـ نزل عليه

السورة ذات العدد فكان اذا نزل عليه الشى فدعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الايات فى السورة التى تذكر فيها كذا وكذا... قال كنت جالساً عند رسول الله ـ ص ـ اذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال اتانى جبرائيل فامرنى ان اضع هذه الاية هذا الموضع من السورة... فقال البغوى.. وكان رسول الله ـ ص ـ يلقن اصحابه و يعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الان فى مصاحفنا بتوقيف جبريل اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل آية ان هذه الاية يكتب عقيب آية كذا فى سورة كذا فبثت ان سعى الصحابة فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه فان القرآن مكتوب فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب انزله الله جملة الى السماء الدنيا ثم كان ينزله نجوماً عند الحاجة و ترتيب النزول غير ترتيب التلاوة... و قد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ـ ص ـ ومما اجمع الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف و قد ذكر محمد بن اسحاق فى الفهرست ان الجماع للقرآن على عهد النبى ـ ص ـ هم على بن ابى طالب و سعد بن عبادة وستة نفر من كبار الصحابه ينظر تاريخ القرآن الزنجانى ص ٢٤ و فى الامالى قال الطوسى ٤٦٠ ان ابن مسعود اخذ سبعين سورة من النبى صلى الله عليه وآله واخذ الباقى عن امير المؤمنين على بن ابى طالب وروى الخوارزمى فى مناقبه عن على بن رياح: قال جمع القرآن على عهد رسول الله ـ ص ـ على بن ابى طالب عليه السلام و ابى بن كعب كما فى تاريخ الزنجانى ص ٢٥ و اما مسئلة جمع القرآن بعد رسول الله ص ـ سيما فى زمان عثمان فهو لا اصل له بتاتاً نعم ان عثمان حمل ـ الناس على القرائة بوجه واحد كما اعتراف به السيوطى ص ٦٠ لما خشى الفتنة عند اختلاف اهل العراق والشام فى حروف القرآت و قال فى آخر كلامه: قال على لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل

بها عثمان، وقد اختلف فى عدة المصاحف التى ارسل بها عثمان الى الافاق و المشهور انها خمسه او ـ اربعه اوسبعه (مكه. الشام. اليمن. البحرين. والبصرة والكوفه وحبس بالمدينة واحداً السيوطى ٦٠).

و على كل حال مع الاعتراف بتوقيفية كل ذلك كيف يتكلمون حول جمع القرآن بمعنى من المعانى بعد رسول الله ـ ص ـ مع القول بانقطاع الوحى بموته بل هو بنفسه وبوحى من الله تعالى جمعه والفه بين الدفتين كالذى هو موجود الان بيننا نعم لا مانع من القول بان بعض القرآن كان عند الصحابة موجوداً كما هو المعمول به بين المسلمين من صدر الاول الى الان وهم فى ذالك انما يتبركون بكتابة بعض السور واجزاء من القرآن حين لايتمكنو ن من كتابته اجمع ويوجد فى زماننا بعض اجزاء القرآن بخط الائمه وغيرهم.

اما كتابة القرآن فى عهد النبى ـ ص ـ فكانت مهمة صعبة جداً لقلة عدد الكتاب وعدم وجود مايكتب عليه وصعوبة الخط الذى كان معمولا فى ذلك العصر وهو الكوفى ولكن كل ذلك يسهل فى مقابل اهتمام الرسول الاعظم بكتابة القرآن وتشويق من يكتب الوحى و تهيئة الوسائل اللازمة ولكن لما هاجر النبى ـ ص ـ الى المدينة واتسعت حكومة الاسلام وساد نفوذها فقد اشتغل جمع من المسلمين بتعلم الكتابة وقد امر رسول الله ـ ص ـ باطلاق كل اسير علم الخط عشرة اشخاص فى المسلمين فى حرب بدر كما كان اختلاط المسلمين مع اليهود فى المدينة موجباً لتعلمهم الخط (سيرة ابن هشام وفى الاتقان ٥٨١ كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى اله عليه وسلم كان يامره (اصحابه) بكتابته وانما يكتب على لخفة وجلود المسبوغة واديم كتف اوالرقاع او ما اشبه ذلك من الاشجار و العسيب والقتب و لذا كانت نسخ القرآن معدوده

وقد انتقل من مصر الى الحجاز كما قيل بعد الفتح شيئاً يقال پاپيروس و المسلمون استعملوا الورق بعد فتح ايران بقيمة عالية وفي الاتقان ٥٩ جمع ابو بكر القرآن في القراطيس وفي عهد الهارون استفادو اكثر لانهم صنعوه لانفسهم كما قد اتوا به من الصين.

اما صعوبة الخط فهو امر معلوم في عصر النبي ـ ص ـ حيث العرب كانوا يكتبون على طريقة الخط الكوفي. والان قسم من هذه الخطوط المنسوبة الى الائمة المعصومين امير المؤمنين ـ حسن بن علي ـ حسين بن علي ـ علي بن الحسين ـ علي بن موسى الرضا ـ عليهم السلام موجود في المكتبة الفاخرة لحرم روضة الامام علي بن موسى الرضا (ع) المقدسه ـ كتابخانه آستان قدس ـ ولكن المعروف ان كتابة القرآن في عصر النبي ـ ص ـ كانت موسومة برسم المصاحف او علم المرسوم و بهذا كان معروفاً في الاعصار التاليه. والرسول الاعظم بعد نزول الوحي يأمر كتاب الوحي بكتابة ما نزل والصحابي يقول اقرانى رسول الله ـ ص ـ كذلك.

ومن الضروري الذي لاشبهة فيه لزوم اتباع رسم الخط القرآني الذي كان مميزاً عن بقية الخطوط و في تعليم خط للفضائلي: آن الخط والاملاء في القرآن الكريم ينقسم الى قسمين قياسي و اصطلاحي اما القياسي فهو الذي لما يكتب كما يقرء واما الاصطلاحي فينقسم الى قسمين الاول خط المصطلح العام وان العرب يتبع تلك الضوابط عموماً والثاني الخط القرآني الذي لايمكن وضع قانون و نظام له بل تتبع ماكتب بدون تصرف و انما يكتب القرآن بالخط الكوفي الى القرن الثالث تقريباً و كانهم يرون عدم جواز كتابة القرآن بغير الخط الذي كان متداولا في عصر النبي ـ ص ـ ولكن لااشكال في وجود فكرة تكميل الخط واصلاحه.

و في رسالة الخطاط البغدادي المشهور بابن البواب تاليف

الدكتور سهيل انور من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٧ نقلا عن كتاب «تحفة خطاطين» تأليف مستقيم‌زاده: كان على بن هلال اخذ الخط فى حداثته من محمد بن اسد ثم من محمد بن‌السمسانى صاحب محمد بن اسد و تلميذه على قول، ثم جمع خطوط محمدبن مقلة فى‌النسخ والثلث الذين قلبهما من‌الخط الكوفى واذهبها و نقحها و صححها و روجها، فاستقام بفضله اسلوب ابن مقلة من كل الوجوه، ويقال عن ابن مقله و خلد اسمه ونال شهرة عظيمة باقية الى يوم‌الدين، حتى اطلق عليه لقب «الناقل‌الاول» ولكن الحقيقة ان ابن مقلة[1] ليس هوالناقل الاول، وانما الناقل الاول هوالحسن البصرى الذى اخذ هذاالخط من على بن‌ابى‌طالب‌امير‌المؤمنين عليه‌السلام. و اوضح‌ذالك «مستقيم‌زاده» فى بحثه عن محمدبن‌الحسن ابن مقله.

وقد رسم الدكتور ـ سهيل انور شجرة الخط بهذه‌الصورة.

على بن‌ابى‌طالب عليه‌السلام، فالحسن البصرى، فاسحاق بن حماد، وابراهيم السنجرى، «السجزى» فابن مقلة فالحسن ابن بهزاد المرزبانى فابن البواب المتوفى ٤١٣ هـ. وقد علق محمد بهجة عضو المجمع العراقى ص ٧٨ على ذالك لضعف ماروى ان الحسن البصرى لقى على بن ابى‌اطالب رضى‌الله عنه مع . ان السيوطى ذكر فى الحاوى فى الفتاوى ان الحسن البصرى ادرك مولانا امير‌المؤمنين (ع) و كتب حول هذا الموضوع شرحاً

١ـ محمدبن على‌بن حسن‌بن مقله وهواول من‌بلغ بالثلث والنسخ بهذه الدرجة‌من‌الكمال‌وانه لماقطعت‌يداالمسكين اليمنى صاريكتب‌بيده‌اليسرى‌واستوز وفى‌الدولة اعباسيه، فى‌عهدالخليفه محمدبن القاهر بالله والخليفه‌المعتصم بالله وقتل شهيداً وقال الدكتوران بين ابن مقله وابراهيم خطاط آخر ولم يذكراسمه وان بين ياقوت‌المستعصمى (٦٩٨) وابن البواب مدة تقرب من ثلاثة قرون.

مبسوطاً فما ذكره الدكتور سهيل هو الصحيح وان المؤسس هو علي بن ابي طالب (ع). و اما ماذكره المعلق عليه فان لم يكن ظاهراً في التعصب فيكشف عن عدم تتبعه والاستطلاع في كتب القوم وقد جاء في تعليم خط ص ٧٥ ان اول من اشتهر في صدر الاسلام بحسن الخط هو خالد بن الهياج و هو من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام.

وما امر امير المؤمنين عليه السلام لكاتبه عبيدالله بن ابي رافع: الق دواتك واطل جلقة قلمك و فرج بين السطور و قرمط بين الحروف «المقاربة بينها و تضيق فواصلها» فان ذلك اجدر بصباحة الخط رسائل نهج البلاغه ٣١٦. دليل على كثرة اهتمامه (ع) بالخط و تعليم غيره بتوجيه الى مثل هذه القواعد الاساسية لتعلم الخط واجادته الى هذا الامر.

وابلغ من ذلك ماجاء في رسالة عبدالله صيرفي «تعليم خط للفضائلي ٧١، قال امير المؤمنين (ع) اعلم ان حسن الخط مخفي في تعليم الاستاذ و قوامه في كثرة المشق و تركيب المركبات و بقائه على المسلم في ترك المنهيات و محافظة الصلوات واصله في معرفة المفردات والمركبات فهو عبادة ناشئة من العمل بالعبادات و ترك المنهيات. فعلى كل حال هذا الانتقال قد وقع سواء كان الدور التكامل شرع من زمان مولانا امير المؤمنين عليه السلام و سار منه الى ابن البواب بوسائط عديدة اوكان الانتقال عملا بيد ابن مقلة كما زعم المحقق للرسالة المنشورة باسم المجمع العلمي العراقي و ليس لدينا علم و اطلاع بماوقع في دور الخط كما انه ليس في ايدينا من خط ابن مقلة نعم قد ذكر في التعليقة عن مجلة معهد المخطوطات العربية ٣٣ ج ١ ص ٣٢ يوجد في مكتبة متحف هراة مصحفاً كتب بيد محمد بن مقلة الوزير، وقال: «خطه كوفي» و يعقبه بان ابن مقلة قد كتب المصحف مرتين فقط وان احد هذين المصحفين قد ظفر

به ابن البواب فی ثلاثین جزء مبعثرة فی خزانة کتب بهاء الدولة بن عضدالدوله بشیراز. فلم یزل یتبعه فیها فیظفر بجزء بعد جزء مختلط فی جملة الکتب. الی ان اجتمع له تسعة وعشرون جزء وبقی جزء واحد استغرق تفتیش الخزانة علیه مدة طویله فلم یظفر به، فعلم ان المصحف ناقص وقص نبأه علی بهاء الدولة فطلب منه ان یتمه له فاجابه الی ماراد... وکتب الجزء و ذهبه وعتق ذهبه وقلع جلداً من جزء من الاجزاء فجلده به، وجلد الذی قلع منه الجلد وعتقه و مضی علی ذلك نحو السنة فاحضر له المصحف کاملا، فلم یزل بهاء الدولة یقلبه جزءاً جزءاً و هو لایقف علی الجزء الذی بخط ابن البواب واراده علی ان یدله علی الجزء الذی کتبه بخطه فابی علیه وقال له: لاتعرفه، فیصغر فی عینك، هذا المصحف کامل بخط ابی علی بن مقلة، وتکتم سرنا (معجم الادباء ١٥/١٢٢).

ابن البواب اخذ الخط من ابن مقلة وجعل له قواعد و ضوابط علی اساس النقطه وهو کان مشهوراً فی عصره وعلماً بان حسن خطه انسی فضائله الاخر مضافاً الی انه یکتب کثیراً و قیل انه استنسخ ٦٤ نسخة من القرآن الکریم وله نسخة نفیسه بخط النسخ لکلام الله المجید مکتوب علیها ٣٩١ و موجودة فی مجموعة (چستر بیتی فی الانگلترا) دائرة المعارف مصاحب ج اول ١ــس.

والاستاذ حبیب الله فضائلی کتب فی (اطلس خط نشریة انجمن آثار ملی اصفهان) ان ابن البواب مات فی سن الکهولة یوم الخمیس ج١ سنة ٤١٣ فی عهد خلافة القادر بالله ورثی له السید الشریف المرتضی نقیب الطالبین المتوفی (٤٣٦) بمرثیة ٢٥ بیت وهو علی بن هلال ابو الحسن بن البواب، ففاق فیها الاوائل والاواخر و وعظ وعبر الرؤیا وقال بالنظم و نادم فخر الملك ابا غالب الوزیر ولم یعرف الناس قدر خطه الا بعد موته توفی فی جمادی الاولی و دفن

فی جوار الامام احمد بن الحنبل «شذرات الذهب ابن العماد الحنبلی ٣ ـ ٤».

فعلی کل حال سواء کان ابن البواب هو الناقل الاول او انه تبع ابن مقلة و غیره من الاساتذه فی هذا الفن فهو الذی فاق من قبله واسس اساساً متیناً رائقا لمن بعده فهو استاد اساتذة الخط فی النسخ و الثلث وان کان من بعده افضل منه ولکن الفضل له لسبقه.

وفی دائرة المعارف الاسلامیه ابن ابواب کان والده بواباً لقاضی بغداد و لذا سمی بابن الستری وتوفی ١٠٢٢/٤١٣ م. و ١٠٣٢/٤٢٣ م. فی بغداد و دفن فی جوار قبر الامام الحنبل وهو کان حافظاً للقرآن وکتب ٦٤ قرآناً وکان احد هذه القرائین فی (لاله لی) قسطنطنیه والان موجود، فی تلك المکتبه و فی هذا الکتاب صرح بانه مبتکر لخط الریحانی و خط المحقق واسس مدرسة کانت دارجة زمان یاقوت مستعصمی (دائرة المعارف).

وقد ذکر فی تعلیم خط ص ٨٢ ان الامام الصادق علیه السلام (قال ابو عبدالله علیه السلام اکتب بسم الله الرحمن الرحیم من اجود کتابك ولاتمد الباء حتی ترفع السین) امرنا بتعلیم الخط و حسنه بالنسبة الی هذه الایة المبارکه ثم یذکر ویرسمها بصورة الکوفی ـ المحقق ـ الثلث ـ النسخ فالفاصلة بین الکوفی والثلث (المحقق) موجود.

الاعلام زرکلی جزء ٥ ص ١٨٢ یذکر ان ابن بواب ٤٢٣ـ ١٠٣٢ هذب طریقة ابن مقلة وکساها رونقاً و بهجة و نسخ القرآن کانت دارجة الی زمان یاقوت مستعصمی (دائرة المعارف).
لاله لی بالقسطنطنیه.

وعلی هذا الاشکال انه اخذ قواعد الخط من ائمة الشیعة بالواسطة ان لم نقل بانه شیعی (اذ کان والده بواباً لال بویه و هم من اعیان

الشيعه و قتلوا بهذاه الجريمة) كما انه كان خازناً واميناً لمكتبة بهاءالدوله فی شيراز حيث ان ابن صائغ ذكر فی كتاب تحفة اولی الالباب (تعليم خط ۷۲) عن علی بن ابی طالب كرم الله وجهه انه قال لرجل رآه قبيح الخط (اطل جلقة قلمك واسمنها و حرف قطتك وايمنها و اسمتها واعدل اقسامك واقم الفك ولامك فهذه الوصية تصمنت اصول الكتابة و ممايدلنا على تشيعه ماكتبه فی اول صحيفة من القرآن الكريم وآخر صفحة وما يوجد من خطوطه فی المتاجف.

وعلی كل حال ان القرآن معجزة الاديان خالد خلود الزمان و لولا ذالك لماكان فی عصرنا مايكون دليلا قاطعاً على صدق دعوة الانبياء عليم السلام ولايكون لله على الناس حجة.

ونسئل الله تعالى ان يوفقنا و جميع المسلمين لخدمة كتابه والعمل به و متابعة من امرنا باتباعه والتاسی بسنته و اطاعة ولاة الامر المعصومين الذين يجب علينا اطاعتهم به والسعی فی رفع الخلاف بين الذين كان القرآن كتابهم والكعبة قبلتهم و جعلنا ممن ينتصر به لدينه آمين يارب العالمين.

مدرسة چهل ستون و مكتبتها العامة مسجد جامع. ايران ـ طهران
غدير ۱۴۰۸ ـ حسن سعيد

ملوك المسلمين وأمراؤهم من أعصار طويلة موضع سخط أهل الفقه واحتقار أهل التقوى .

إذ أن هؤلاء الحكام بنوا على الإسلام دنياهم العريضة وجاههم الممدود .

أما صلتهم بالإسلام وتعاليمه ودعوته فهي صلة معلولة مضطربة .

الدعوة الإسلامية لأهل الأرض خفت صوتها وضاع أثرها لأن هؤلاء الحكام مايفكرون فيها أو يأبهون لها .

والأمة الإسلامية قطعان من الخلق، تدفع الضرائب ، وتحقق المآرب وحسب .

أما إقامة أمرها على الدين ، وبناء كيانها على الخير ونشدان صالحها العام في كل حين . . . فذلك أمر قد يجرى على الألسنة زعما ، ولكن لايتطرق إلى الحياة عملا .

فهل يستغرب أن يتصدع الإسلام وتتلاشى دولته بعد أن تبقى هذه الأحوال عصوراً متتابعة ؟

إن الوحدة الإسلامية لاتعنى هؤلاء الحكام لأن الإسلام نفسه لايعنيهم .

وهو — إذا اهتموا به — يجيء بعد اهتمامهم بخاصة أنفسهم وشئون ملكهم ومكانة أسرتهم وأهواء حاشيتهم . . . الخ

ولقد دفع المسلمون ثمن هذا العصيان السافر والاستهانة البالغة .

دفعوا ثمنها أن انقسموا في أرجاء الأرض على أكثر من خمسين دولة أو دويلة ليس لها في سياسة العالم وزن يذكر ولا في توجيه شئونه رأى يسمع .

ثم استفاق نفر ممن رحم الله وشرع يهيب بهذه الأوزاع ان تتجمع وتلك الفرق أن تتلاقى ، وأبان لها أن رواق الإسلام الحق يتسع لها جميعا وأنها يوم تتساند تحت لوائه فسوف تسعد وتعز .

ومع ذلك فإن أمام التجمع الإسلامي للنشود مراحل شاسعة وعقبات شدادا .

إن اسباب الفرقة لا زال باقية وهى إذا دامت فستنتهى حتما بتلاشى الإسلام نفسه وزوال عقيدته بعد شريعته !!

هل أتاك نبأ ماتعده الصليبية الغربية للإسلام فى أندونيسيا ؟

اقرأ هذه القرارات لتعرف ماهنالك :

« قرارات مؤتمر الكاثوليك والبروتستانت لمنطقة شرق جاوة » .

انعقد المؤتمر المذكور فى مدينة « مالانج » بجاوة الشرقية فى أكتوبر سنة ١٩٦٢ وأوصى بمشروع يستهدف إتمام تنصير جاوة فى مدى عشرين سنة وتنصير أندونيسيا كلها فى مدى خمسين سنة، وأوصى المؤتمر بالوسائل التى تتبع لتحقيق هذه الغاية ، وهى تتخلص فيما يلى :

١ — التوسع فى إنشاء المدارس المسيحية .

٢ — لاتقبل المدارس الإعدادية والثانوية المسيحية إلا المسيحيين فقط .

٣ — افتتاح مدارس الكتاب المقدس فى المدن التى يكثر فيها المسلمون .

٤ — أن يكثر المسيحيون من الزواج بفتيات مسلمات .

٥ — المسيحيات القويات الإيمان يتزوجن بشبان مسلمين ضعاف الإيمان .

٦ — محاولة إغراء أبناء المسلمين بمعونتهم وإدخالهم المسيحية واجتذاب المسلمين عن طرق المستشفيات ودور الأيتام .

٧ — طبع الإنجيل باللغة العربية لنشره وتوزيعه على المسلمين المقلدين الذين يقرءون اللغة العربية .

٨ — إغراء المسلمين الذين يشتغلون بالسياسة وذلك بإسناد مناصب عالية ذات نفوذ إليهم .

٩ — إقامة الكنائس الفخمة بجوار المساجد المخصصة للمسلمين الذين لا يتبعون مذهب الجمعية المحمدية أو اتحاد المسلمين .

١٠ — توجيه المسيحيين كيلا يدخلوا المدارس الحكومية التى أغلب تلامذتها مسلمون — لأن الإسلام يتحتم تدريسه فى تلك المدارس — .

وهذه الحرب المستمرة للإسلام فى أندونيسيا تتبعها حرب أخرى للكتاب العربى واللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم . فإن أعداء الإسلام لايقصرون حربهم على الدين نفسه . بل يمدونها إلى اللغة التى كانت ولاتزال خادمة لكتاب الله . ومن هنا كانت محاربتهم للكتاب العربى الذى يشتمل على الثقافة الإسلامية العربية الضرورية لكل مسلم والتى لايستغنى عنها فى فهم دينه وإتمام يقينه .

ولقد كان لمصر — منذ زمن بعيد — دور الرائد فى حركة نشر الثقافة الإسلامية العربية فى أندونيسيا عن طريق «الكتاب العربى» الذى كانت تصدره إليها حتى فى عهد الاستعمار الهولاندى ، وكان لمصر من وراء ذلك مقام أدبى كبير بالإضافة إلى دور الأزهر الذى يقوم برسالة الفكر الإسلامى من زمن بعيد .

ولقد لوحظ من واقع بيانات مصلحة الجمارك المصرية أن هبوطاً عظيماً طرأ على حركة تصدير الكتاب العربى إلى أندونيسيا . ففى سنة ١٩٦١ صدرت مصر إلى أندونيسيا من الكتب العربية ١٣٥ طناً وفى سنة ١٩٦٢ صدرت مصر إلى أندونيسيا من الكتب العربية طناً واحداً فقط . ولاشك أن هذه المفارقة المذهلة بين العامين الأخيرين تدعو إلى التساؤل عن العلاقة بين هذا الهبوط المفاجىء وبين قرار مؤتمر الكنائس الذى اتخذ سنة ١٩٦٢ فإن أعداء الإسلام يعرفون سرقوة الكتاب العربى فى نشر الوعى الإسلامى ، ومن هنا يجىء حرصهم البالغ على منع انتشاره وصد تياره .

وهذا هو التعليل المعقول لهذا الانحدار الهائل فى حركة تصدير الكتاب العربى ، فإنها أول ضربة من ضربات المعول الذى يرمى إليه ذلك القرار الخطير .

ومع هذه البيانات الهائلة ، وتلك الوسائل الميسرة فإن الحذر لايزال ساريا فى أوصال الأمة المرهقة المكدودة ، وهى بين الجهل السائد وغش الحكام وقصور العلماء تتوجع وتتعرض للبلايا .

لقد تناسى المسيحيون الحروب الدينية التى اتقدت نارها بينهم خلال القرون الوسطى وأطرحوا الخلافات الكبيرة التى تباعد بينهم أحيانا فى أصول العقيدة ، وقرروا أن يلقوا الإسلام وأهله صفا واحداً وقوى مشتركة .

أما المسلمون فإن الجامعة التي يجب أن تلم شملهم لا تزال حلماً ، والصفاء الذي ينبغي أن ينير طريقهم لا يزال بعيداً .

ومن بين مظاهر الفرقة التي تثير الأسى ما نشرته الصحف أخيراً عن رجال الشرطة في مدينة كراتشي أعلنوا أن ١٢٠ شخصاً من المسلمين قد قتلوا ، كما أصيب ٢٦ شخصاً آخرون بجراح على أثر معارك دامية نشبت بين السنيين والشيعة في قرية ناري التي تبعد ٢٥ ميلا عن العاصمة الباكستانية ، وأن النيران اشتعلت في القرية التي دارت فيها المعارك ، وأن اشتباكا مماثلا وقع في لاهور راح ضحيته شخصان .

كما جاء في الخبر : أن السنيين هم أنصار النبي محمد ﷺ بينما الشيعة هم أنصار علي رابع الخلفاء الراشدين .. !!

لقد قرأت هذا النبأ الفاجع ثم أطرقت كئيباً كسير النفس : يا أسفاه على هذه الدماء المراقة وهذه الدور المحروقة ، إن الإسلام ليسمع أنينه خلال هذه الأنقاض المركومة ، وإن الأخوة في الله لتذهب بدداً مع هذه الغارات الضريرة ، لم هذا العراك ؟ .

أهو بين المسلمين والمستعمرين الذين اجتاحوا ديارهم ؟

أهو بين المسلمين والصهيونيين الذين استولوا على تراثهم ومحوا معالمه وبنوا فوقه دولة لهم ؟ .

يا سبحان الله : إنه بين مسلمين و مسلمين وإن عليهم الجهل ، فهم في ظلامه يلطم بعضهم بعضاً ، ويستبيح بعضهم بعضاً ، والرابح في هذا العراك هو الشيطان وحده .

* * *

على أن هذا الخبر يخفي وراءه قصة طويلة الذيول ، موغلة في الماضي ، وربما كان العوام أخف الناس جرما فيما حفلت به من آثام ، أما الذين تثقل كفتهم بالجرائر فهم أولئك الذين يبعثون بذور الفرقة في كل ناحية ولا يألون أن يحصد

الأجيال مرارتها غارات وثارات ، وأن يحصد الإسلام نفسه جناها وهنا فى صفوفه وتقهقراً لقضاياه .

ليس بين أبناء الإسلام خلاف تراق من أجله دماء قطيع من الغنم ، فكيف يلقى فى روع الأغرار أن هناك نزاعاً بين المسلمين لايحله إلا السيف ؟ .

* * *

إن من أنكر لأمور افتعال الأسباب لتفريق الكلمة وتمزيق الأمة .

ربما اختلفت وجهات النظر فى قضية ما ، وانشعب الناس حولها مذاهب ..

لكن حيث لاتختلف الأفهام ولاتتعدد الأنظار ، كيف يستبيح بعض الناس لأنفسهم أن يخلقوا الفرقة خلقا . وأن يقحموها على الواقع إقحاما ، لالشىء إلا لرؤية الناس أحزابا متناحرة وطوائف متدابرة .

إننى آسف لأن بعض من يرسلون الكلام على عواهنه . لا . بل بعض من يسوقون الهم جزافا غير مبالغين بعواقبها دخلوا فى ميدان الفكر الإسلامى بهذه الأخلاق المملولة فأساءوا إلى الإسلام وأمته شر إساءة .

سمعت واحداً من هؤلاء يقول فى مجلس علم : إن للشيعة قرآنا آخر يزيد وينقص عن قرآننا المعروف .

فقلت له : اين هذا القرآن ؟

إن العالم الإسلامى الذى امتدت رقعته فى ثلاث قارات ظل من بعثة محمد ﷺ إلى يومنا هذا بعد أن ساخ من عمر الزمن أربعة عشر قرنا لايعرف إلا مصحفا واحداً مضبوط البداية والنهاية معدود السور والآيات والألفاظ ، فاين هذا القرآن الآخر ؟

ولماذا لم يطلع الإنس والجن على نسخة منه خلال هذا الدهر الطويل ؟

لماذا يساق هذا الافتراء ؟

ولحساب من تفتعل هذه الإشاعات وتلقى بين الأغرار ليسوء ظنهم بإخوانهم وقد يسوء ظنهم بكتابهم .

إن المصحف واحد يطبع في القاهرة فيقدسه الشيعة في النجف أو في طهران ويتداولون نسخة بين أيديهم وفي بيوتهم دون أن يخطر ببالهم شيء بتة إلا توقير الكتاب ومنزله — جل شأنه — ومبلغه — ﷺ — فلم الكذب على الناس وعلى الوحي ؟

ومن هؤلاء الأفاكين من روج أن الشيعة أتباع علي ، وأن السنين أتباع محمد ، وأن الشيعة يرون عليا أحق بالرسالة ، أو أنها أخطأته إلى غيره . !

وهذا لغو قبيح وتزوير شائن .

ولكن تصديق هذا اللغو كان الباعث على تلك المجزرة المخزية التي وقعت بين أبناء الإسلام من سنة وشيعة . فجعلتهم — وهم الأخوة في الدين لا يأكل بعضهم بعضا على هذا النحو المهين .

إن الشيعة يؤمنون برسالة محمد ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرسول وفي استمساكه بسنته .

وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين والآخرين اعظم من الصادق الأمين ولا أحق منه بالإتباع ، فكيف ينسب لهم هذا الهذر ؟

الواقع أن الذين يرغبون في تقسيم الأمة طوائف متعادية لما لم يجدوا لهذا التقسيم سببا معقولا لجأوا إلى افتعال أسباب الفرقة ، فاتسع لهم ميدان الكذب حين ضاق أمامهم ميدان الصدق .

لست أنفي أن هناك خلافات فقهية ونظرية بين الشيعة والسنة ، بعضها قريب الغور وبعضها بعيد الغور ، بيد أن هذه الخلافات لا تستلزم معشار الجفاء الذي وقع بين الفريقين ، وقد نشب خلاف فقهي ونظري بين مذاهب السنة نفسها بل بين أتباع المذهب الواحد منها ، ومع ذلك فقد حال العقلاء دون تحول هذا الخلاف إلى خصام بارد أو ساخن .

وكان خيراً للشيعة أن يفهموا أن أهل السنة يضمرون أعمق الود لأهل البيت وينفرون أشد النفرة مما يسوءهم . وكان خير للسنيين أن يفهموا أن الشيعة يلزمون أنفسهم سنن صاحب هذه الرسالة ، ويعدون الانحراف عنه زيغا .

عصمة الأئمة

للأستاذ العلامة المحقق الطباطبائي

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩) ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا (٦٠) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (٦١) فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا (٦٢) أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا (٦٣) وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما (٦٤) فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (٦٥)

﴿بيان﴾

الآيات ـ كما ترى ـ غير عادمة الارتباط بما تقدمها من الآيات فإن آيات السورة آخذة من قوله تعالى: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اه كأنها مسوقة لترغيب الناس

في الإنفاق في سبيل الله ، وإقامة صلب طبقات المجتمع وأرباب الحوائج من المؤمنين وذمّ الّذين يصدّون الناس عن القيام بهذا المشروع الواجب ، ثمّ الحثّ على إطاعة الله وإطاعة الرسول وأُولي الأمر ، وقطع منابت الاختلاف والتجنّب عن التشاجر والتنازع ، وإرجاعه إلى الله و رسوله لواتّفق ، والتحرّز عن النفاق ، ولزوم التسليم لأوامر الله ورسوله وهكذا إلى أن تنتهي إلى الآيات النادبة إلى الجهاد المبيّنة احكمه أوالآمرة بالنفر في سبيل الله ؛ فجميع هذه الآيات مجهّزة للمؤمنين للجهاد في سبيل الله ، ومنظّمة لنظام أُمورهم في داخلهم ، وربّما تخلّلها آية أوآيتان بمنزلة الاعتراض في الكلام لا يخلّ باتّصال الكلام كما تقدّم الإيماء إليه في قوله تعالى : « ياأيّها الّذين آمنوا لاتقربوا الصلوة وأنتم سكارى » الآية ٤٣ من السورة .

قوله تعالى : « ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم » لمّا فرغ من الندب إلى عبادة الله وحده لا شريك له وبثّ الإحسان بين طبقات المؤمنين وذمّ من يعيب هذا الطريق المحمود أوصدّ عنه صدوداً عاد إلى أصل المقصود بلسان آخر يتفرّع عليه فروع أُخر ، بها يستحكم أساس المجتمع الإسلاميّ وهو التحضيض والترغيب في أخذهم بالائتلاف والاتّفاق ، ورفع كلّ تنازع واقع بالردّ إلى الله ورسوله .

ولا ينبغي أن يرتاب في أنّ قوله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول اه جملة سيقت تمهيداً وتوطئة للأمر بردّ الأمر إلى الله ورسوله عند ظهور التنازع ، وإن كان مضمون الجملة أساس جميع الشرائع والأحكام الإلهيّة .

فإنّ ذلك ظاهر تفريع قوله : فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول اه ثمّ العود بعد العود إلى هذا المعنى بقوله : ألم تر إلى الّذين يزعمون اه وقوله : وماأرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله اه وقوله : فلا وربّك لا يؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم اه .

ولاينبغي أن يرتاب في أنّ الله سبحانه لا يريد بإطاعته إلّا إطاعته في مايوحيه إلينا من طريق رسوله من المعارف والشرائع ، وأمّا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فله حيثيّتان : إحديهما : حيثيّة التشريع بما يوحيه إليه ربّه من غير كتاب ، وهوما يبيّنه للناس من

تفاصيل مايشتمل على إجماله الكتاب ومايتعلّق ويرتبط بها كما قال تعالى : وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم «النحل : ٤٤» والثانية : مايراه من صواب الرأي وهو الّذي يرتبط بولايته الحكومة والقضاء قال تعالى : لتحكم بين الناس بما أراك الله «النساء : ١٠٥» وهذا هو الرأي الّذي كان يحكم به على ظواهر قوانين القضاء بين الناس ، وهو الذي كان ﷺ يحكم به في عزائم الأمور ، وكان الله سبحانه أمره في اتّخاذ الرأي بالمشاورة فقال : «وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكّل على الله «آل عمران : ١٥٩» فشاركهم في المشاورة ووحّده في العزم .

إذا عرفت هذا علمت أنّ لإطاعة الرسول معنىً ولإطاعة الله سبحانه معنى آخر وإن كان إطاعة الرسول إطاعة لله بالحقيقة لأنّ الله هو المشرّع لوجوب إطاعته كما قال : « وما أرسلنا من رسول إلّا ليطاع بإذن الله » فعلى الناس أن يطيعوا الرسول فيما يبيّنه بالوحي ، وفيما يراه من الرأي .

وهذا المعنى (والله أعلم) هو الموجب لتكرار الأمر بالطاعة في قوله : وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول اه لما ذكره المفسّرون : أنّ التكرار للتأكيد فإنّ القصد لو كان متعلّقاً بالتأكيد كان ترك التكرار كما لو قيل : وأطيعوا الله والرسول أدلّ عليه وأقرب منه فإنّه كان يفيد أنّ إطاعة الرسول عين إطاعة الله سبحانه وأنّ الإطاعتين واحدة ، وما كلّ تكرار يفيد التأكيد .

وأمّا أولوالأمر فهم ـ كائنين من كانوا ـ لانصيب لهم من الوحي ، وإنّما شأنهم الرأي الّذي يستصوبونه فلهم افتراض الطاعة نظير ما للرسول في رأيهم وقولهم ، ولذلك لمّا ذكر وجوب الردّ والتسليم عند المشاجرة لم يذكرهم بل خصّ الله والرسول فقال : فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر اه وذلك أنّ المخاطبين بهذا الردّ هم المؤمنون المخاطبون بقوله في صدر الآية : يا أيّها الّذين آمنوا اه والتنازع تنازعهم بلاريب ، ولايجوز أن يفرض تنازعهم مع أولي الأمر مع افتراض طاعتهم بل هذا التنازع هو مايقع بين المؤمنين أنفسهم ، وليس في أمر الرأي بل من حيث حكم الله في القضيّة المتنازع فيها بقرينة الآيات التالية الذامّة لمن يرجع

إلى حكم الطاغوت دون حكم الله ورسوله ، وهذا الحكم يجب الرجوع فيه إلى أحكام الدين المبيّنة المقرّرة في الكتاب والسنّة ، والكتاب والسنّة حجّتان قاطعتان في الأمر لمن يسعه فهم الحكم منهما ، وقول أُولي الأمر في أنّ الكتاب والسنّة يحكمان بكذا أيضاً حجّة قاطعة فإنّ الآية تقرّر افتراض الطاعة من غير أي قيد أو شرط ، والجميع راجع بالأخرة إلى الكتاب والسنّة .

ومن هنا يظهر أن ليس لأُولي الأمر هؤلاء ـ كائنين من كانوا ـ أن يضعوا حكماً جديداً ، ولا أن ينسخوا حكماً ثابتاً في الكتاب والسنّة ، وإلّا لم يكن لوجوب إرجاع موارد التنازع إلى الكتاب والسنّة والردّ إلى الله والرسول معنى على مايدلّ عليه قوله : وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذاقضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقدضلّ ضلالاً مبيناً «الأحزاب : ٣٦» فقضاء الله هو التشريع وقضاء رسوله إمّا ذلك وإمّا الأعمّ . وإنّما الّذي لهم أن يروا رأيهم في موارد نفوذ الولاية ، وأن يكشفوا عن حكم الله ورسوله في القضايا والموضوعات العامّة .

وبالجملة لمّا لم يكن لأُولي الأمر هؤلاء خيرة في الشرائع ، ولاعندهم إلّا ماالله ورسوله من الحكم أعني الكتاب والسنّة لم يذكرهم الله سبحانه ثانياً عندذكر الردّ بقوله : فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول اه فلله تعالى إطاعة واحدة ، وللرسول وأُولي الأمر إطاعة واحدة ، ولذلك قال : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم .

ولاينبغي أن يرتاب في أنّ هذه الإطاعة المأمور بها في قوله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول اه إطاعة مطلقة غير مشروطة بشرط ، ولامقيّدة بقيد وهو الدليل على أنّ الرسول لايأمر بشيء ، ولاينهى عن شيء يخالف حكم الله في الواقعة وإلّا كان فرض طاعته تناقضاً منه تعالى وتقدّس ولايتمّ ذلك إلّا بعصمة فيه صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا الكلام بعينه جار في أُولي الأمر غير أنّ وجود قوّة العصمة في الرسول لمّا قامت عليه الحجج من جهة العقل والنقل في حدّ نفسه من غير جهة هذه الآية دون أُولي الأمر ظاهراً أمكن أن يتوهّم متوهّم أنّ أُولي الأمر هؤلاء لا يجب فيهم العصمة ولايتوقّف عليها الآية في استقامة معناها .

بيان ذلك أنّ الّذي تقرّره الآية حكم مجعول لمصلحة الأُمّة يحفظ به مجتمع المسلمين من تسرّب الخلاف والتشتّت فيهم وشقّ عصاهم فلايزيد على الولاية المعهودة بين الأُمم والمجتمعات، تعطي للواحد من الإنسان افتراض الطاعة ونفوذ الكلمة، وهم يعلمون أنّه ربّما يعصي وربّما يغلط في حكمه. لكن إذا علم بمخالفته القانون في حكمه لايطاع فيه، وينبّه فيما أخطأ، وفيما يحتمل خطأه ينفذ حكمه وإن كان مخطئاً في الواقع ولا يبالي بخطأه فإنّ مصلحة حفظ وحدة المجتمع والتحرّز من تشتّت الكلمة مصلحة يتدارك بها أمثال هذه الأغلاط والاشتباهات.

وهذا حال أُولي الأمر الواقع في الآية في افتراض طاعتهم؛ فرض الله طاعتهم على المؤمنين فإن أمروا بمايخالف الكتاب والسنّة فلا يجوز ذلك منهم ولا ينفذ حكمهم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لاطاعة لمخلوق في معصية خالق» وقد روى هذا المعنى الفريقان وبه يقيّد إطلاق الآية، وأمّا الخطأ والغلط فإن علم به ردّ إلى الحقّ وهو حكم الكتاب والسنّة، وإن احتمل خطأه نفذ فيه حكمه كما فيما علم عدم خطأه، ولا بأس بوجوب القبول وافتراض الطاعة فيما يخالف الواقع هذا النوع لأنّ مصلحة حفظ الوحدة في الأُمّة وبقاء السودد والأُبّهة تتدارك بها هذه المخالفة، ويعود إلى مثل ماتقرّر في أُصول الفقه من حجّيّة الطرق الظاهريّة مع بقاء الأحكام الواقعيّة على حالها، وعند مخالفة مؤدّاها للواقع تتدارك المفسدة اللازمة بمصلحة الطريق.

وبالجملة طاعة أُولي الأمر مفترضة وإن كانوا غير معصومين يجوز عليهم الفسق والخطأ فإن فسقوا فلاطاعة لهم، وإن أخطؤوا ردّوا إلى الكتاب والسنّة إن علم منهم ذلك، ونفذ حكمهم فيما لم يعلم ذلك، ولا بأس بإنفاذ مايخالف حكم الله في الواقع دون الظاهر رعاية لمصلحة الإسلام والمسلمين، وحفظاً لوحدة الكلمة.

وأنت بالتأمّل فيما قدّمناه من البيان تعرف سقوط هذه الشبهة من أصله، وذلك أنّ هذا التقريب من الممكن أن نساعده في تقييد إطلاق الآية في صورة الفسق بماذكر من قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لاطاعة لمخلوق في معصية خالق» ومايؤدّي هذا المعنى

من الآيات القرآنيّة كقوله : إنّ الله لا يأمر بالفحشاء « الأعراف : ٢٨ » ومافي هذا المعنى من الآيات .

وكذا من الممكن بل الواقع أن يجعل شرعاً نظير هذه الحجّيّة الظاهريّة المذكورة كفرض طاعة أمراء السرايا الّذين كان ينصبهم عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذا الحكّام الّذين كان يولّيهم على البلاد كمكّة ويمن أو يخلّفهم بالمدينة إذا خرج إلى غزاة ، وكحجّيّة قول المجتهد على مقلّده وهكذا لكنّه لا يوجب تقيّد الآية فكون مسألة من المسائل صحيحة في نفسه أمر وكونها مدلولاً عليها بظاهر آية قرآنيّة أمر آخر .

فالآية تدلّ على افتراض طاعة أُولي الأمر هؤلاء ، ولم تقيّده بقيد ولا شرط ، وليس في الآيات القرآنيّة مايقيّد الآية في مدلولها حتّى يعود معنى قوله « وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم » إلى مثل قولنا : وأطيعوا أُولي الأمر منكم فيما لم يأمروا بمعصية أو لم تعلموا بخطأهم فإن أمروكم بمعصية فلا طاعة عليكم ، وإن علمتم خطأهم فقوّموهم بالردّ إلى الكتاب والسنّة فما هذا معنى قوله : وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم .

مع أنّ الله سبحانه أبان ماهو أوضح من هذا القيد فيما هو دون هذه الطاعة المفترضة كقوله في الوالدين : ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك لتشرك بي مالیس لك به علم فلا تطعهما الآية « العنكبوت : ٨ » فما باله لم يظهر شيئاً من هذه القيود في آية تشتمل على أُسّ أساس الدين ، وإليها تنتهي عامّة أعراق السعادة الإنسانيّة .

على أنّ الآية جمع فيها بين الرسول وأُولي الأمر ، وذكر لهما معاً طاعة واحدة فقال : وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم ، ولا يجوز على الرسول أن يأمر بمعصية أو يغلط في حكم فلو جاز شيء من ذلك على أُولي الأمر لم يسع إلاّ أن يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أيّ تقييد ، ولازمه اعتبار العصمة في جانب أُولي الأمر كما اعتبر في جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير فرق .

ثمّ إنّ المراد بالأمر في أُولي الأمر هو الشأن الراجع إلى دين المؤمنين المخاطبين

بهذا الخطاب أودنياهم على مايؤيّده قوله تعالى : وشاورهم في الأمر « آل عمران : ١٥٩ » وقوله في مدح المتّقين : وأمرهم شورى بينهم « الشورى : ٣٨ » وإن كان من الجائز بوجه أن يراد بالأمر مايقابل النهي لكنّه بعيد .

وقد قيّد بقوله : « منكم » وظاهره كونه ظرفاً مستقرّاً أي أُولي الأمر كائنين منكم وهو نظير قوله تعالى : هوالّذي بعث في الأُمّيّين رسولاً منهم «الجمعة : ٢ » وقوله في دعوة إبراهيم : « ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم» البقرة : ١٢٩» وقوله : « رسلاً منكم يقصّون عليكم آياتي «الأعراف : ٣٥» وبهذا يندفع ماذكره بعضهم : أنّ تقييد أُولي الأمر بقوله : « منكم » يدلّ على أنّ الواحد منهم إنسان عاديّ مثلنا وهم منّا ونحن مؤمنون من غير مزيّة عصمة إلهيّة .

ثمّ إنّ أُولي الأمر لمّا كان اسم جمع يدلّ على كثرة جمعيّة في هؤلاء المسمّين بأُولى الأمر فهذا لاشكّ فيه لكن يحتمل في بادىء النظر أن يكونوا آحاداً يلي الأمر ويتلبّس بافتراض الطاعة واحد منهم بعد الواحد فينسب افتراض الطاعة إلى جميعهم بحسب اللّفظ ، والأخذ بجامع المعنى . كقولنا : صلّ فرائضك وأطع سادتك وكبراء قومك .

و من عجيب الكلام ماذكره الرازيّ : أنّ هذا المعنى يوجب حمل الجمع على المفرد ، وهو خلاف الظاهر ؛ وقد غفل عن أنّ هذا استعمال شائع في اللّغة ، والقرآن مليء به كقوله تعالى : فلاتطع المكذّبين «القلم : ٨» وقوله : فلاتطع الكافرين «الفرقان :٥٢» وقوله : إنّا أطعنا سادتنا وكبراءنا « الأحزاب : ٦٧ » وقوله : ولاتطيعوا أمر المسرفين « الشعراء : ١٥١ » وقوله : حافظوا على الصلوات « البقرة : ٢٣٨ » وقوله : و اخفض جناحك للمؤمنين« الحجر : ٨٨» إلى غير ذلك من الموارد المختلفة بالإثبات و النفي ، والإخبار و الإنشاء .

والّذي هو خلاف الظاهر من حمل الجمع على المفرد هو أن يطلق لفظ الجمع و يراد به واحد من آحاده لاأن يوقع حكم على الجمع بحيث ينحلّ إلى أحكام متعدّدة بتعدّد الآحاد ؛ كقولنا : أكرم علماء بلدك أي أكرم هذا العالم ، وأكرم ذاك العالم ، وهكذا .

ويحتمل أيضاً أن يكون المراد بأُولي الأمر - هؤلاء الّذين هم متعلّق افتراض الطاعة - الجمع من حيث هو جمع أي الهيئة الحاصلة من عدّة معدودة كلّ واحد منهم من أُولي الأمر، و هو أن يكون صاحب نفوذ في الناس، و ذا تأثير في أُمورهم كرؤساء الجنود والسرايا والعلماء و أولياء الدولة، وسراة القوم؛ بل كما ذكره في المنار هم أهل الحلّ والعقد الّذين تثق بهم الأُمّة من العلماء والرؤساء في الجيش والمصالح العامّة كالتجارة والصناعات والزراعة وكذا رؤساء العمّال والأحزاب، و مديرو الجرائد المحترمة، ورؤساء تحريرها! فهذا معنى كون أُولي الأمر هم أهل الحلّ و العقد، وهم الهيئة الاجتماعيّة من وجوه الأُمّة لكنّ الشأن في تطبيق مضمون تمام الآية على هذا الاحتمال.

الآية دالّة - كما عرفت - على عصمة أُولي الأمر و قد اضطرّ إلى قبول ذلك القائلون بهذا المعنى من المفسّرين.

فهل المتّصف بهذه العصمة أفراد هذه الهيئة فيكون كلّ واحد واحد منهم معصوماً فالجميع معصوم إذ ليس المجموع إلّا الآحاد؟ لكن من البديهيّ أن لم يمرّ بهذه الأُمّة يوم يجتمع فيه جماعة من أهل الحلّ والعقد كلّهم معصومون على إنفاذ أمر من أُمور الأُمّة و من المحال أن يأمر الله بشيء لا مصداق له في الخارج. أو أنّ هذه العصمة - وهي صفة حقيقيّة - قائمة بتلك الهيئة قيام الصفة بموصوفها وإن كانت الأجزاء والأفراد غير معصومين بل يجوز عليهم من الشرك و المعصية ما يجوز على سائر أفراد الناس فالرأي الّذي يراه الفرد يجوز فيه الخطأ وإن يكون داعياً إلى الضلال و المعصية بخلاف ما إذا رأته الهيئة المذكورة لعصمتها؛ وهذا أيضاً محال و كيف يتصوّر اتّصاف موضوع اعتباريّ بصفة حقيقيّة أعني اتّصاف الهيئة الاجتماعيّة بالعصمة.

أو أنّ عصمة هذه الهيئة ليست وصفاً لأفرادها ولا لنفس الهيئة بل حقيقته أنّ الله يصون هذه الهيئة أن تأمر بمعصية أو ترى رأياً فتخطىء فيه، كما أنّ الخبر المتواتر مصون عن الكذب؛ ومع ذلك ليست هذه العصمة بوصف لكلّ واحد من المخبرين ولا للهيئة الاجتماعيّة بل حقيقته أنّ العادة جارية على امتناع الكذب فيه، و بعبارة

أُخرى هو تعالى يصون الخبر الّذي هذا شأنه عن وقوع الخطأ فيه و تسرّب الكذب عليه ؛ فيكون رأي أُولي الأمر ممّا لايقع فيه الخطأ البتّة و إن لم يكن آحادهم ولا هيئتهم متّصفة بصفة زائدة بل هو كالخبر المتواتر مصون عن الكذب والخطأ وليكن هذا معنى العصمة في أُولي الأمر ، والآية لا تدلّ على أزيد من أنّ رأيهم غير خابط بل مصيب يوافق الكتاب والسنّة ، وهو من عناية الله على الأُمّة ، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أنّه قال : لاتجتمع أُمّتي على خطأ .

أمّا الرواية فهي أجنبيّة عن المورد فإنّها إن صحّت فإنّما تنفي اجتماع الأُمّة على خطأ ، ولاتنفي اجتماع أهل الحلّ و العقد منهم على خطأ ، وللأُمّة معنى ولأهل الحلّ و العقد معنى آخر ، ولادليل على إرادة معنى الثاني من لفظ الأوّل ، وكذا لاتنفي الخطأ عن اجتماع الأُمّة بل تنفي الاجتماع على خطأ ؛ وبينهما فرق .

ويعود معنى الرواية إلى أنّ الخطأ في مسألة من المسائل لايستوعب الأُمّة بل يكون دائماً فيهم من هو على الحقّ : إمّا كلّهم أو بعضهم ولو معصوم واحد ، فيوافق مادلّ من الآيات والروايات على أنّ دين الإسلام و ملّة الحقّ لايرتفع من الأرض بل هو باق إلى يوم القيامة ؛ قال تعالى : فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين « الأنعام : ٨٩ » وقوله : وجعلها كلمة باقية في عقبه « الزخرف : ٢٨ » وقوله : إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون « الحجر : ٩ » وقوله : وإنّه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه « فصّلت : ٤٢ » إلى غير ذلك من الآيات .

وليس يختصّ هذا بأُمّة محمد بل الصحيح من الروايات تدلّ على خلافه ، وهي الروايات الواردة من طرق شتّى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الدالّة على افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة ، والمسلمين على ثلاث وسبعين فرقة كلّهم هالك إلّا واحدة ؛ وقد نقلنا الرواية في المبحث الروائيّ الموضوع في ذيل قوله تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعاً « آل عمران : ١٠٣ » .

وبالجملة لا كلام على متن الرواية إن صحّ سندها فإنّها أجنبيّة عن مورد الكلام ،

وإنّما الكلام في معنى عصمة أهل الحلّ و العقد من الأُمّة لو كان هو المراد بقوله : واُولي الأمر منكم .

ما هو العامل الموجب لعصمة أهل الحلّ والعقد من المسلمين فيما يرونه من الرأي ؟ هذه العصابة الّتي شأنها الحلّ والعقد في الاُمور غير مختصّة بالأُمّة المسلمة بل كلّ اُمّة من الاُمم العظام بل الاُمم الصغيرة بل القبائل والعشائر لاتفقد عدّة من أفرادها لهم مكانة في مجتمعهم ذات قوّة و تأثير في الاُمور العامّة ،وأنت إذا فحصت التاريخ في الحوادث الماضية ومافي عصرنا من الاُمم والأجيال وجدت موارد كثيرة اجتمعت أهل الحلّ والعقد منهم في مهامّ الاُمور وعزائمها على رأي استصوبوه ثمّ عقّبوه بالعمل ، فربّما أصابوا وربّما أخطؤوا ؛ فالخطأ وإن كان في الآراء الفرديّة أكثر منه في الآراء الاجتماعيّة لكنّ الآراء الاجتماعيّة ليست بحيث لاتقبل الخطأ أصلاً فهذا التاريخ وهذه المشاهدة يشهدان منه على مصاديق وموارد كثيرة جدّاً .

فلو كان الرأي الاجتماعيّ من أهل الحلّ والعقد في الإسلام مصوناً عن الخطأ فإنّما هو بعامل ليس من سنخ العوامل العاديّة بل عامل من سنخ العوامل المعجزة الخارقة للعادة ، ويكون حينئذ كرامة باهرة تختصّ بها هذه الاُمّة تقيم صلبهم ، وتحفظ حماهم وتقيهم من كلّ شرّ يدبّ في جماعتهم ووحدتهم وبالأخرة سبباً معجزاً إلهيّاً يتلو القرآن الكريم ، ويعيش ماعاش القرآن ، نسبته إلى حياة الاُمّة العمليّة نسبة القرآن إلى حياتهم العلميّة فكان من اللاّزم أن يبيّن القرآن حدوده وسعة دائرته ، ويمتنّ الله به كما امتنّ بالقرآن وبمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، ويبيّن لهذه العصابة وظيفتهم الاجتماعيّة كما بيّن لنبيّه ذلك ، وأن يوصي به النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اُمّته ، ولاسيّما أصحابه الكرام وهم الّذين صاروا بعده أهلاً للحلّ والعقد ، وتقلّدوا ولاية اُمور الاُمّة . وأن يبيّن أنّ هذه العصابة المسمّاة باُولي الأمر ماحقيقتها ، وماحدّها وماسعة دائرة عملها ، وهل يتشكّل هيئة حاكمة واحدة على جميع المسلمين في الاُمور العامّة لجميع الاُمّة الإسلاميّة ؟ أو تنعقد في كلّ جمعيّة إسلاميّة جمعيّة اُولي الأمر فيحكم في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم ؟ .

ولكان من اللازم أن يهتمّ به المسلمون ولاسيّما الصحابة فيسألوا عنه ويبحثوا فيه . وقدسألوا عن أشياء لا قدر لها بالنسبة إلى هذه المهمّة كالأهلّة ، وماذا ينفقون ، والأنفال ؛ قال تعالى : «يسألونك عن الأهلّة » و «ويسألونك ماذاينفقون» و« يسألونك عن الأنفال » فمابالهم لم يسألوا ؟ أوأنّهم سألوا ثمّ لعبت بهالأيدي فخفي علينا ؟ فليس الأمر ممّا يخالف هوى أكثريّة الأمّة الجارية على هذه الطريقة حتّى يقضوا عليه بالإعراض فالترك حتّى ينسى .

ولكان من الواجب أن يحتجّ به في الاختلافات والفتن الواقعة بعدار تحال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حيناً بعد حين ، فما لهذه الحقيقة لاتوجد لهاعين ولا أثر في احتجاجاتهم ومناظراتهم ، وقدضبطها النقلة بكلماتهاوحروفها ، ولاتوجد في خطاب ولاكتاب ؟ ولم تظهر بين قدماء المفسّرين من الصحابة والتابعين حتّى ذهب إليه شرذمة من المتأخّرين : الرازيّ وبعض من بعده ! .

حتّى أنّ الرازيّ أورد على هذا الوجه بعدذكره : بأنّه مخالف للإجماع المركّب فإنّ الأقوال في معنى أولي الأمر لاتجاوز أربعة : الخلفاء الراشدون ، وأمراء السرايا ، والعلماء ، والأئمّة المعصومون ؛ فالقول الخامس خرق للإجماع . ثمّ أجاب بأنّه في الحقيقة راجع إلى القول الثالث فأفسد على نفسه ماكان أصلحه فهذا كلّه يقضي بأنّ الأمر لم يكن بهذه المثابة ، ولم يفهم منه أنّه عطيّة شريفة وموهبة عزيزة من معجزات الإسلام وكراماته الخارقة لأهل الحلّ والعقد من المسلمين .

أويقال : إنّ هذه العصمة لاتنتهي إلى عامل خارق للعادة بل الإسلام بنى تربيته العامّة على أصول دقيقة تنتج هذه النتيجة : إنّ أهل الحلّ والعقد من الأمّة لايغلطون فيما اجتمعوا عليه ، ولايعرضهم الخطأ فيما رأوه .

وهذا الاحتمال مع كونه باطلاً من جهة منافاته للناموس العامّ وهوأنّ إدراك الكلّ هو مجموع إدراكات الأبعاض ، وإذا جاز الخطأ على كلّ واحد واحد جاز على الكلّ يرد عليه أنّ رأي أولي الأمر بهذا المعنى لواعتمد في صحّته وعصمته على مثل هذا العامل غير المغلوب لم يتخلّف عن أثره فإلى أين تنتهي هذه الأباطيل والفسادات الّتي ملأت العالم الإسلامي ؟ .

وكم من منتدى إسلامي بعد رحلة النبي ﷺ اجتمع فيه أهل الحل والعقد من المسلمين على ما اجتمعوا عليه ثم سلكوا طريقاً يهديهم إليه رأيهم فلم يزيدوا إلا ضلالاً ولم يزد إسعادهم المسلمين إلا شقاءاً ولم يمكث الاجتماع الديني بعد النبي ﷺ دون أن عاد إلى إمبراطورية ظالمة حاطمة ! فليبحث الباحث الناقد في الفتن الناشئة منذ قبض رسول الله ﷺ ، وما استتبعته من دماء مسفوكة ، وأعراض مهتوكة وأموال منهوبة ، وأحكام عطلت ، وحدوداً بطلت ! ثم ليبحث في منشئها ومحتدها ، وأصولها وأعراقها هل تنتهي الأسباب العاملة فيها إلا إلى ما رأته أهل الحل والعقد من الأمة ثم حملوا ما رأوه على أكتاف الناس ؟ .

فهذا حال هذا الركن الركين الذي يعتمد عليه بناية الدين أعني رأي أهل الحل والعقد لو كان هو المراد بأولي الأمر المعصومين في رأيهم .

فلا مناص على القول بأن المراد بأولي الأمر أهل الحل والعقد من أن نقول بجواز خطأهم وأنهم على حد سائر الناس يصيبون ويخطؤون غير أنهم لما كانوا عصابة فاضلة خبيرة بالأمور مدربين مجربين يقل خطؤهم جداً ، وأن الأمر بوجوب طاعتهم مع كونهم ربما يغلطون ويخطؤون من باب المسامحة في موارد الخطأ نظراً إلى المصلحة الغالبة في مداخلتهم فلو حكموا بما يغاير حكم الكتاب والسنة ، ويطابق ما شخصوه من مصلحة الأمة بتفسير حكم من أحكام الدين بغير ما كان يفسر سابقاً أو تغيير حكم بما يوافق صلاح الوقت أو طبع الأمة أو وضع حاضر الدنيا كان هو المتبع ، وهو الذي يرتضيه الدين لأنه لا يريد إلا سعادة المجتمع ورقيه في اجتماعه كما هو الظاهر المتراءى من سير الحكومات الإسلامية في صدر الإسلام ومن دونهم فلم يمنع حكم من الأحكام الدائرة في زمن النبي ﷺ ولم يقض على سيرة من سيره وسننه إلا علل ذلك بأن الحكم السابق يزاحم حقاً من حقوق الأمة ، وأن صلاح حال الأمة في إنفاذ حكم جديد يصلح شأنهم . أو سن سنة حديثة توافق آمالهم في سعادة الحياة ، وقد صرح بعض الباحثين[1] أن الخليفة له أن يعمل بما يخالف صريح الدين حفظاً لصلاح الأمة .

---

(١) صاحب فجر الاسلام فيه .

وعلى هذا فيكون حال الملّة الإسلاميّة حال سائر المجتمعات الفاضلة المدنيّة في أنّ فيها جمعيّة منتخبة تحكم على قوانين المجتمع على حسب ما تراه و تشاهده من مقتضيات الأحوال ، وموجبات الأوضاع .

و هذا الوجه أو القول - كما ترى - قول من يرى أنّ الدين سنّة اجتماعيّة سبكت في قالب الدين ، وظهرت في صورته فهو محكوم بما يحكم على متون الاجتماعات البشريّة وهياكلها بالتطوّر في أطوار الكمال التدريجيّ ، ومثال عال لا ينطبق إلّا على حياة الإنسان الّذي كان يعيش في عصر النبوّة وما يقاربه .

فهي حلقة متقضّية من حلق هذه السلسلة المسمّاة بالمجتمع الإنسانيّ لا ينبغي أن يبحث عنها اليوم إلّا كما يبحث علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا) عن السلع المستخرجة من تحت أطباق الأرض .

والّذي يذهب إلى مثل هذا القول لا كلام لنا معه في هذه الآية : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم الآية فإنّ القول يبتني على أصل مؤثّر في جميع الأُصول والسنن المأثورة من الدين من معارف أصليّة ونواميس أخلاقيّة وأحكام فرعيّة ولو حمل على هذا ما وقع من الصحابة في زمن النبيّ وفي مرض موته ثمّ الاختلافات الّتي صدرت منهم وما وقع من تصرّف الخلفاء في بعض الأحكام وبعض سير النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ في زمن معاوية ومن تلاه من الأمويّين ثمّ العبّاسيّين ثمّ الّذين يلونهم و الجميع أُمور متشابهة أنتج نتيجة باهتة .

ومن أعجب الكلام المتعلّق بهذه الآية ما ذكره بعض المؤلّفين أنّ قوله تعالى : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» لا يدلّ على شيء ممّا ذكره المفسّرون على اختلاف أقوالهم .

أمّا أوّلاً فلأنّ فرض طاعة أُولي الأمر كائنين من كانوا لا يدلّ على فضل ومزيّة لهم على غيرهم أصلاً كما أنّ طاعة الجبابرة والظلّام واجبة علينا في حال الاضطرار اتّقاءاً من شرّهم ، ولن يكونوا بذلك أفضل منّا عند الله سبحانه .

وأمّا ثانياً فلأنّ الحكم المذكور في الآية لا يزيد على سائر الأحكام الّتي تتوقّف

فعليّتها على تحقّق موضوعاتها نظير وجوب الإنفاق على الفقير وحرمة إعانة الظالم فليس يجب علينا أن نوجد فقيراً حتّى ننفق عليه أو ظالماً حتّى لا نعينه .

والوجهان اللّذان ذكرهما ظاهرا الفساد . مضافاً إلى أنّ هذا القائل قد رأى أنّ المراد بأُولي الأمر في الآية الحكّام والسلاطين وقد تبيّن فساد هذا الاحتمال .

أمّا الوجه الأوّل فلأنّه غفل عن أنّ القرآن مملوء من النهي عن طاعة الظالمين والمسرفين والكافرين ، ومن المحال أن يأمر الله مع ذلك بطاعتهم ثمّ يزيد على ذلك فيقرن طاعتهم بطاعة نفسه ورسوله ، ولو فرض كون هذه الطاعة طاعة تقيّة لعبّر عنها بإذن ونحو ذلك كما قال تعالى : إلّا أن تتّقوا منهم تقاة « آل عمران ٢٨ » لا بالأمر بطاعتهم صريحاً حتّى يستلزم كلّ محذور شنيع .

وأمّا الوجه الثاني فهو مبنيّ على الوجه الأوّل من معنى الآية أمّا لو فرض افتراض طاعتهم لكونهم ذا شأن في الدين كانوا معصومين لما تقدّم تفصيلاً ، ومحال أن يأمر الله بطاعة من لا مصداق له ، أو له مصداق اتّفاقيّ في آية تتضمّن أُسّ أساس المصالح الدينيّة وحكماً لا يستقيم بدونه حال المجتمع الإسلاميّ أصلاً ، وقد عرفت أنّ الحاجة إلى أُولي الأمر عين الحاجة إلى الرسول وهي الحاجة إلى ولاية أمر الأُمّة وقد تكلّمنا فيه في بحث المحكم والمتشابه .

ولنرجع إلى أوّل الكلام في الآية :

ظهر لك من جميع ما قدّمناه أن لا معنى لحمل قوله تعالى : « وا ولي الأمر منكم » على جماعة المجمعين من أهل الحلّ و العقد ، و هي الهيئة الاجتماعيّة بأيّ معنى من المعاني فسّرناه فليس إلّا أنّ المراد بأُولي الأمر آحاد من الأُمّة معصومون في أقوالهم مفترض طاعتهم فتحتاج معرفتهم إلى تنصيص من جانب الله سبحانه من كلامه أو بلسان نبيّه فينطبق على ما روي من طرق أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّهم هم .

وأمّا ما قيل : إنّ أُولي الأمر هم الخلفاء الراشدون أو أُمراء السرايا أو العلماء المتّبعون في أقوالهم و آرائهم فيدفع ذلك كلّه أوّلاً : أنّ الآية تدلّ على عصمتهم ولا عصمة

في هؤلاء الطبقات بلا إشكال إلّا ماتعتقده طائفة من المسلمين في حقّ عليّ عليه السلام . وثانياً : أنّ كلاًّ من الأقوال الثلاث قول من غير دليل يدلّ عليه .

وأمّا ماأُورد على كون المراد به أئمّة أهل البيت المعصومين عليهم السلام :

أولا : أنّ ذلك يحتاج إلى تعريف صريح من الله ورسوله ، ولو كان ذلك لم يختلف في أمرهم اثنان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفيه : أنّ ذلك منصوص عليه في الكتاب والسنّة كآية الولاية وآية التطهير وغير ذلك ، وسيأتي بسط الكلام فيها ، وكحديث السفينة : «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلّف عنها غرق» وحديث الثقلين : «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً» وقد مرّ في بحث المحكم والمتشابه في الجزء الثالث من الكتاب ، وكأحاديث أُولي الأمر المرويّة من طرق الشيعة وأهل السنّة ، وسيجيء بعضها في البحث الروائيّ التالي

وثانياً : أنّ طاعتهم مشروطة بمعرفتهم فإنّها من دون معرفتهم تكليف بمالايطاق وإذا كانت مشروطة فالآية تدفعه لأنّها مطلقة .

وفيه : أنّ الإشكال منقلب على المستشكل فإنّ الطاعة مشروطة بالمعرفة مطلقاً ، وإنّما الفرق أنّ أهل الحلّ والعقد يعرف مصداقهم على قوله من عند أنفسنا من غير حاجة إلى بيان من الله ورسوله ، والإمام المعصوم يحتاج معرفته إلى معرّف يعرّفه ، ولافرق بين الشرط والشرط في منافاته الآية .

على أنّ المعرفة وإن عدّت شرطاً لكنّها ليست من قبيل سائر الشروط فإنّها راجعة إلى تحقّق بلوغ التكليف فلا تكليف من غير معرفة به وبموضوعه ومتعلّقه ، وليست راجعة إلى التكليف والمكلّف به ، ولو كانت المعرفة في عداد سائر الشرائط كالاستطاعة في الحجّ ، ووجدان الماء في الوضوء مثلاً لم يوجد تكليف مطلق أبداً إذ لامعنى لتوجّه التكليف إلى مكلّف سواء علم به أولم يعلم .

وثالثا : أنّا في زماننا هذا عاجزون عن الوصول إلى الإمام المعصوم وتعلّم العلم والدين منه ، فلايكون هو الّذي فرض الله طاعته على الأُمّة إذ لاسبيل إليه .

وفيه : أنّ ذلك مستند إلى نفس الأُمّة في سوء فعالها وخيانتها على نفسها لا إلى الله ورسوله فالتكليف غير مرتفع كما لو قتلت الأُمّة نبيّها ثمّ اعتذرت أنّها لا تقدر على طاعته . على أنّ الإشكال مقلوب عليه فإنّا لا نقدر اليوم على أُمّة واحدة في الإسلام ينفذ فيها ما استصوبته لها أهل الحلّ والعقد منها .

ورابعاً : أنّ الله تعالى يقول : « فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول » اه و لو كان المراد من أُولي الأمر الإمام المعصوم لوجب أن يقال : فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الإمام .

وفيه : أنّ جوابه تقدّم فيما مرّ من البيان ؛ والمراد بالردّ الردّ إلى الإمام بالتقريب الّذي تقدّم .

وخامساً : أنّ القائلين بالإمام المعصوم يقولون : إنّ فائدة اتّباعه إنقاذ الأُمّة من ظلمة الخلاف ، وضرر التنازع و التفرّق وظاهر الآية يبيّن حكم التنازع مع وجود أُولي الأمر ، وطاعة الأُمّة بهم كأن يختلف أُولوا الأمر في حكم بعض النوازل والوقائع ، والخلاف و التنازع مع وجود الإمام المعصوم غير جائز عند القائلين به لأنّه عندهم مثل الرسول ﷺ فلا يكون لهذه الزيادة فائدة على رأيهم .

وفيه : أنّ جوابه ظاهر ممّا تقدّم أيضاً فإنّ التنازع المذكور في الآية إنّما هو تنازع المؤمنين في أحكام الكتاب و السنّة دون أحكام الولاية الصادرة عن الإمام في الوقائع و الحوادث ، وقد تقدّم أن لا حكم إلّا لله و رسوله فإن تمكّن المتنازعون من فهم الحكم من الكتاب والسنّة كان لهم أن يستنبطوه منهما ، أو يسألوا الإمام عنه وهو معصوم في فهمه ، وإن لم يتمكّنوا من ذلك كان عليهم أن يسألوا عنه الإمام ، و ذلك نظير ما كان لمن يعاصر رسول الله ﷺ كانوا يتفقّهون فيما يتمكّنون منه أو يسألون عنه رسول الله ﷺ ، ويسألونه فيما لا يتمكّنون من فهمه بالاستنباط .

فحكم أُولي الأمر في الطاعة حكم الرسول على ما يدلّ عليه الآية ، وحكم التنازع هو الّذي ذكره في الآية سواء في ذلك حضور الرسول كما يدلّ عليه الآيات التالية ، وغيبته كما يدلّ عليه الأمر في الآية بإطلاقه ؛ فالردّ إلى الله والرسول المذكور في الآية

مختص بصورة تنازع المؤمنين كما يدلّ عليه قوله : تنازعتم اه ولم يقل : فإن تنازع أولوا الأمر ، ولا قال : فإن تنازعوا ؛ والردّ إلى الله والرسول عند حضور الرسول هو سؤال الرسول عن حكم المسألة أو استنباطه عن الكتاب والسنّة للمتمكّن منه ، و عند غيبته أن يسأل الإمام عنه أو الاستنباط كما تقدّم بيانه ، فلا يكون قوله : فإن تنازعتم في شيء الخ زائداً من الكلام مستغنى عنه كما ادّعاه المستشكل .

فقد تبيّن من جميع ما تقدّم : أنّ المراد بأولي الأمر في الآية رجال من الأمّة حكم الواحد منهم في العصمة و افتراض الطاعة حكم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، و هذا مع ذلك لا ينافي عموم مفهوم لفظ أولي الأمر بحسب اللّغة ، وإرادته من اللّفظ فإنّ قصد مفهوم من المفاهيم من اللّفظ شيء وإرادة المصداق الّذي ينطبق عليه المفهوم شيء آخر ، و ذلك كما أنّ مفهوم الرسول معنى عامّ كلّيّ وهو المراد من اللّفظ في الآية لكنّ المصداق المقصود هو الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله تعالى : « فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول» إلى آخر الآية تفريع على الحصر المستفاد من المورد فإنّ قوله : أطيعوا الله الخ حيث أوجب طاعة الله و رسوله ، هذه الطاعة إنّما هي في المواد الدينيّة الّتي تتكفّل رفع كلّ اختلاف مفروض ، و كلّ حاجة ممكنة لم يبق مورد تمسّ الحاجة الرجوع إلى غير الله ورسوله ، و كان معنى الكلام : أطيعوا الله اه ولا تطيعوا الطاغوت ، وهو ما ذكرناه من الحصر .

وتوجّه الخطاب إلى المؤمنين كاشف عن أنّ المراد بالتنازع هو تنازعهم بينهم لا تنازع مفروض بينهم و بين أولي الأمر ، ولا تنازع مفروض بين أولي الأمر فإنّ الأوّل أعني التنازع بينهم و بين أولي الأمر لا يلائم افتراض طاعة أولي الأمر عليهم ، و كذا الثاني أعني التنازع بين أولي الأمر فإنّ افتراض الطاعة لا يلائم التنازع الّذي أحد طرفيه على الباطل . على أنّه لا يناسب كون الخطاب متوجّهاً إلى المؤمنين في قوله : فإن تنازعتم في شيء فردّوه اه .

ولفظ الشيء و إن كان يعمّ كلّ حكم و أمر من الله ورسوله و أولي الأمر كائناً ما كان لكنّ قوله بعد ذلك : فردّوه إلى الله والرسول يدلّ على أنّ المفروض هو النزاع

في شيء ليس لأولي الأمر الاستقلال والاستبداد فيه من أوامرهم في دائرة ولايتهم كأمرهم بنفر أو حرب أو صلح أو غير ذلك ؛ إذ لا معنى لإيجاب الردّ إلى الله و الرسول في هذه الموارد مع فرض طاعتهم فيها .

فالآية تدلّ على وجوب الردّ في نفس الأحكام الدينيّة التي ليس لأحد أن يحكم فيها بإنفاذ أو نسخ إلّا الله ورسوله ، والآية كالصريح في أنّه ليس لأحد أن يتصرّف في حكم دينيّ شرّعه الله ورسوله ، وأولوا الأمر ومن دونهم في ذلك سواء .

وقوله : إن كنتم آمنتم بالله اه تشديد في الحكم و إشارة إلى أنّ مخالفته إنّما تنتشئ من فساد في مرحلة الإيمان فالحكم يرتبط به ارتباطاً فالمخالفة تكشف عن التظاهر بصفة الإيمان بالله ورسوله ، و استبطان للكفر ، و هو النفاق كما يدلّ عليه الآيات التالية .

وقوله : ذلك خير وأحسن تأويلاً أي الردّ عند التنازع أو إطاعة الله ورسوله وأولي الأمر ، و التأويل هو المصلحة الواقعيّة الّتي ينشأ منها الحكم ثمّ تترتّب على العمل وقد تقدّم البحث عن معناه في ذيل قوله تعالى : واتبغاء تأويله ومايعلم تأويله إلّا الله الآية « آل عمران : ٧ » في الجزء الثالث من الكتاب .

قوله تعالى : «ألم تر إلى الّذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك» إلى آخر الآية الزعم هو الاعتقاد بكذا سواء طابق الواقع أم لا ؛ بخلاف العلم فإنّه الاعتقاد المطابق للواقع ، ولكون الزعم يستعمل في الاعتقاد في موارد لايطابق الواقع ربّما يظنّ أن عدم مطابقة الواقع مأخوذ في مفهومه و ليس كذلك . والطاغوت مصدر بمعنى الطغيان كالرهبوت والجبروت والملكوت غير أنّه ربّما يطلق ويراد به اسم الفاعل مبالغة يقال : طغى الماء إذا تعدّى ظرفه لوفوره و كثرته ، و كان استعماله في الإنسان أوّلاً على نحو الاستعارة ثمّ ابتذل فلحق بالحقيقة وهو خروج الإنسان عن طوره الّذي حدّه له العقل أو الشرع ؛ فالطاغوت هو الظالم الجبّار ، والمتمرّد عن وظائف عبوديّة الله استعلاءاً عليه تعالى وهكذا ؛ وإليه يعود ماقيل : إنّ الطاغوت كلّ معبود من دون الله .

وقوله : بما أُنزل إليك و ما أُنزل من قبلك اه بمنزلة أن يقال : بما أنزل الله على

رسله . ولم يقل : آمنوا بك وبالّذين من قبلك لأنّ الكلام في وجوب الردّ إلى كتاب الله وحكمه ، وبذلك يظهر أنّ المراد بقوله : « وقد أُمروا أن يكفروا به » الأمر في الكتب السماويّة ، والوحي النازل على الأنبياء : محمّد ومن قبله صلّى الله عليه وآله وعليهم .

وقوله : ألم تر اه الكلام بمنزلة دفع الدخل كأنّه قيل : ماوجه ذكر قوله : أطيعوا الله و أطيعوا الرسول الخ ؟ فقيل : ألم تر إلى تخلّفهم من الطاعة حيث يريدون التحاكم إلى الطاغوت ؟ . والاستفهام للتأسّف والمعنى : من الأسف ما رأيته أنّ بعض الناس ، وهم معتقدون أنّهم مؤمنون بما أُنزل إليك من الكتاب وإلى سائر الأنبياء ، والكتب السماويّة إنّما أُنزلت لتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، و قد بيّنه الله تعالى لهم بقوله : كان الناس أُمّة واحدة فبعث الله النبيّين مبشّرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه «البقرة : ٢١٣» يتحاكمون عند التنازع إلى الطاغوت وهم أهل الطغيان والمتمرّدون عن دين الله المتعدّون على الحقّ ، و قد أُمروا في هذه الكتب أن يكفروا بالطاغوت ، وكفى في منع التحاكم إليهم أنّه إلغاء لكتب الله وإبطال لشرائعه .

وفي قوله « و يريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً ، دلالة على أنّ تحاكمهم إنّما هو بإلقاء الشيطان و إغوائه ، والوجهة فيه الضلال البعيد .

قوله تعالى : « و إذا قيل لهم تعالوا » إلى آخر الآية ، تعالوا بحسب الأصل أمر من التعالي و هو الارتفاع ، وصدّ عنه يصدّ صدوداً أي أعرض و قوله : إلى ما أنزل الله وإلى الرسول اه بمنزلة أن يقال : إلى حكم الله ومن يحكم به . وفي قوله : يصدّون عنك اه إنّما خصّ الرسول بالإعراض مع أنّ الّذي دعوا إليه هو الكتاب والرسول معاً لا الرسول وحده لأنّ الأسف إنّما هو من فعل الّذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل الله فهم ليسوا بكافرين حتّى يتجاهروا بالإعراض عن كتاب الله بل منافقون بالحقيقة يتظاهرون بالإيمان بما أنزل الله لكنّهم يعرضون عن رسوله .

ومن هنا يظهر أنّ الفرق بين الله ورسوله بتسليم حكم الله والتوقّف في حكم الرسول نفاق البتّة .

قوله تعالى : « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً » تقديم « ذلك » وإتيانه بصيغة الإشارة الدالّة على البعيد ودخول اللّام في الخبر يدلّ على تفخيم أمر هذا الفضل كأنّه كلّ الفضل ، وختم الآية بالعلم لكون الكلام في درجات الإيمان الّتي لا سبيل إلى تشخيصها إلّا العلم الإلهي .

واعلم أنّ في هذه الآيات الشريفة موارد عديدة من الالتفات الكلاميّ متشابك بعضها مع بعض فقداُ خذ المؤمنون في صدر الآيات مخاطبين ثمّ في قوله : « ولو أنّا كتبنا عليهم » كما مرّ غائبين ، وكذلك أخذ تعالى نفسه في مقام الغيبة في صدر الآيات في قوله : أطيعوا الله الآية ، ثمّ في مقام المتكلّم مع الغير في قوله : وما أرسلنا من رسول الآية ، ثمّ الغيبة في قوله : بإذن الله الآية ، ثمّ المتكلّم مع الغير في قوله : ولو أنّا كتبنا الآية ثمّ الغيبة في قوله : ومن يطع الله والرسول الآية .

وكذلك الرسول اخذ غائباً في صدر الآيات في قوله : وأطيعوا الرسول الآية ، ثمّ مخاطباً في قوله : ذلك خيرٌ الآية ، ثمّ غائباً في قوله : واستغفر لهم الرسول الآية ، ثمّ مخاطباً في قوله : فلا وربّك الآية ، ثمّ غائباً في قوله : ومن يطع الله والرسول الآية ، ثمّ مخاطباً في قوله : وحسن اُولئك الآية . فهذه عشر موارد من الالتفات الكلاميّ ، والنكات المختصّة بكلّ مورد مورد ظاهرة للمتدبّر .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير البرهان عن ابن بابويه بإسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاريّ : لمّا أنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم : « يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واُولي الأمر منكم » قلت : يارسول الله عرفنا الله ورسوله فمن اُولوا الأمر الّذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : هم خلفائي ياجابر وأئمّة المسلمين من بعدي : أوّلهم عليّ بن أبي طالب ، ثمّ الحسن ، ثمّ الحسين ، ثمّ عليّ بن الحسين ، ثمّ محمّد بن عليّ المعروف في التوراة بالباقر ستدركه ياجابر فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام ، ثمّ الصادق جعفر بن محمّد ، ثمّ موسى بن جعفر ، ثمّ عليّ بن موسى ، ثمّ محمّد بن عليّ ، ثمّ عليّ بن محمّد ، ثمّ الحسن بن

عليّ، ثمّ سميّي محمّد وكنيّي حجّة الله في أرضه وبقيّته في عباده ابن الحسن بن عليّ ذاك الّذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الّذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيه على القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إي والّذي بعثني بالنبوّة إنّهم يستضيؤون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها سحاب؛ يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلّا عن أهله.

أقول: وعن النعماني بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن عليّ عليه السلام ما في معنى الرواية السابقة، ورواها عليّ بن إبراهيم بإسناده عن سليم عنه عليه السلام، وهناك روايات أخر من طرق الشيعة وأهل السنّة، وفيها ذكر إمامتهم بأسمائهم من أراد الوقوف عليها فعليه بالرجوع إلى كتاب ينابيع المودّة وكتاب غاية المرام للبحراني وغيرهما.

وفي تفسير العيّاشي عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» قال: الأوصياء.

أقول: وفي تفسير العيّاشي عن عمر بن سعيد عن أبي الحسن عليه السلام مثله، وفيه: عليّ بن أبي طالب والأوصياء من بعده.

وعن ابن شهر آشوب: سأل الحسن بن صالح عن الصادق عليه السلام عن ذلك فقال: الأئمّة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أقول: وروى مثله الصدوق عن أبي بصير عن الباقر عليه السلام وفيه: قال: الأئمّة من ولد عليّ وفاطمة إلى أن تقوم الساعة.

وفي الكافي بإسناده عن أبي مسروق عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّا نكلّم أهل الكلام فنحتجّ عليهم بقول الله عزّ وجلّ: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فيقولون: نزلت في المؤمنين، ونحتجّ عليهم بقول الله عزّ وجلّ: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» فيقولون: نزلت في قربى المسلمين قال: فلم أدع شيئاً ممّا حضرني ذكره من هذا وشبهه إلّا ذكرته، فقال لي: إذا كان ذلك

فادعهم إلى المباهلة ، قلت : وكيف أصنع ؟ فقال : أصلح نفسك ثلاثاً وأطبه ؛ قال : وصم واغتسل وابرز أنت وهو إلى الجبال فتشبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه ثم أنصفه ، وابدأ بنفسك ، وقل : اللّهم ربّ السموات السبع وربّ الأرضين السبع عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إن كان أبو مسروق جحد حقّاً وادّعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السماء وعذاباً أليماً ؛ ثم ردّ الدعوة عليه فقل : وإن جحد حقّاً وادّعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السماء وعذاباً أليماً .

ثم قال لي : فإنّك لا تلبث أن ترى ذلك فيه ؛ فوالله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه .

وفي تفسير العيّاشيّ عن عبدالله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم » قال : هي في عليّ وفي الأئمّة جعلهم الله مواضع الأنبياء غير أنّهم لا يحلّون شيئاً ولا يحرّمونه .

أقول : والاستثناء في الرواية هو الّذي قدّمنا في ذيل الكلام على الآية أنّها تدلّ على أن لا حكم تشريعاً إلّا لله ورسوله .

وفي الكافي بإسناده عن بريد بن معاوية قال : تلا أبو جعفر عليه السلام : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منكم .

قال : كيف يأمر بطاعتهم ويرخّص في منازعتهم إنّما قال ذلك للمارقين الّذين قيل لهم : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول .

أقول : الرواية لا تدلّ على أزيد من كون ما تلاه عليه السلام تفسيراً للآية وبياناً للمراد منها ، وقد تقدّم في البيان السابق توضيح دلالتها على ذلك ، وليس المراد هو القراءة كما ربما يستشعر من قوله : تلا أبو جعفر عليه السلام .

ويدلّ على ذلك اختلاف اللّفظ الموجود في الروايات كما في تفسير القميّ بإسناده عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال : نزلت : « فإن تنازعتم في شيء فارجعوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أُولي الأمر منكم » .

وما في تفسير العيّاشيّ عن بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام (وهو رواية الكافي

السابقة) وفي الحديث : ثمّ قال للناس : « يا أيّها الّذين آمنوا » فجمع المؤمنين إلى يوم القيامة « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واُولي الأمر منكم » إيّانا عنى خاصّة « فإن خفتم تنازعاً في الأمر فارجعوا إلى الله وإلى الرسول واُولي الأمر منكم » هكذا نزلت ، وكيف يأمرهم بطاعة اُولي الأمر ويرخّص لهم في منازعتهم إنّما قيل ذلك للمأمورين الّذين قيل لهم : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واُولي الأمر منكم » .

وفي تفسير العيّاشيّ : في رواية أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزلت (يعني آية أطيعوا الله اه) في عليّ بن أبي طالب عليه السلام قلت له : إنّ الناس يقولون لنا : فما منعه أن يسمّي عليّاً وأهل بيته في كتابه ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : قولوا لهم : إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الّذي فسّر ذلك (لهم) وأنزل الحجّ ولم ينزل طوفوا اُسبوعاً حتّى فسّر ذلك لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والله أنزل : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واُولي الأمر منكم » تنزّلت في عليّ والحسن والحسين عليهم السلام ، وقال في عليّ : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي إنّي سألت الله أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك ، وقال : فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ، إنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولن يدخلوكم في باب ضلال ، ولو سكت رسول الله ولم يبيّن أهلها لادّعى آل عبّاس وآل عقيل وآل فلان ، ولكن أنزل الله في كتابه : « إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً » فكان عليّ والحسن والحسين و فاطمة عليهم السلام تأويل هذه الآية ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فأدخلهم تحت الكساء في بيت اُمّ سلمة وقال : اللّهمّ إنّ لكلّ نبيّ ثقلاً وأهلاً فهؤلاء ثقلي وأهلي ؛ وقالت اُمّ سلمة : ألست من أهلك ؟ قال : إنّك إلى خير ، ولكنّ هؤلاء ثقلي وأهلي . الحديث .

أقول : وروي في الكافي بإسناده عن أبي بصير عنه عليه السلام مثله مع اختلاف يسير في اللّفظ .

وفي تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن تفسير مجاهد : إنّها نزلت في أمير المؤمنين

حين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة فقال : يارسول الله أتخلّفني على النساء والصبيان ؟ فقال : ياأمير المؤمنين أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى ؟ حين قال له : « اخلفني في قومي وأصلح » فقال الله : وأُولي الأمر منكم .

قال : عليّ بن أبي طالب ولّاه الله أمر الأُمّة بعد محمد ، وحين خلّفه رسول الله ﷺ بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه .

وفيه عنه عن إبانة الفلكيّ : إنّها نزلت حين شكا أبو بريدة من عليّ عليه السلام . الخبر .

وفي العبقات عن كتاب ينابيع المودّة للشيخ سليمان بن إبراهيم البلخيّ عن المناقب عن سليم بن قيس الهلاليّ عن عليّ في حديث : قال : وأمّا أدنى مايكون به العبد ضالا أن لا يعرف حجّة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده ، الّذي أمر الله عباده بطاعته ، وفرض ولايته .

قال سليم : قلت : ياأمير المؤمنين صفهم لي . قال : الّذين قرنهم الله بنفسه ونبيّه فقال : «ياأيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم» فقلت له : جعلني الله فداك أوضح لي . فقال : الّذين قال رسول الله ﷺ في مواضع وفي آخر خطبته يوم قبضه الله عزّ وجلّ إليه : إنّي تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي إن تمسّكتم بهما : كتاب الله عزّ وجلّ ، وعترتي أهل بيتي ؛ فإنّ اللّطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين ـ وجمع بين مسبّحتيه ـ ولا أقول : كهاتين ـ وجمع مسبّحته والوسطى ـ فتمسّكوا بهما ولا تقدّموهم فتضلّوا .

أقول : والروليات عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في المعاني السابقة كثيرة جدًّا ، وقد اقتصرنا فيما نقلناه على إيراد نموذج من كلّ صنف منها ، وعلى من يطلبها أن يراجع جوامع الحديث .

وأمّا الّذي روي عن قدماء المفسّرين فهي ثلاثة أقوال : الخلفاء الراشدون ، وأُمراء السرايا ، والعلماء ؛ ومانقل عن الضحّاك أنّهم أصحاب النبيّ ﷺ فهو يرجع إلى القول الثالث فإنّ اللّفظ المنقول منه : أنّهم أصحاب رسول الله ﷺ هم الدعاة الرواة ؛ وظاهر أنّه تعليل بالعلم فيرجع إلى التفسير بالعلماء .

تأليف الحجة

الشيخ محمد حسن المظفر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد النبيين وآله المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

المسئلة الخامسة في الامامة
(وجوب عصمة الامام)

قال المصنف قدس الله نفسه

(المسئلة الخامسة في الامامة) وفيها مباحث « الأول » في أن الامام يجب أن يكون معصوماً ، ذهبت الامامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش من الصغر إلى الموت عمداً وسهواً ، لأنهم حفظة الشرع والقوامون به ، حالهم في ذلك كحال النبي ، ولأن الحاجة إلى الامام إنما هي للانتصاف المظلوم من الظالم ورفع الفساد وحسم مادة الفتن وأن الامام لطف يمنع القاهر من التعدي ويحمل الناس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات وبقيم الحدود والفرائض ويؤاخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير فلو جازت عليه المعصية وصدرت عنه انتفت هذه الفوائد

وافتقر إلى إمام آخر وتسلسل ؛ وخالفت السنة في ذلك وذهبوا إلى جواز إمامة الفساق والعصاة والسراق كما قال الزمخشري وهو من أفضل علمائهم (لا كالدوانيقي المتلصص) يشير به إلى المنصور ؛ فأي عاقل يرضى لنفسه الانقياد الديني والتقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامر من كان يفسق طول وقته وهو غائص في القيادة وأنواع الفواحش ويعرض عن المطيعين المبالغين في الزهد والعبادة وقد أنكر الله تعالى بقوله : (أم من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولو الألباب) فالأشاعرة لا يتمشى هـذا على قواعدهم حيث جوزوا صدور القبائح عنه تعالى ومن جملتها الكذب فجاز الكذب في هذا القول تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، واما الباقون فانهم جوزوا تقديم المفضول على الفاضل فلا يتمشى هذا الانكار على قولهم أيضاً فقد ظهر ان الفريقين خالفوا الكتاب العزيز .

وأقول

لا يخفى ان أصل الشيء أساسه وما يبتني عليه فاصول الدين هي التي يبتني عليها الدين وبالضرورة ان الشهادتين كذلك إذ لا يكون الشخص مسلماً إلا بها ، وكذلك الاعتراف بالامام للكتاب والسنة .

اما الكتاب فقوله تعالى : (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فان الاستفهام فيه ليس على حقيقته لاستلزامه الجهل فلا بد أن يراد به الانكار أو التوبيخ وكل منهما لا يكون إلا على أمر محقق بالضرورة فيكون انقلابهم بعد موت النبي «ص» محققاً ، ولذا قال انقلبتم بصيغة الماضي تنبيهاً على تحققه ؛ ومن المعلوم ان الصحابة بعد موت النبي «ص» لم يعدلوا عن الشهادتين فيتعين أن يراد به أمر آخر وما هو إلا إنكار إمامة أمير المؤمنين «ع» إذ لم يصدر منهم ما يكون وجهاً لانقلابهم عموماً غيره بالاجماع ، فاذا كان إنكار إمامته «ع» انقلاباً عن الدين كانت الامامة أصلاً من اصوله ، ولا ينافيه ان الآية نزلت يوم احد حيث أراد بعض المسلمين الارتداد فان سببية نزولها في ذلك لا تمنع صراحتها في وقوع الانقلاب بعد النبي «ص» كما يقتضيه الترديد في الآية بين الموت والقتل فان ما وقع يوم احد إنما هو لزعم القتل ، وقد فهم ذلك أمير المؤمنين «ع»

فيما رواه ابن عباس (١) قال : (كان علي «ع» يقول في حياة رسول الله «ص» ان الله تعالى يقول : أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله والله لئن مات أو قتل لاقاتلن على ماقاتل عليه حتى أموت والله اني لأخوه ووليه وابن عمه ووارث علمه فمن أحق به مني) .

واما السنة فنحن لانذكر منها إلا أخبار القوم كعادتنا لتكون حجة عليهم (فمنها) ماهو كالآية الشريفة في الدلالة على ارتداد الامة بعد النبي «ص» كروايات الحوض ، ولنذكر منها ماهو صريح بارتداد الامة إلا النادر كرواية البخاري في كتاب الحوض عن النبي «ص» قال : (بينما أنا قائم فاذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت أين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال الى النار والله قلت ماشأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم) فهذه الرواية قد دلت على ارتداد الصحابة إلا القليل الذي هو في القلة كالنعم المهملة المتروكة سدى ، وقد عرفت ان الصحابة لم يرتكبوا مايمكن أن يكون سبباً للارتداد غير إنكار إمامة أمير المؤمنين «ع» فلا بد أن تكون الامامة أصلا من اصول الدين .

و (منها) الأخبار المستفيضة الدالة على أن من مات بلا إمام مات ميتة جاهلية ونحو ذلك . فتكون أصلا للدين ألبتة كرواية مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن ابن عمر قال : (سمعت رسول الله «ص» يقول من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وكرواية مسلم أيضاً في الباب المذكور والبخاري في ثاني أبواب كتاب الفتن عن النبي « ص » قال : (من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية) وكرواية أحمد (٢) قال : (قال رسول الله من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ « كتاب معرفة الصحابة » .

(٢) مسنده ج ٤ ص ٩٦ .

إلى نحو ذلك مما لا يحصى .

و (منها) الأخبار الكثيرة التي ناطت الايمان بحب آل محمد « ص » والكفر ببغضهم فانها كناية عن الاعتراف بامامتهم وإنكارها الملازمة عادة بين حبهم الحقيقي والاعتراف بفضلهم وبغضهم وإنكاره ولا يراد الحب والبغض بنفسيهما إذ لا دخل لهما بماهية الايمان والكفر ، فلا بد أن يكونا كناية عن ذلك ، فلا بد أن تكون الامامة أصلا . فمن هذه الأخبار ما رواه في الكشاف في تفسير قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) عن النبي «ص» في حديث طويل قال فيه : (ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً) ومثله عن تفسير الثعلبي ، وروى في كنز العمال(١) عن النبي «ص» قال : (أساس الاسلام حبي وحب أهل بيتي) وروى أيضاً (٢) عن ابن عباس (ان النبي قال لعلي يوم المؤاخاة أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا انه ليس بعدي نبي ألا من أحبك حق (٣) بالأمن والايمان ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهلية) وروى أيضاً (٤) عن الطبراني والحاكم في المستدرك (٥) وأبي نعيم عن زيد بن أرقم (ان النبي «ص» قال : من أحب أن يحيى حياتي ويموت موتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي فليتولَّ علي بن أبي طالب فانه لن يخرجكم من هدىً ولن يدخلكم في ضلالة)وروى بعده نحوه عن جماعة إلا أنه «ص» قال : (فليتولَّ علياً وذريته من بعده فانهم لن يخرجوكم من باب هدىً ولن يدخلوكم في باب ضلالة) ويحتمل أن يريد النبي «ص» فيه بتولي علي الالتزام بولايته أي إمامته فيكون دالا على المطلوب بالصراحة : ومثله تولي أولاده في الحديث الأخير ، إلى غير ذلك من الأحاديث المستفيضة .

(١) ج ٧ ص ١٠٣ .

(٢) ج ٦ ص ١٥٤ ونحوه عن ابن عمر ج ٦ ص ١٥٥ .

(٣) حف خ ل .

(٤) ج ٦ ص ١٥٥ .

(٥) قد وجدت الحديث في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٨ .

ويشهد لكون الامامة من اصول الدين ان منزلة الامام كالنبي في حفظ الشرع ووجوب اتباعه والحاجة اليه ورياسته العامة بلا فرق ، وقد وافقنا على انها أصل من اصول الدين جماعة من مخالفينا كالقاضي البيضاوي في مبحث الأخبار وجمع من شارحي كلامه كما حكاه عنهم السيد السعيد «ره» .

واعلم ان العصمة ملكة تقتضي عدم مخالفة التكاليف اللزومية عمداً وخطأ مع القدرة على الخلاف وهي واجبة الثبوت للامام لامور :

(الأول) ماأشار اليه المصنف بقوله : لأنهم حفظة الشرع الى آخره ، وحاصله ان الامام حافظ للشرع كالنبي لأن حفظه من أظهر فوائد إمامته فتجب عصمته لذلك لأن المراد حفظه علماً وعملا ، وبالضرورة لايقدر على حفظه بتمامه إلا معصوم إذ لاأقل من خطأ غيره ، ولو اكتفينا بحفظ بعضه لكان البعض الآخر ملغى بنظر الشارع وهو خلاف الضرورة فان النبي قد جاء لتعليم الأحكام كلها وعمل الناس بها على مرور الأيام وهذا الأمر لم يتعرض الخصم لجوابه .

(الثاني) ماذكره المصنف بقوله : ان الحاجة الى آخره ، وتوضيحه ان الحاجة إلى الامام في تلك الفوائد توجب عصمته وإلا لافتقر إلى إمام آخر وتسلسل ، لأن غير المعصوم اما فاسق أو عادل وبالضرورة ان الفاسق لاتحصل منه تلك الفوائد ولوبالنسبة إلى نفسه فيحتاج إلى غيره والعادل كذلك لأن الصغائر قد تحصل منه لأنها لا تنافي العدالة والكبائر ربما تقع منه أيضاً ولو لأنه قد يفسق فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عن الصغائر والكبائر لو وقعت أو يحترز به عن وقوعها كما ان الخطأ غير مأمون عليه فيحتاج إلى إمام آخر يمنعه عما يخطأ به وان كان معذوراً فان معذوريته لا تصحح تفويت تلك الفوائد وإلا لما كانت موجبة للحاجة إلى الامام (فان قلت) الصغائر مع ترك الكبائر معفو عنها فلا يلزم المنع عنها والكبائر لاتقع من العادل عمداً حتى يجب منعه ولوفرض وقوعها عمداً وجب عزله ونصب غيره واما وقوعها خطأ فهو وان لم يكن مأموناً منه لكن ربما لايوجد فلا يلزم نصب آخر ولو وقعت نبهه من يرفع خطأه وان لم يكن إماماً (قلت) العفو عن الصغائر لايرفع حرمتها وإلا لما احتاجت إلى العفو

كما ان السهو عن الكبائر إنما يرفع العقاب فلا بد من الحاجة إلى من يرد فاعلها واما الكبائر مع العمد فلا يمتنع وقوعها من العادل إذ ربما تعرض له الكبيرة نادراً من دون أن تزول ملكته كما انه قد يفسق وهو كثير والالتزام بوجوب عزله حينئذ غير متجه للأخبار الكثيرة الآتية ولأمكان أن لا يثبت فسقه عند كل أهل الحل والعقد أو يثبت ولكنهم مثله في الفسق أولا يمكنهم عزله أو يحصل من عزله ضرر أعظم فتبتلي الامة بامام فاسق لا يحصل منه محل الحاجة إلى الامام وهو ناشيء من عدم اعتبار العصمة والاكتفاء بالعدالة ولا سيما مع كون العدالة الواقعية عسرة الاحراز وإنما تثبت ظاهراً. إذ ربما كان العادل في الظاهر فاسقاً في الواقع فتبتلي الامة من أول الامر بامام فاسق فلا يحصل محل الحاجة إلى الامام ولو بالنسبة إلى نفسه فيجب نصب إمام آخر على جميع الوجوه لئلا تفوت الفوائد المطلوبة ويتسلسل، واما دعوى ان الخطأ ربما لا يقع بخلاف المقطوع به عادة ولا ينكر المخالفون خطأ أئمتهم الثلاثة الاول فضلا عن غيرهم ولو سلم عدم القطع به فمع فرض إمكانه عادة يجب نصب إمام آخر يحترز به عن الخطأ المتوقع لئلا تفوت تلك الفوائد التي لا تتدارك مع الخطأ ولو تسامحنا فيها لما وجب نصب الامام لأجلها. قولكم ولو وقع نبه من يرفع خطأه قلنا اذا فات محل التدارك لم يبق محل للتنبيه وكذا لو لم يحضر من يصلح للتنبيه أو لم يصوب الامام رأيه فلا بد من إمام آخر ويتسلسل.

(الثالث) ان الامام لو عصى لوجب الانكار عليه والايذاء له من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مفوت للغرض من نصبه ومضاد لوجوب طاعته وتعظيمه على الاطلاق المستفاد من قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) كما ستعرف.

(الرابع) انه لو صدرت المعصية منه لسقط محله من القلوب فلا تنقاد لطاعته فتنتفي فائدة النصب.

(الخامس) انه لو عصى لكان أدون حالا من أقل آحاد الامة لأن أصغر الصغائر من أعلي الامة وأولاها بمعرفة مناقب الطاعات ومثالب المعاصي أقبح وأعظم من اكبر

الكبائر من أدنى الامة .

(السادس) قوله تعالى : (إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) فانه دال على كون الامامة من عهد الله تعالى وعلى اعتبار عصمة الامام حين الامامة وقبلها لأن كل عاص ظالم لقوله تعالى : (ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون) وروى السيوطي في الدر المنثور بتفسير هذه الآية عن ابن اسحق وابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس قال : (معناها انه كائن لا ينال عهده من هو في رتبة ظالم ولا ينبغي أن يوليه شيئاً من أمره) وروى أيضاً عن وكيع وعبد بن حميد وابن جرير عن مجاهد قال : (المعنى لاأجعل إماماً ظالماً يقتدى به) « فان قلت » إنما تدل الآية على العصمة حين تولي العهد واما قبله كما ادعيتموه أيضاً فلا لأن الظالم مشتق والمشتق حقيقة فيمن تلبس بالمبدأ بالحال « قلت » المراد بالحال حال ثبوت مبدأ المشتق للذات وتلبسها به والمبدأ هو الظلم لا نيل العهد فيكون الظالم عبارة عن الذات في حين الظلم وان كان زمانه ماضياً وهذا لادخل له بحال ثبوت العهد .

(السابع) قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) فانه تعالى أوجب طاعة اولي الأمر على الاطلاق كطاعته وطاعة الرسول وهو لا يتم إلا بعصمة اولي الأمر فان غير المعصوم قد يأمر بمعصية وتحرم طاعته فيها فلو وجبت أيضاً اجتمع الضدان وجوب طاعته وحرمتها ولا يصح حمل الآية على ايجاب الطاعة له في خصوص الطاعات إذ مع منافاته لاطلاقها لايجامع ظاهرها من إفادة تعظيم الرسول واولي الأمر بمساواتهم لله تعالى في وجوب الطاعة إذ يقبح تعظيم العاصي ولا سيما المنغمس بأنواع الفواحش ، على ان وجوب الطاعة في الطاعات ليس من خواص الرسول واولي الأمر بل تجب طاعة كل آمر بالمعروف فلا بد أن يكون المراد بالآية بيان عصمة الرسول واولي الأمر وانهم لايأمرون ولا ينهون إلا بحق ، وقد أقر الرازي في تفسيره بدلالة الآية على عصمة اولي الأمر لكنه زعم ان المراد بهم أهل الاجماع ، وفيه مع ان المنصرف من اولي الأمر من له الزعامة ان ظاهر الآية إفادة عصمة كل واحد منهم لا مجموعهم لأن ظاهرها ايجاب طاعة كل واحد منهم ، على ان العمل بمقتضى الاجماع ليس من باب

الطاعة لهم لأن الاجماع من قبيل الخبر الحاكي .

وأشكل الرازي على إرادة أئمتنا الأطهار من اولي الأمر بامور (الأول) ان طاعة الأئمة المعصومين مشروطة بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم فلو وجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف مالا يطاق ولو وجب علينا طاعتهم اذا حصلت المعرفة بهم وبمذاهبهم صار هذا الايجاب مشروطاً، وظاهر قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) يقتضي الاطلاق ، وفيه « أولا » النقض بطاعة الله ورسوله « ص » وطاعة أهل الاجماع بناء على انهم المراد من اولي الأمر و « ثانياً » الحل بأن نقول ان وجوب طاعة الأئمة ليس مشروطاً بمعرفتهم وقدرة الوصول اليهم بل مطلقاً كطاعة الله ورسوله فيجب تحصيل معرفتهم ومذهبهم مقدمة لطاعتهم ، فلا يلزم ماذكره من تكليف مالا يطاق ولا ضرورة الايجاب مشروطاً ومعرفة الأئمة ممكنة لوجود الأدلة على إمامتهم كما يمكن أخذ الأحكام عنهم كالنبي « ص » لوجود الرواة عنهم وان لم يصل المكلف إلى شخص الامام والنبي « ص » .

(الأمر الثاني) انه تعالى أمر بطاعة اولي الأمر واولو الأمر جمع وعندهم لا يكون في الزمان إلا إمام واحد وحمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر ، وفيه ان المراد هو الجمع ولكن بلحاظ التوزيع في الأزمنة ولا منافاة فيه للظاهر .

(الثالث) انه تعالى قال : (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) ولو كان المراد باولي الأمر الامام المعصوم لوجب أن يقال : فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الامام ، وفيه ان الرد إلى اولي الأمر أيضاً مأمور به لكن اكتفى عن ذكرهم في آخر الآية بما ذكره في أولها من مساواة طاعتهم لطاعة الله ورسوله « ص » .

فاذا عرفت معنى العصمة وأدلة وجوبها عرفت ان الفضل قد خلط في معناها وأخطأ في تجويز الصغائر على الامام حتى بلحاظ خصوص الدليل الثاني الذي اختص كلامه فيه ، إذ من جملة فوائد الامام وجهات الحاجة اليه منع المحرمات فلو فعلها هو احتاج إلى إمام آخر يمنعه ويتسلسل ، وان فرض حصول الفوائد الاخر منه من الانتصاف للمظلوم ونحوه ، على ان خلاف الانتصاف ربما يكون من الصغائر فلا تحصل هذه الفائدة

وكذا جملة من غيرها من الفوائد ، ودعوى ان ترك الصغائر ليس من محل الحاجة إلى الامام باطلة ضرورة ان تركها مطلوب للشارع ومن نظامه الشرعي المطلوب تنفيذه كما عرفت .

(بقي الكلام) فيما ذكره الخصم من شروط الامام فنقول اشترطها جماعة منهم وخالف آخرون كما يدل عليه ماذكره صاحب المواقف وشارحها فانهما بعد ماذكرا اشتراط الاجتهاد في الاصول والفروع والشجاعة والبصارة بتدبير الحرب والسلم قالا : (وقيل لايشترط هذه الثلاثة لأنها لاتوجد الآن مجتمعة واذا لم توجد كذلك فاما أن يجب نصب فاقدها فيكون اشتراطها عبثاً أو يجب نصب واجدها فيكون تكليفاً بما لايطاق أولا يجب هذا ولا ذاك فيكون اشتراطها مستلزماً للمفاسد التي يمكن دفعها بنصب فاقدها) انتهى ملخصاً ، وبمقتضى سكوت صاحب المواقف عن الرد على هذا الكلام يستفاد موافقته عليه وانه ممن لايشترط هذه الثلاثة : نعم أجاب عنه الشارح (بانا نختار عدم الوجوب مطلقاً لكن للامة أن ينصبوا فاقدها دفعاً للمفاسد) وفيه انهم اذا نصبوه فاما أن يجب ترتيب آثار الامامة عليه فحينئذ لم يكن وجه لاشتراطها وان لم يجب فلا فائدة فيه . هذا ويمكن اجراء نحو هذا الكلام في جميع الشروط فتنتفي شرطيتها جميعاً . ونقل السيد السعيد «ره» عن الاسفراني الشافعي في كتاب الجنايات انه قال : (وتنعقد الامامة ببيعة أهل الحل والعقد) إلى أن قال : (وبالقهر والاستيلاء ولو كان فاسقاً أو جاهلا أو أعجمياً) ونقل أيضاً عن صاحب الوقاية في فقه الحنفية انه قال : (لايحد الامام حد الشرب لأنه نائب من الله تعالى) ونقل عن شارح العقائد النسفية انه قال : (لاينعزل الامام بالفسق والجور لأنه قد ظهر الفسق والجور من الأئمة والامراء بعد الخلفاء والسلف وكانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والأعياد باذنهم) فظهر من هذه الكلمات ونحوها انه لا يشترط عند كثير منهم تلك الشروط بل يظهر من كلام شارح العقائد النسفية دعوى الاجماع على عدم اعتبار العدالة في الامام دواماً ، والظاهر انه لا خصوصية للعدالة ولا للدوام بل كل الشرائط كذلك ابتداء ودواماً لأنهم ينقادون لمن فقد أي شرط كان ويخاطبونه بامرة المؤمنين ويحرمون الخروج عليه ويقتلون النفوس بأمره ويقيمون الجمع والأعياد باذنه فلا بد أن تكون الشروط التي اشترطوها شروطاً

صناعية جدلية لا عملية . فما نسبه المصنف اليهم من جواز إمامة السراق والفساق صحيح ألبتة ولا سيما بعد انعقاد البيعة وهو الذي يقتضيه إنكار الحسن والقبح العقليين كما اقتضى أيضاً نفي وجوب أن يكون الامام أفضل من رعيته كما ستعرف .

ويصدق ذلك بحيث لا يبقى به ريب أصلا أخبارهم الصحيحة عندهم التي عليها المعول بينهم الآمرة بالسماع والطاعة لسلاطين الجور والضلالة وقد سبق بعضها في صدر المبحث التي منها مارواه مسلم عن ابن عمر وانه قال بعد حادثة الحرة وفعل يزيد فيها الافعال الشنيعة (سمعت رسول الله « ص » يقول : من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لاحجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) و (منها) مارواه البخاري في الباب الثاني من كتاب الفتن ومسلم في باب وجوب طاعة الامراء من كتاب الامارة عن عبادة بن الصامت قال : (دعانا النبي «ص» فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة ولا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) و (منها) مارواه مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الامارة عن حذيفة من حديث قال فيه النبي « ص » : (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الانس قال قلت كيف أصنع يا رسول الله قال تسمع وتطيع للامير وان ضرب ظهرك وبطنك وأخذ مالك) و (منها) مارواه مسلم في باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول من كتاب الامارة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث عن النبي « ص » قال فيه : (من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) إلى أن قال عبد الرحمن : (فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله تعالى يقول : (يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض ولا تقتلوا أنفسكم) قال فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله) إلى غير ذلك من أخبارهم المستفيضة المصرحة بأن من الأئمة أئمة جور وتجب طاعتهم وأقرارهم على امرتهم ومن خرج عن طاعتهم شبراً مات ميتة جاهلية ، وما ألطف ماشهد به عبد الرحمن وأقر

به عبدالله فى حق معاوية وهو خيرة أئمتهم بعد الثلاثة فيابشراهم به وبابنه يزيد .

فمع هذه الأخبار ونحوها من الاخبار المعتبرة المعول بها عندهم كيف تصح دعوى انهم يشترطون واقعاً تلك الشروط في الامام ، فالظاهر ان من يشترطها إنما يريد بهادفع الاستبشاع والمحافظة على الخلفاء الثلاثة ببيان انهم ممن جمع هذه الشروط وإلا فما فائدة شروط لايتبعونها في سلاطينهم ولا تنطبق عندهم على خليفة سوى الثلاثة إلا النزر الاندر ولذا عجزوا عن تطبيق حديث الاثنى عشر خليفة على سلاطينهم ورووا ان مابعد الثلاثين سنة ملك عضوض لاخلافة .

ولو سلم انهم يشترطونها واقعاً فأكثرها لاغ اما لعدم اعتباره أو لعدم كفايته في الامام . فمن الاول (البلوغ) فان الحق عدم اعتباره إذ ليست الامامة بأعظم من النبوة وقد أرسل الله عيسى ونبأ يحيى طفلين ، لكن لما جعلوا الامامة بالاختيار كان لاشتراطهم البلوغ وجه ؛ ومن الثاني (العدالة) لما عرفت من عدم كفايتها عن العصمة وكذا (الشجاعة والعقل والبصارة في تدبير الحرب والسلم) لما سيأتي في المبحث الآتي من اعتبار أفضلية الامام في جميع صفات الكمال ، فلا بد أن يكون أشجع الناس وأعقلهم وأبصرهم في الامور ولا يكفي ثبوت أصل الشجاعة والعقل والبصارة فقط ؛ وكذا (الاجتهاد) ضرورة انه لا يكفي في النيابة عن الرسول بل لا بد أن يكون عالماً بجميع أحكام الشريعة علماً يقينياً لأن الله سبحانه قد بلغ نبيه «ص» أحكاماً أمرها وأجراها على امته إلى يوم الدين ولا شك ان الاجتهاد لايوصل اليها دائماً لوقوع الخطأ فيه فلا يمكن أن لايجعل الله لنا إماماً عالما بجميع الاحكام ويحيلنا على من لاطريق له إلا الظن والظن لا يغني من الحق شيئاً ؛ على انه اذا أخطأ الامام في حكم أو موضوع فاما أن يلزم الناس السكوت عن خطأه فيلزم الاغضاء على القبيح وربما يجتهد في تحليل الحرام وما يوجب الضرر والفساد فلا تحصل به الفائدة المطلوبة في الامام ؛ واما أن يلزم رده وهو ربما يوقع في الشقاق .

نعم بقية الشروط التي ذكرها صحيحة اما (الحرية) فلأن المملوكية نقص في الشأن والتصرف ، واما (القرشية) فلأنها وان لم يحكم بها العقل إلا انه لما اتفق ان

الأئمة من قريش ومن آل رسول الله صح جعلها شرطاً بهذا الاعتبار كما أخبر النبي «ص» (بأنه لا يزال هـذا الأمر في قريش وان الأئمة اثنى عشر) وأوجب التمسك بعترته كما ستعرف إن شاء الله تعالى ، وقد خالف عمر هذا الشرط وقول رسول الله «ص» إذ قال (لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى) ونحوه في حق معاذ كما سيأتي في مطاعن الصحابة واما (الذكورة) فلأن النفوس لا تنقاد غالباً إلى المرأة فلا يحصل منها الغرض من الامامة لـكن بعض القوم كابن حزم في الملل والنحل (ج ٤ ص ١١) اختار نبوة ام موسى ومريم وام اسحاق فيلزمه عدم اشتراط الذكورية في الامام للأولوية ، وتعليل الفضل بأن النساء ناقصات العقل والدين باطل إذ كم امرأة أعقل من أكثر الرجال بل بعضهن بالغات مرتبة العصمة والكمال كما ورد في أخبارنا في حق الزهراء وخديجة ومريم وآسية وروى مسلم في فضائل خديجة عن النبي «ص» قال : (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) والظاهر انه قد سقط ذكر خديجة من الحديث وإلا فلا معنى لروايته في فضائلها ولا بد أن تكون الزهراء أكمل من هذه الثلاث لما رواه البخاري وغيره انها سيدة نساء أهل الجنة كما ستعرف بل لا يبعد سقوط ذكر الزهراء كخديجة من الحديث وإنما جعلت شهادة المرأتين عن شهادة رجل واحد جرياً على الغالب من نقصان عقل المرأة

(الامام أفضل من رعيته)

قال المصنف أعلى الله مقامه

﴿المبحث الثاني﴾ في ان الامام يجب أن يكون أفضل من رعيته ، اتفقت الامامية على ذلك وخالف فيه الجمهور فجوزوا تقديم المفضول على الفاضل وخالفوا مقتضى العقل ونص الـكتاب فان العقل يقبح تقديم المفضول واهانة الفاضل ورفع مرتبة المفضول وخفض مرتبة الفاضل ، والقرآن نص على إنكار ذلك فقال تعالى : (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) وقال تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولو الالباب) وكيف ينقاد الاعلم الازهد الاشرف حسباً ونسباً للأدون في ذلك كله .

العلاّمة السيّد مرتضى العسكري

عصمة أهل البيت عليهم السلام

أخبر الله سبحانه وتعالى بأن اهل البيت وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم معصومون من الذنوب في قوله تعالى:

«إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[1].

روى عبدالله بن جعفر بن ابي طالب[2] قال:

«لمّا نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى الرحمة هابطة، قال: «ادعوا لي، ادعوا لي» فقالت صفيّة: من يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة

١) الاحزاب ــ ٣٣.

٢) بمستدرك الصحيحين ج ١٤٧/٣.

وعبدالله بن جعفر ذى الجناحين: ابن عم النبى أبى طالب وامه أسماء بنت عميس الخثعمية، ولد بأرض الحبشة في هجرة ابويه اليها وهاجر أبوه به الى المدينة، وكان حليماً كريماً يقال له بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف ــ عام جاء فيه سيل عظيم ببطن مكة جحف الحاج وذهب بالابل عليها أحمالها، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثا. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

وصفية بنت حي بن اخطب: من سبط هارون بن عمران من بنى اسرائيل، وامها برة بنت السموأل من بنى قريظة، كانت زوجة كنانة بنت الربيع من يهود بنى النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاها النبى وقال لها: «ان اخترت الاسلام امسكتك لنفسى وأن اخترت اليهودية فعسى أن اعتقك فتلحق بقومك»، فقالت يا رسول الله لقد هويت الاسلام وصدقت بك قبل ان تدعونى حيث صرت الى رحلك، ومالى فى اليهودية ارب ومالى فيها والد ولا أخ، وخيرتنى الكفر والاسلام فالله ورسوله احب الى من العتق وأن ارجع الى قومى، فاعتدت ثم تزوجها النبى وتوفيت فى سنة ٥٢ هـ وروى عنها اصحاب الصحاح ١٠ أحاديث، ترجمتها بطبقات ابن سعد ج ١٢٠/٨ ــ ١٢٩ وجوامع السيرة ص ٢٨٥.

والحسن والحسين»[1] فجيء بهم فألقى عليهم النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم كساءه ثم

١) فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وامها ام المؤمنين خديجة سلام الله عليها.

في ترجمتها باسد الغابة والاصابة: أن كنيتها ام أبيها وانه انقطع نسل رسول الله الامنها، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لفاطمة «ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» أخرجه ـ ايضا ـ الحاكم فى مستدركه ج ١٥٣/٣ وبميزان الاعتدال ج ٧٧/٢ وتهذيب التهذيب ج ٤٤١/١٢ وفى باب مناقب فاطمة بصحيح البخارى ج ٢٠٠/٤ و ٢٠١ و ٢٠٥: قال رسول الله: «فاطمة بضعة منّي، من أغضبها أغضبني».

وفى رواية اخرى فيه بباب ذب الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ج ١٧٧/٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، والترمذى، وبمسند احمد ج ٤١/٤ و ٣٢٨ ومستدرك الصحيحين، ج ١٥٣/٣ «يؤذينى ما آذاها، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله اذا سافر فاطمة، واذا قدم من سفر كان اول الناس عهداً به فاطمة، كما فى مستدرك الصحيحين ج ١٥٦/٣ و ١٥٥ وج ٤٨٩/١، ومسند أحمد ج ٢٧٥/٥، وسنن البيهقى ج ٢٦/١.

وفى باب فرض الخمس من صحيح البخارى ج ١٢٤/٢، عن عائشة ان فاطمة سألت أبابكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه، فقال ابوبكر: ان رسول الله قال «لا نورث ماتركنا صدقة»، فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبابكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ستة اشهر.

وفى باب غزوة خيبر منه ج ٣٨/٣، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً، ولم يؤذن بها أبوبكر، وصلى عليها، وكان لعلى وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر على وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر...

ورواه مسلم كذلك فى صحيحه بكتاب الجهاد ج ١٥٤/٥، ومسند احمد ج ٩/١، وسنن البيهقى ج ٣٠٠/٦.

وبترجمتها في اسد الغابة وأوصت الى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها احد، فلما توفيت جاءت عائشة فمنعتها أسماء.

قال العسكرى: ولم يعرف موضع قبرها حتى اليوم.

وروى عنها أصحاب الصحاح ١٨ حديثاً، جوامع السيرة ص ٢٨٣، والحسنان سبطا رسول الله وابنا علي وفاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وأبوهما خير منهما، فى سنن ابن ماجة باب فضائل اصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ومستدرك الصحيحين ج ١٦٧/٣، ومصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين وبقى اكثر من ستة اشهر فى الخلافة، ثم اقتضت مصلحة الاسلام العليا ان يصالح معاوية، ولما أراد معاوية ان يأخذ البيعة لابنه يزيد دس اليه السم فقتله سنة خمسين ـ احاديث عائشة ج ١ ص ٢٥١ ـ ٢٦٦.

←

رفع يديه ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد» وأنزل الله عزّوجل «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا».

وفي رواية امّ المؤمنين عائشة انّ الكساء كانّ مرطاً مرحّلا من شعر أسود[1].

وفي رواية الصحابي واثلة بن الأسقع أنّ رسول الله أدنى عليّاً وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه... الحديث[2].

وفي رواية امّ المؤمنين امّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس...» وفي البيت سبعة جبريل وميكائيل (ع) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، انك من أزواج النبي»[3].

وفي سنة ستين ابى الحسين ان يبايع يزيد وقال «وعلى الاسلام السلام اذا بليت الامة براع مثل يزيد» فقتله جيش يزيد بكربلاء عاشوراء سنة احدى وستين (اللهوف لابن طاووس).

روى اصحاب الصحاح عن الحسن ١٣ حديثاً، عدا البخارى ومسلم وعن الحسين ٨ أحاديث، جوامع السيرة ص ٢٨٤ و٢٨٦، وتقريب التهذيب ج ١٦٨/١.

١) المرط: كساء من صوف او خز والمرحل من الثياب: ما اشبهت نقوشه رحال الابل.

وعائشة بنت ابى بكر وامها ام رومان، ولدت فى السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته الى المدينة، وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ وصلى عليها ابوهريرة وروى عنها اصحاب الصحاح ٢٢١٠ احاديث، راجع كتابنا احاديث عائشة.

وروايتها فى شأن نزول آية التطهير فى صحيح مسلم ج ١٣٠/٧، باب فضائل اهل بيت النبي، ومستدرك الصحيحين ج ١٤٧/٣، وبتفسير الاية فى تفسير ابن جرير والدر المنثور للسيوطى وآية المباهلة فى تفسير الزمخشرى والرازى وسنن البيهقى ج ١٤٩/٢.

٢) واثلة به الاسقع الليثي: أسلم والنبي يتجهز الى تبوك، وقيل انه خدم النبى ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين او ثلاث وثمانين بدمشق او ببيت المقدس، وروى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩ وروايته فى شأن آية التطهير بسنن البيهقى ١٥٢/٢، ورواية اخرى منه بمسند احمد ج ١٠٧/٤، ومستدرك الصحيحين ج ٤١٦/٢ وج ١٤٧/٣، ومجمع الزوائد ج ١٦٧/٩. وابن جرير والسيوطى فى تفسير الاية من تفسيريهما واسد الغابة ج ٢٠/٢.

٣) رواية ام سلمة في تفسير الاية بتفسير السيوطى ج ١٩٨/٥ و ١٩٩.

ورواية اخرى فى صحيح الترمذى ج ٢٤٨/١٣، ومسند أحمد ج ٣٠٦/٦، واسد الغابة ج ٢٩/٤، وج ٢٩٧/٢، وتهذيب التهذيب ج ٢٩٧/٢.

واخرى بمستدرك الصحيحين ج ٤١٦/٢ وج ١٤٧/٣، وسنن البيهقى ج ١٥٠/٢، واسد الغابة ٥٢١/٥ و ٥٨٩، وفى تاريخ بغداد ج ١٢٦/٩.

وقد روى غير من ذكرنا شأن نزول آية التطهير كلّ من:

أ) عبد الله بن عباس

ب) عمر بن ابي سلمة ربيب النبي صلّى الله عليه وآله

ج) ابوسعيد الخدري

د) سعد بن ابي وقاص

هـ) انس بن مالك وغيرهم[1].

واستشهد بها الحسن السبط على المنبر[2] وعليّ بن الحسين في الشام[3].

←

واخرى: بمسند أحمد ج ٦/٢٩٢.

أ ــ رواية ابن عباس بمسند أحمد ج ١/٣٣٠، وخصائص النسائي ص ١١، والرياض النضرة ج ٢/٢٦٩، ومجمع الزوائد ج ٩/١١٩ و ٢٠٧، وتفسير الاية بالدر المنثور.

ب ــ عمر بن أبي سلمة بن عبد الاسد أبوحفص المخزومي: ربيب رسول الله، امه ام سلمة ولد في الحبشة شهد مع علي الجمل، واستعمله على البحرين وعلى فارس، توفي سنة ٨٣ هـ روى عنه اصحاب الصحاح ١٢ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ٢٨٤، وحديثه بشأن آية التطهير بالرياض النضرة ج ٢/٢٦٩، ومجمع الزوائد ج ٩/١١٩ و ٢٠٧، وتفسير الاية في الدر المنثور.

ج ــ رواية ابي سعيد في تفسير الاية بتفسير ابن جرير والسيوطي وتاريخ بغداد ج ١٠/٢٧٨، ومجمع الزوائد ج ٩/١٦٧ و ١٦٩.

د ــ سعد بن ابي وقاص مالك بن اهيب القرشي الزهري وامه حمنة بنت سفيان بن امية: اسلم قديماً وشهد مع الرسول مشاهده، ولي فتح العراق حتى جلولاء، ومصر الكوفة وأبى أن يبايع علياً، وأبى على معاوية ان يسب عليا، ودس اليه معاوية السم لما اراد ان يبايع ليزيد، فمات، وروى عنه اصحاب الصحاح ٢٧١ حديثاً، ترجمته باسد الغابة وصحيح مسلم ج ٧/١٢٠، واحاديث عائشة ج ١/٢٦٥، ورواية بشأن آية التطهير في خصائص النسائي ص ٤ ــ ٥، وصحيح الترمذي ج ١٣/١٧١ ــ ١٧٢.

هـ ــ رواية انس بن مالك في صحيح الترمذي ج ١٣/٢٤٨، ومجمع الزوائد ٩/٢٠٦.

١) مثل قتادة في تفسير الاية عند ابن جرير والسيوطي وعطية بترجمته باسد الغابة ج ٣/٤١٣، ومعقل بن يسار راجع صحيح الترمذي ج ١٣/٢٤٨.

٢) روى استشهاد السبط بمستدرك الصحيحين ج ٣/١٧٢، ومجمع الزوائد ٩/١٤٦ و ١٧٢.

٣) علي بن الحسين: امه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الابرار للزمخشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل ٢٠٥٩، أدب، وماتت في نفاسها به فكفله بعض امهات ولد أبيه وزوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون اخبار الرضا ج ٢/١٢٨) ويبدو انها كانت تسمى غزالة، توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين وروى عنه اصحاب الصحاح بعض الاحاديث واستشهاده بآية التطهير ورد في تفسير الاية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الاعيان ج ٢/٤٢٩ وتاريخ اليعقوبي ج ٢/٣٠٣.

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدة اشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلّم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس:

«شهدت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن ابي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهل البيت، إنّما يريد الله... الصلاة رحمكم الله» كلّ يوم خمس مرّات[1].

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال «الصلاة إنّما يريد الله...»[2].

وقال ابوبرزة انّه صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة...[3].

وعن انس بن مالك ستّة اشهر[4] وروى ــ ايضاً ــ غيرهم في ذلك فى هذه الآية، أخبر الله عن المعصومين في عصر رسول الله خاصّة، وعيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية في ملأ من أصحابه عدّة شهور على باب بيتهم.

ان هذه الاية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها تكفي دليلا لاثبات عصمة اهل البيت (ع).

ومن الناحية العملية، لم يسجل التاريخ عن ائمة اهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على ان التاريخ الاسلامى دون من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وغالبا ما دونوا في كتب التاريخ الاسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، وكان الخلفاء مدى العصور جادّين لاطفاء نور ائمة اهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين اليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا،

١) رواية ابن عباس فى تفسير الاية وآية «وأمر اهلك» من الدر المنثور.

٢) ابو الحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث او ابن ظفر، والحديث بترجمته فى الاستيعاب ج ٢/٥٩٨، واسد الغابة ٥/١٧٤، ومجمع الزوائد ٩/١٦٨.

٣) ابوبرزة الاسلمى اختلفوا فى اسمه، توفى فى البصرة سنة ستين او اربع وستين، روى عنه اصحاب الصحاح ٢٠ او ٤٦ حديثا، ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣ وحديثه المذكور فى مجمع الزوائد ٩/١٦٩، لفظه سبعة عشر شهرا ونراه من غلط النساخ.

٤) رواية انس بمسند أحمد ج ٣/٢٥٢، والطيالسى ج ٧/٢٧٤، الحديث ٢٥٠٩ واسد الغابة ٥/٥٢١، وتفسير الاية عند ابن جرير والسيوطى.

وشردوا منهم من شردوا، وخاصة بنو امية الذين امروا بلعن الامام علي (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينج من عذابهم ومطاردتهم محبو ائمة اهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بامامتهم مع كل ذلك لانجد في التاريخ المدون اية صغيرة او هفوة نسبت الى ائمة اهل البيت (ع)، وكفى بهذا دليلا على ان الله عصمهم من الرجس وطهرهم تطهيرا.

كان هذا أهم أدلة مدرسة اهل البيت على عصمة اهل البيت (ع)، وفي مايأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في امامتهم، وقد قال الله تعالى في حق رسوله:

«وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى»[1].

١) سورة النجم، الاية ٣ ــ ٤.

اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله
بامر تعيين اولى الامر من بعده

قبل ان ندرس النصوص الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في تعيين اولي الامر من بعده، ندرس شيئا من اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله بهذا الامر في ما يأتي:

ان امر الامامة بعد الرسول صلّى الله عليه وآله كان من الامور الهامة التي لم تغب عن بال الرسول صلّى الله عليه وآله، ومن كان حوله، بل كانوا يفكرون فيه منذ البدء، فقد رأينا بيحرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله صلّى الله عليه وآله لاسلامهم ان يكون لهم امر من بعد الرسول صلّى الله عليه وآله، ورأينا هوذة الحنفي يطلب من الرسول صلّى الله عليه وآله منحه شيئا من الامر.

وكذلك ــ ايضاً ــ كان الرسول صلّى الله عليه وآله فانه كان يفكر في الامر من بعده ويدبر له منذ اوّل يوم دعا الى الاسلام، واول يوم اخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي.

اما تدبيره في اول يوم اخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي، فقد كان ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، والنسائي وابن ماجة في سننهما ومالك في الموطأ واحمد في المسند، وغيرهم في غيرها، واللفظ للاول، قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على السمع والطاعة والعسر واليسر والمنشط والمكره. وان لا ننازع الامر اهله...[1]

١) صحيح البخاري، كتاب الاحكام، باب كيف يبايع الامام الناس، ح ــ ١؛ صحيح مسلم كتاب ←

وعبادة هذا كان احد النقباء الاثني عشر على الانصار يوم بيعة العقبة الكبرى[1] حين قال النبي صلّى الله عليه وآله للنيف والسبعين من الانصار الذين بايعوه اخرجوا الي اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم، فأخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله للنقباء: انتم على قومكم بما فيهم، كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام...[2]

انّ عبادة بن الصامت احد اولئك النقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة التي بايعوا الرسول عليها: «ان لا ينازعوا الامر أهله».

* * *

وانما اراد رسول الله صلّى الله عليه وآله من «امر» الوارد في هذا الحديث الصحيح، والذي يذكر فيه اخذ البيعة من اثنين وسبعين رجلا وامرأتين من الانصار ان لا ينازعوا اهله، هو الامر الذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة[3] وأهل الامر هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله «أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم»[4].

وان رسول الله صلّى الله عليه وآله وان لم يشخص هنا ولي الامر من بعده، لانه لم يكن من الحكمة ان يعرف ولي الامر من بعده وهو من غير قبيلة الانصار، ولعل نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمل ذلك يومئذ، غير انه اخذ البيعة منهم ان لا ينازعوه حين يعينه لهم بعد ذلك.

وقد عين الرسول صلّى الله عليه وآله ولي الامر من بعده وشخص وصيه وخليفته في مجتمع اصغر من هذا المجتمع، وذلك في اول يوم دعا الاقربين اليه للاسلام،

→

الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، الحديث: ٤١ و ٤٢؛ وسنن النسائي كتاب البيعة، باب البيعة على ان لاننازع الامر اهله؛ وسنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب البيعة، الحديث: ٢٨٦٦؛ وموطأ مالك كتاب الجهاد، باب: الترغيب في الجهاد، الحديث: ٥؛ ومسند احمد ٣١٤/٥ و ٣١٦ و ٣١٩ و ٣٢١، وراجع ٤١١/٤ منه.

وترجمة عبادة بسير اعلام النبلاء ٣/٢ وتهذيب ابن عساكر ٢٠٧/٧ ــ ٢١٩.

١) ترجمة عبادة في الاستيعاب ج ٤١٢/٢، واسد الغابة ١٠٦/٣ ــ ١٠٧.

٢) الطبري ، ط. اوروبا ١٢٢١/١.

٣) راجع نزاع الانصار القبلي مع المهاجرين في: فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بأول الكتاب.

٤) النساء ٥٩. ويأتي تفسيرها والاحاديث الواردة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حوله في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى.

كما رواه جمع من اهل الحديث والسير مثل: الطبرى وابن عساكر، وابن الاثير، وابن كثير والمتقي، وغيرهم، واللفظ للاول[1]، قال: عن علي بن ابي طالب عليه السّلام قال: لمّا نزلت هذه الاية على رسول الله صلّى الله عليه وآله «وأنذر عشيرتك الاقربين» دعاني رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال لي:

يا علي انّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنّي متى بادءتهم بهذا الامر أرى ما أكره فصمت عليه حتّى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربّك، فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبد المطلب حتّى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبوطالب، وحمزة، والعباس، وأبولهب، فلمّا اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلمّا وضعته تناول رسول الله صلّى الله عليه وآله حذية (اى قطعة) من اللحم فشقها باسنانه، ثمّ القاها في نواحي الصحفة، ثمّ قال: خذوا بسم الله، فأكل القوم حتّى ما لهم بشئ من حاجة، وما أرى الاموضع أيديهم، وأيم الله الذي نفس عليّ بيده ان كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم، ثمّ قال: اسق القوم فجئتهم بذاك العس فشربوا منه حتّى رووا منه جميعا، وأيم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلمّا اراد رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يكلمهم بدره ابولهب الى الكلام فقال: لشدما سحركم صاحبكم، فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: الغديا عليّ إن هذا الرجل سبقني الى ماقد سمعت من القول، فتفرق القوم قبل أن اكلمهم، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم الي، قال: ففعلت ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطعام فقرّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس فاكلوا حتّى ما لهم بشئ حاجة، ثمّ قال: اسقهم فجئتهم بذاك العس فشربوا حتّى رووامنه جميعا، ثمّ تكلم رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطلب اني والله ما أعلم شابافي العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، انّي

١) تاريخ الطبري ط. اروبا ١١٧١/١ — ١١٧٢، وابن عساكر تحقيق المحمودي ج ١ من ترجمة الامام، وتاريخ ابن الأثير ٢٢٢/٢، وشرح ابن أبي الحديد ٢٦٣/٣، وفي تاريخ ابن كثير ٣٩/٣، وقد حذف الالفاظ وقال: كذا وكذا، وكنز العمال للمتقي ج ١٥/ ١٠٠ ص ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠ يكون: أخي وصاحبي ووليّكم بعدي. والسيرة الحلبية نشر المكتبة الاسلاميه ببيروت، ٢٨٥/١.

قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة، وقد أمرني الله تعالى ان ادعوكم اليه، فأيكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا وقلت ــ وانّي لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا ــ أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثمّ قال: انّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع.

* * *

كانت هذه الدعوة في السنة الثالثة من البعثة وهي اول مرة اظهر فيها الرسول صلّى الله عليه وآله الدعوة الى الاسلام، وشخص فيها الامام من بعده وعرفه للاقربين اليه، وانما فعل ذلك هنا ولم يفعله بعده بعشر سنوات ويوم اخذ البيعة من الانصار لاقامة المجتمع الاسلامي لان الامام كان من غير قبائل الانصار وكان بناء المجتمع عندهم على اساس قبلي ولم يكن من الحكمة ان يأخذ البيعة منهم لمن يلي الامر بعده وهو ليس من قبائل الانصار فاكتفى في ذلك المقام باخذ البيعة منهم ان لا ينازعوه في الامر.

وهنا ايضا شخصه للاقربين اليه في محاورة شبيهة بمشاورة اصحابه في غزوة بدر، فانه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الامر كما اخبر بها اصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين، مع ذلك استشارهم اول الامر في ما يفعل، وكذلك فعل هنا، فانه مع علمه بالعاقبة وان الذي يقبل مؤازرته هو الامام علي، مع ذلك علق تعيين الوزير والوصي والخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ وليتقدم بالقبول ايهم شاء ولمّا ابى كلّهم ذلك وبادر بالقبول ابن عمه علي اخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته.

* * *

رأينا في ما مرّ بنا الى هنا اهتمام الرسول بامر الامامة من بعده، يشخصه في مكان ويأخذ البيعة ان لا ينازعوه في مكان آخر ويقابل طمع الطامعين بالرفض في غيرهما.

ومن أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول صلّى الله عليه وآله بأمر من يستخلفه من بعده ندرس في ما يأتي ما كان يعمله صلّى الله عليه وآله وسلم عندما يغيب عن المدينة أيّاما معدودات في الغزوات وكيف كان يعين خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول صلّى الله عليه وآله على المدينة في غزواته

في السنة الثانية من الهجرة:

اذن لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بالقتال في صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين يعترض عيرا لقريش فبلغ ودان والابواء[1].

١) استخلف سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار خمس عشرة ليلة مدة غيبته عن المدينة.

٢) استخلف في غزوة بواط[2] سعد بن معاذ من سادة الاوس من الانصار في ربيع الاول.

٣) استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري ــ وكان اغار على سرح المدينة ــ فبلغ صلّى الله عليه وآله وسلم سفوان وفاته كرز والسرح[3].

٤) استخلف ابا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الاولى او الثانية يعترض عيرا لقريش ذاهبة الى الشام ففاتته وكان القتال ببدر في رجوعها من الشام[4].

٥) استخلف ابن ام مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى وغاب عن المدينة

١) الابواء قرية من اعمال فراض على بعد ٢٣ ميلا من المدينة، فيها قبر آمنة أم النبي صلّى الله عليه وآله.

وودّان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الابواء ستة أميال. معجم البلدان.

٢) بواط: في معجم البلدان بمادة بواط «بواط من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، وبرد: جمع البريد ويبلغ البريد اثني عشر ميلا.»

يبدو جليا مراعاة رسول الله صلّى الله عليه وآله في الغزوتين الاوليين مشاعر الانصار القبلية حين استخلف في الاولى سيد الخزرج وفي الثانية سيداً من الاوس.

٣) كانت هذه الغزوة ايضا في ربيع الاول وبعد بواط وسفوان: واد بناحية بدر.

كرز بن جابر بن حسل الفهري قتل يوم الفتح مع رسول الله صلّى الله عليه وآله راجع جمهرة انساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب ابن فهر، وبترجمته من الاصابة.

٤) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد.

وابوسلمة: عبدالله بن عبد الاسد أمه برة عمة الرسول صلّى الله عليه وآله وابنة عبدالمطلب، هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة، حضر بدرا وخرج في احد ومات منه في جمادى الاخرة سنة ثلاث من الهجرة راجع ترجمته في اسد الغابة.

تسعة عشر يوما[1].

٦) استخلف ابا لبابة الانصاري الاوسي في غزوة بني قينقاع[2].

٧) استخلف ايضا ابالبابة في غزوة السويق، وكان خروجه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في طلب ابي سفيان حين اقبل في مائتي راكب ليبرّ بنذره ان لايمس الطيب والنساء حتى يثأر لاهل بدر، وإنتهوا الى عريض، فبلغهم خروج النبي صلّى الله عليه وآله، فجعلو يلقون جرب السويق تخففا فسميت غزوة السويق[3].

في السنة الثالثة:

٨) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة قَرْقَرَةِ الكُدْرِ، وسار صلّى الله عليه وآله وسلم للنصف من المحرم يريد سليم وغطفان ــ قبيلتين من قيس عيلان ــ فانجفلوا، وغنم من اموالهم، ورجع ولم يلق كيدا[4].

٩) استخلف ابن ام مكتوم في غزوة بفَران وغاب عن المدينة عشرة ايام من جمادى الاخرة، فتفرقوا ولم يلق كيدا[5].

١٠) استخلف عثمان بن عفان في غزوة ذي أمَر بنجد، سار صلّى الله عليه وآله يريد غطفان، فانجفلوا من بين يديه ولم يلق كيدا، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيام.

١١) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة أحد، وقاتل المشركين في سفح جبل أحد ــ على بعد ميل من المدينة ــ غاب فيها عن المدينة يوما واحدا.

١) خرج الرسول صلّى الله عليه وآله من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

٢) قال اهل السيرة: لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخموها فأتوا العالية فنزل بنوالنضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزورا ــ وهما واديان يهبطان من حرة هناك ــ فاتخذ بنوالنضير الحدائق والآطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها الى ان غزاهم النبي صلّى الله عليه وآله وأخرجهم منها. راجع مادة (بطحان) و (مهزور) من (معجم البلدان).

وابولبابة: بشير أو رفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، احد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبي لبابة في اسد الغابة.

٣) العريض: وادي المدينة، معجم البلدان، مادة «عريض».

٤) قرقرة الكدر: ناحية معدن بني سليم مما يلي حارة العراق الى مكة وهي على بعد ثمانية آيام من المدينة. معجم البلدان، مادة «قرقرة» سار اليها النبي في النصف من المحرم.

٥) بفران: معدن بني سليم بناحية الفرع من الحجاز. معجم البلدان، مادة «بفران».

١٢) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة حمراء الاسد ــ على بعد عشرة أميال من المدينة ــ سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكر على المدينة، ففاته أبوسفيان ومن معه فأقام فيها ثلاثة أيام، ثم عاد الى المدينة.

في السنة الرابعة:

١٣) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس حصرهم خمسة عشر يوما، ثم أجلاهم عنها[١].

١٤) استخلف عبدالله بن رواحة الانصاري في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوما، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبي سفيان اياهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبوسفيان من مكة الى عسفان، ثم عاد منها الى مكة[٢].

في السنة الخامسة:

١٥) استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الاودية[٣].

١٦) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار الى اكيدر بن عبدالملك النصراني ــ وكان يعترض سفر المدينة وتجارتهم ــ فهرب وتفرق أهلها، فلم يجد بها أحدا، فأقام أيام وعاد الى المدينة وهي أول غزواته الى الروم[٤].

١٧) استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المُرَيسِيع: ثمانية عشر يوما خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان[٥].

١) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وماوالاها، وقبا قرية على ميلين من المدينة، واصله اسم بئر هناك عرفت القرية به، معجم البلدان: مادة غرس وقبا.

٢) عبدالله بن رواحة الانصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة، شهد المشاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان أحد الامراء الثلاثة الذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في (الاستيعاب) و (أسد الغابة).

٣) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل مما يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والاشراف للمسعودي.

٤) دومة الجندل كانت حصنا مبنيا بالجندل في متسع من الارض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله خمس عشرة ليلة. راجع مادة (دومة) بمعجم البلدان وترجمة الغزوة في (التنبيه والاشراف) للمسعودي.

٥) ماء المريسيع: على طريق الفرع والفرع ثمانية برد من المدينة.

١٨) استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم، وهو يقاتل الاحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال او ذي القعدة.

١٩) استخلف أبارهم الغفاري في غزوة بني قريضة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوما أو أكثر، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة[١].

في السنة السادسة:

٢٠) استخلف في غزوة بني لِحيان من هذيل، بالقرب من عسفان، ابن أم مكتوم، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيدا[٢].

٢١) استخلف ابن أم مكتوم، خمس ليال في غزوة ذي قَرَدَ ، على ليلتين من المدينة[٣].

٢٢) استخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية[٤].

في السنة السابعة:

٢٣) استخلف سِباع بن عُرفُطَة في غزوة خيبر، وهي على بعد ثمانية برد من المدينة، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحا سار الى وادي القرى فحصرهم أياما حتى افتتحها عنوة ثم صالح أهل تيماء وهي على ثمانية مراحل من الشام، ووادي القرى بينها وبين المدينة[٥].

٢٤) واستخلف أيضا سباع بن عرفطة في عمرة القضاء[٦].

في السنة الثامنة:

٢٥) استخلف على المدينة أبارهم الغفاري في غزوة مكة.

١) أبو رهم: كلثوم بن الحصين أسلم بعد قدوم النبي صلّى الله عليه وآله المدينة، شهد أحدا فرمي بسهم في نحره فبصق عليه النبي فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

٢) بنو لحيان، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط. مصر سنة ١٣٨٢، ص ١٩٦ — ١٩٨.
وعسفان بين مكة والمدينة، اختلفوا في تعيين موضعه. معجم البلدان مادة: عسفان.

٣) ذي قرد: من طريق خيبر، وكان عيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه وهو بالغابة وهي على بريد من المدينة أو أكثر. فخرج صلّى الله عليه وآله يوم الاربعاء لثلاث أو لاربع خلون من شهر ربيع الاول فاستنقذ بعضها وعاد الى المدينة. التنبيه والاشراف، ذكر السنة السادسة.

٤) خرج الرسول صلّى الله عليه وآله يوم الاثنين هلال ذي الحجة للعمرة فصده المشركون عن دخول مكة فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر في السنة القادمة.

٥) سباع بن عرفطة الغفاري استعمله النبي على المدينة لما سار الى خيبر وتيماء. ترجمته بأسد الغابة.

٦) سار النبي صلّى الله عليه وآله لستّ ليال خلون من ذي القعدة.

٢٦) سار بعد غزوة مكة الى هوازن لغزو حنين وحنين واد الى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليال عن مكة، وبقي ــ أيضا ــ أبورهم كذلك واليا على المدينة في هذه الغزوة.

٢٧) واستخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ــ على بعد تسعين فرسخا من المدينة ــ.

وهي آخر غزواته، وكانت غزواته ثماني وعشرين غزوة ان اعتبرنا خيبر ووادي القرى غزوتين، والا فهي سبع وعشرون غزوة.

* * *

رجعنا في ذكر اسماء من استخلفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم على المدينة في غيابه عنها الى التنبيه والاشراف للمسعودي في ذكره التأريخ من السنة الثانية الى السنة الثامنة من الهجرة وقد يختلف في ذكر اسماء من ولاّه رسول صلّى الله عليه وآله على المدينة مع غيره احيانا اما ما ذكره في استخلاف الامام علي على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك ايضا امام الحنابلة في مسنده فيما رواه عن سعد بن ابي وقاص قال:

انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليها علياً رضي الله عنه على المدينة فقال عليّ: يا رسول الله ما كنت احب ان تخرج وجها الاّ وانا معك فقال أو ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لا نبي بعدي[1].

ويؤيّد ذلك ايضا ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن ابي وقاص ايضا انّه قال:

انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال أتخلفني في الصبيان والنساء قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى الاّ انّه ليس نبي بعدي[2].

وما رواه مسلم أيضا في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص انّه قال:

سمعت رسول صلّى الله عليه وسلم يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه فقال

١) مسند احمد ج ١/١٧٧.

٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك ج ٣/٥٨.

له علي يا رسول الله خلّفتني مع الصبيان والنساء؟ فقال له رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدى[1].

* * *

هكذا لم يغب الرسول صلّى الله عليه وآله في غزواته عن المدينة اياما معدودات دون ان يستخلف عليهم من يرجعون اليه مدة غيابه عن المدينة، بل انه لم يغب يوما عن المدينة او بعض يوم دون ان يستخلف عليهم من يرجعون اليه، كما كان الشأن في غزوة احد، وكان جبل احد على بعد ميل من المدينة، فانه صلّى الله عليه وآله قد عيّن خليفته عليهم مدة غيابه عنهم، بل وفي غزوة الخندق أيضاً حيث كان يقاتل في المدينة واستقر دون الخندق، عيّن لاهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم في الحرب، اذا كان هذا دأب الرسول صلّى الله عليه وآله في غيابه عن المدينة بعض يوم، وكذلك في حال انشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لامّته من بعده وهو يتركهم ابد الدهر؟ هل تركهم هملا، ولم يعيّن لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن ابي طالب، الحديث ٣٢، وراجع ايضا مسند ابي داود الطيالسي ج ٢٩/١، وحلية الاولياء لأبي نعيم ج ١٩٥/٧ و ١٩٦، ومسند احمد ج ١٧٣/١، ١٨٢، ١٨٤، ٣٣٠ و ج ١٥٣/٤، وتاريخ بغداد للخطيب ج ٤٣٢/١١، وخصائص النسائي ص: ٨، ١٦، وطبقات ابن سعد ج ٣ / ق ١٥/١.

النصوص الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تعيين ولي الامر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الانبياء في تعيين الوصي و ولي الامر لأممهم من بعدهم

الوصية في الامم السابقة

قد سلسل المسعودي[1] اتصال الحجج وأوصياء الانبياء من لدن آدم حتى خاتم لنبيين صلوات الله عليهم أجمعين وأوصيائه فقد ذكر ـ مثلا ـ :

أن وصي آدم كان هبة الله وهو شيث بالعبرانية .

وأن وصي ابراهيم كان اسماعيل (ع) .

وأن وصي يعقوب كان يوسف (ع) .

وأن وصي موسى كان يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف (ع) وخرجت عليه صفورا زوجة موسى (ع) .

وأن وصي عيسى كان شمعون (ع) .

وأن وصي خاتم الأنبياء محمد (ص)كان علي بن أبي طالب ، ثم الاحد عشر من ولده (ع) .

١) إثبات الوصية ، للمسعودي ، مطبعة الحيدرية ، النجف الاشرف ، والمسعودي هو:
أبو الحسن ، علي بن الحسين المسعودي ، ينتهي نسبه الى الصحابي عبد الله بن مسعود ، توفي سنة ٣٤٦ هـ وفي ترجمته بطبقات الشافعية (ج ٢/٣٠٧): قيل كان معتزلي العقيدة ، وأشار الى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات (ج ٢/٤٥) وياقوت الحموي في معجم الادباء (ج ١٣/٩٤)وقالا : له كتاب البيان في أسماء الائمة ، وفي الميزان ، لابن حجر (ج ٤/٢٢٤) له كتاب تعيين الخليفة وسماه في الذريعة وغيرها :(إثبات الوصية) .

وزير الرسول صلى الله عليه وآله و وصّيه و وليُّ عهده وخليفته من بعده

الوصي في أحاديث الرسول (ص)

اوردنا في اول الباب قصة انذار بني هاشم وفي ذلك اليوم وبمحضر من رجال بني هاشم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « إنَّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا » وبهذا القول عيّن الرسول صلى الله عليه وآله وصيّه وخليفته فيهم وأمرهم بإطاعته « وما أتاكم الرسول فخذوه ».

وروى الطبراني عن سلمان قال قلت يا رسول الله : إنَّ لكلِّ نبيٍّ وصيّاً فمن وصِيُّك ؟ فسكت عني فلما كان بعد رآني فقال يا سلمان فأسرعت اليه قلت لبيك قال : تعلم من وصِيُّ موسى قال نعم ، يوشع بن نون قال لم ؟ قلت : لانه كان أعلمهم يومئذ قال : فإن وصِيي وموضع سرِّي وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب[1] .

وعن أبي أيُّوب أن رسول الله (ص) قال لابنته فاطمة :

اما علمت أن الله عز وجل اطَّلع على أهل الارض فاختار منهم اباك فبعثه نبيّاً ثم اطَّلع الثانية فاختار بعلك فأوحى اليَّ فأنكحته و اتخذته وصيّاً[2] .

وعن ابي سعيد أن رسول الله (ص) قال :

إن وصيي وموضع سرِّي وخير من اترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني

١) رواه الهيتمي عن الطبراني في مجمع الزوائد (ج١١٣/٩) ، ورواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الامة باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لاحمد بن حنبل وهذا لفظه :

قال أنس قلنا لسلمان :

سل رسول الله (ص) من وصيك ؟ فسأل سلمان رسول الله (ص) فقال : من كان وصي موسى بن عمران ؟ فقال : يوشع بن نون . قال : ان وصيي ووارثي ومنجز وعدي علي بن أبي طالب

٢) مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٢٥٣/٨) وفي (ج ١٦٥/٩) منه عن علي بن علي الهلالي : ووصيي خير الاوصياء وأحبهم الى الله وهو بعلك. . . . . الحديث . ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد (ج ٣١/٥)وكنز العمال ، كتاب الفضائل ، الفصل الثاني ، فضائل علي بن أبي طالب ، الحديث رقم : (١١٦٣) ، (ج ٢٠٤/١٢)

وأبو أيوب الانصاري اسمه خالد بن زيد الخزرجي ، شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد رسول الله (ص) وشهد مع الامام علي الجمل وصفين ونهروان ، وتوفي عند مدينة القسطنطينية سنة خمسين أو احدى وخمسين ، اسد الغابة (ج ١٤٣/٥)

«من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[1]، «وانصر من نصره واخذل من خذله»[2].

قال عبد الرحمن: فقام الاثلاثة لم يقوموا فاصابتهم دعوته[3].

قال ابوالطفيل: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئا فلقيت زيد بن ارقم فقلت له: انّي سمعت عليا (رض) يقول كذا وكذا، قال: فما تنكره قد سمعت رسول الله يقول ذلك له[4].

وفي رواية فقام ثلاثون من الناس[5].

وفي رواية جاء رهط من الانصار الى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا قال: كيف اكون مولاكم وأنتم قوم عرب، قالوا سمعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم خمّ يقول من كنت مولاه فان هذا مولاه قال الراوي فلمّا مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الانصار منهم ابوأيوب.

وفي رواية فقال: من القوم. قالوا: مواليك يا أميرالمؤمنين[6].

* * *

أوردنا نتفا من أخبار هؤلاء الاوصياء الثلاثة كمثال لاخبار بقية أوصياء الانبياء في الامم السابقة.

ولم يكن خاتم الأنبياء بدعا من الرسل ليترك أمته دون تعيين ولي الأمر من بعده وهو الذي لم يغب عن المدينة؛ المجتمع الاسلامي الصغير، في غزواته ولا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحدا، لم يترك خاتم الأنبياء والمرسلين المجتمعات الاسلامية للأبد دون أن يعين أولي الأمر من بعده، بل عينهم بألفاظ مختلفة وفي أماكن متعددة، منها ما خص بالذكر الامام من بعده ومنها ما ذكر فيها جميع الأئمة ومما خصّ بالذكر الامام علي بن أبي طالب وحده الاحاديث الآتية:

١) في مسند احمد ١١٨/١ و ١١٩ و ٣٧٠/٤ و ٣٧٠/٥، وابن كثير ٢١١/٥.
٢) مسند احمد ١١٨/١، وتاريخ ابن كثير ٢١٠/٥.
٣) مسند احمد ١١٩/١ الحديث ٩٦٤.
٤) مسند احمد ٣٧٠/٤.
٥) مسند احمد ٢٧٠/٤ والرياض النضرة ١٦٢/٢ وابن كثير ٢١٢/٥.
٦) مسند احمد ٤١٩/٥ وابن كثير ٢١٢/٥.

تأليف

العلاّمة السيّد مرتضى العسكري

الولاية واولو الامر في القرآن الكريم

أ) ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الاحاديث السابقة على ولاية الامام عليّ على المؤمنين بعد رسول الله وهذا بعينه ما عنته الاية الكريمة «انّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» الاية ٥٥ من سورة المائدة.

ويؤيد ذلك الروايات الاتية:

في تفسير الطبري، واسباب النزول للواحدي وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وانساب الاشراف للبلاذري وغيرها[1].

عن ابن عباس وابي ذر وانس بن مالك والامام علي وغيرهم ما خلاصته:

«انّ فقيرا من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول وسأل وكان عليّ راكعا في صلاة غير فريضة[2]، فاوجع قلب عليّ كلام السائل، فأوما بيده اليمنى الى خلف ظهره، وكان في اصبعه خاتم عقيق يماني أحمر يلبسه في الصلاة، وأشار الى السائل بنزعة

١) تفسير الطبري ١٨٦/٦، واسباب النزول للواحدي ص ١٣٣ ــ ١٣٤، وفي شواهد التنزيل ١٦١/١ ــ ١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس وفي ص ١٦٥ ــ ١٦٦ روايتان عن انس بن مالك، وستّ روايات اخرى في ص ١٦٧ ــ ١٦٩، وانساب الاشراف للبلاذري ح ١٥١ من ترجمة الامام ١ / الورقة ٢٢٥، وغرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري ١٦٧/٦ ــ ١٦٨، واخرج السيوطي كثيراً من رواياتها في تفسيره ٢٩٣/٢ ــ ٢٩٤، وقال في لباب النقول في اسباب النزول ص ٩٠ ــ ٩١ بعد ايراد الروايات: «فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضا».

٢) يستفاد ذلك من رواية انس حيث قال: خرج النبي الى صلاة الظهر فاذا هو بعلي يركع، ونظيرها رواية ابن عباس، وكلتاهما في شواهد التنزيل ١٦٣/١ ــ ١٦٤.

فنزعه ودعاله، ومضى فما خرج احد من المسجد حتّى نزل جبرئيل عليه السّلام بقول عزّوجل «انما وليكم الله...» الاية[1]، فأنشأ حسان بن ثابت يقول ابياتا منها قوله:

ابا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيء في الهدى ومسارع
فانت الذي اعطيت اذانت راكع ... فدتك نفوس القوم ياخير راكع
فانزل فيك الله خير ولاية ... فاثبتها في محكمات الشرائع[2]

ايراد على دلالة الاية

اورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة انّ لفظ الاية «والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» جمع فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الامام علي؟

قال المؤلف: توهم من قال ذلك فانّ الذي لا يجوز انّما هو استعمال اللفظ المفرد وارادة الجمع منه، امّا العكس فجايز وشايع في المحاورات وقد ورد نظائرها في موارد متعددة في القرآن الكريم مثل التعابير التي وردت في سورة المنافقين:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد انّ المنافقين لكاذبون» الى قوله تعالى «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون» الى قوله: «هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتّى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون، يقولون لئن رجعنا الى المدينة لنخرجنّ الاعزّ منها الاذل، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون. الايات ١ ــ ٨.

قال الطبري في تفسير السورة:

انّما عني بهذه الايات كلّها عبدالله بن ابي سلول... وأنزل الله فيه هذه السورة من اولها الى اخرها وبالنحو الذي قلنا، قال اهل التأويل وجاءت الاخبار[3].

وروى السيوطي بتفسير الايات عن ابن عباس انّه قال: وكلّ شئ أنزله في المنافقين ــ في هذه السورة ــ فانما أراد عبدالله بن أبي[4].

١) الى هنا اوردنا ملخصة من شواهد التنزيل.
٢) نقلا عن كفاية الطالب الباب ٦١ ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير ٣٥٧/٧.
٣) تفسير الطبري ٢٧٠/٢٨.
٤) تفسير السيوطي ٢٢٣/٦.

الذين يقولون» وبقوله عزّ اسمه «واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤوسهم» القائل والفاعل واحد كما اجمع على ذلك المفسرون وأطبقت الروايات على ذلك وانما اوردنا هذا على سبيل المثال والاّ فنظائرها متعددة في القران الكريم مثل قوله تعالى:

«ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن» التوبة: ٦١.

«الذين قال لهم الناس انّ الناس قدجمعوا لكم ...» آل عمران: ١٧٣.

«يقولون هل لنا من الامر شئي ...» آل عمران: ١٥٤.

هذه الى غيرها ممّا عُبّر فيها بلفظ الجمع وأريد بها الواحد تعدد نظائرها في القرآن الكريم.

ب) أُولو الامر: عليّ والأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ علياً هو مولى المؤمنين وولّي أمرهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، كما انها تفسر المراد من أولي الأمر في الاية الكريمة:

«يا ايّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»[1].

ودلّت على ذلك أيضا الاحاديث الآتية:

أ) في شواهد التنزيل عن علي أنّه سأل رسول الله عن الاية وقال: يا نبي الله من هم؟ قال: انت اولهم.

ب) وعن مجاهد: «وأولي الأمر منكم» قال: علي بن ابي طالب ولاّه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلّفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه.»

ج) وعن أبي بصير، عن ابي جعفر:

«أنّه سأله عن قول الله «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم قال: نزلت في علي بن أبي طالب قلت: انّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمّي عليا وأهل بيته في كتابه فقال أبوجعفر: قولوا لهم إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثا ولا اربعا حتّى كان رسول الله هو الذي يفسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا أسبوعا

١) سورة النساء: الاية ٥٩.

حتّى فسر لهم ذلك رسول الله، وأنزل «وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم» فنزلت في علي والحسن والحسين وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي انّي سألت الله ان لا يفرق بينهما حتّى يردا عليّ الحوض فأعطاني ذلك.»[1]

قول النبي (ص) مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع) و مثل باب حطة في بني اسرائيل

روى من الصحابة و أهل البيت كل من الامام علي و أبو ذر و أبو سعيد الخدري و ابن عباس و أنس بن مالك .

ان رسول الله (ص) قال : « مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق » .

و في ألفاظ بعضهم :

« و مثل باب حطة في بني اسرائيل ».

المصادر :

ذخائر العقبى للمحب الطبري ص : ٢٠ .

مستدرك الحاكم (ج ٢/٣٤٣ و ج ٣/١٥٠ .

حلية الاولياء لأبي نعيم (ج ٤/٣٠٦) .

تاريخ بغداد للخطيب (ج ١٢/١٩) .

مجمع الزوائد للهيتمي (ج ٩/١٦٨) .

الدر المنثور للسيوطي بتفسير الاية : « و ادخلوا الباب سجدا و قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم » .

كنز العمال ، ط ، الاولى ، (ج ٦/١٥٣ و٢١٦) .

الصواعق لابن حجر ، ص : ٧٥ ، رواها عن الدرقطني و الطبراني و ابن جرير و أحمد بن حنبل و غيرهم .

١) الاحاديث: أ، ب، ج وردت متواليات في شواهد التنزيل ١/١٤٨ ــ ١٥٠.

الائمة علي وبنوه عليهم السّلام
مبلّغون عن رسول الله صلّى الله عليه وآله

حصر القران الكريم في عدة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى: «ما على الرسول الا البلاغ»[1]. وقوله «وما على الرسول الاّ البلاغ المبين»[2] وقوله: «انّما على رسولنا البلاغ المبين»[3]، وقوله «فهل على الرسل الاّ البلاغُ المبين»[4].

وحصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصة في التبليغ بقوله تعالى «فانّما عليك البلاغ»[5]، وقوله «إن عليك الاّ البلاغ»[6].

وينقسم التبليغ الى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة، والى تبليغ ماحان وقت عمله وما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين وواجب المسلمين تجاه الحاكم الجائر وينقسم ما يبلغه الرسول الى قسمين:

أ) ما اوحي الى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمّى في هذه الامة بالقرآن الكريم قال سبحانه «وأوحي اليّ هذا القران لانذركم به ومن بلغ»[7].

١) سورة المائدة: الاية ٩٩.
٢) سورة النور: الاية ٥٤ وسورة العنكبوت: الاية ١٨.
٣) سورة المائدة: الاية ٩٢، وسورة التغابن: الاية ١٢.
٤) سورة النحل: الاية ٣٥.
٥) سورة آل عمران: الاية ٢٠، وسورة النحل: الاية ٣٥، وسورة الرعد: الاية ١٣.
٦) سورة الشورى: الاية ٤٨.
٧) سورة الانعام: الاية ١٩.

ب) ما أوحي الى الرسول معناه دون لفظه وبلّغه الرسول بلفظه الشريف مثل تبليغه تفصيل احكام الشرع، قال الله سبحانه «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصيّنا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه»[1].

انّ الرسول عندما يعين عدد ركعات الصلاة واذكارها ويبين سائر احكامها وسائر احكام الشرع الاسلامي، اويبلغ أنباء الامم السابقة والغيوب الاتية في هذه الدنيا او العالم الاخر، انّما يبلّغ ما اوحى اليه في غير القرآن الكريم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويسمى هذا النوع من التبليغ في هذه الامة بالحديث النبوي الشريف.

* * *

حصرت الايات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فان الصفة المميزة للرسول هي التبليغ، واذا قال الرسول عن شخص (إنّه منّي) يعني انّه منه في أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطا، بل قد وجدنا الرسول يصرح بذلك في قسم من تلك الاحاديث مثل ما ورد في قصة تبليغ آيات البراءة التالية:

قصة تبليغ آيات البراءة

وردت قصة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي وتفسير الطبري وخصائص النسائي ومستدرك الصحيحين وغيرها، عن انس وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعمر بن ميمون وعلي بن أبي طالب[2]، وأبي بكر، ونختار هنا ذكر رواية ابي بكر الواردة في مسند احمد ، الى قوله: قال ابوبكر:

«انّ النبي بعثه ببراءة لاهل مكة، لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الاّ نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مدة فأجله الى مدة، والله برئ من المشركين ورسوله، قال فسار بها ثلاثا ثمّ قال لعلي «الحقه فردّ عليّ أبابكر وبلّغها انت»، قال: ففعل، فلمّا قدم على النبي صلّى الله

١) سورة الشورى: الاية ١٣.

٢) صحيح الترمذي ١٦٤/١٤ ــ ١٦٥، ومسند احمد ١٥١/١ و ٣٣٠ و ٢٨٣/٣ وراجع ج ١٥٠/١، وخصائص النسائي ص ٢٨ ــ ٢٩، وتفسير الطبري ٤٦/١٠، ومستدرك الصحيحين ٥١/٣، ومجمع الزوائد ٢٩/٧ و ١١٩/٩.

عليه وسلّم ابوبكر بكى وقال: يا رسول الله حدث فيّ شئ؟ قال: «ما حدث فيك الاّ خير، ولكنّي أمرت ان لا يبلغه الا أنا او رجل مني»[1].

وفي رواية عبدالله بن عمر:

«ولكن قيل لي: أنّه لا يبلّغ عنك الا انت او رجل منك»[2].

وفي رواية أبي سعيد الخدري:

«لا يبلّغ عني غيري او رجل منّي»[3].

تدلنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، ان القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما اوحى الله الى رسوله من احكام الى المكلفين بها في بادئ الامر، وهذا ما لا يقوم به الا الرسول او رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الاحكام بعد ما بلغوا بها بواسطة الرسول او رجل من الرسول فان لهم عند ذاك ان يقوموا بتبليغها الى غيرهم، ويطرد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كلّ من بلغه الحكم الى ابد الدهر.

وواضح أنّ الرسول عنى بقوله «لا يبلغ عنيّ غيري او رجل منّي التبليغ من النوع الاول».

ويفسر ايضا لفظ «منّي» في احاديث الرسول صلّى الله عليه وآله حديث المنزلة الاتي:

علي من النبي بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، ومسلم، ومسند الطيالسي، واحمد، وسنن الترمذي، وابن ماجة وغيرها[4] واللفظ للأوّل، انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لعلي:

١) مسند احمد ٣/١ الحديث ٤ من مسند ابي بكر وقال احمد شاكر: «اسناده صحيح» وراجع كنز العمال وذخائر العقبى.

٢) في مستدرك الصحيحين ٥١/٣.

٣) في الدرّ المنثور بتفسير «براءة من الله».

٤) صحيح البخاري ٢٠٠/٢ باب مناقب علي بن ابي طالب وصحيح مسلم ج ١٢٠/٧ باب من فضائل علي بن ابي طالب والترمذى ج ١٧١/١٣ باب مناقب علي والطيالسي ج ٢٨/١ و ٢٩ وح ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٣ وابن ماجة باب فضل علي بن ابي طالب ح ١١٥، ومسند احمد ج ١٧٠/١ و ١٧٣ ــ ١٧٥ و ١٧٧

«انت منّي بمنزلة هارون من موسى الا انّه ليس نبي بعدي»

ولفظ مسلم وغيره:

«الاّ انّه لا نبي بعدي».

وفي رواية ابن سعد في الطبقات عن البرّاء بن عازب وزيد بن ارقم قالا: لما كان عند غزوة جيش العسرة وهي تبوك قال رسول الله صلّى عليه وسلم لعلي بن ابي طالب: انّه لابد من ان اقيم او تقيم، فخلّفه، فلما فصل رسول الله صلّى الله عليه وسلم، غازيا قال ناس: ما خلف عليا الاّ لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليا فاتبع رسول الله صلّى الله عليه وسلم حتى انتهى اليه فقال له: ما جاء بك يا علي؟ قال: لا يا رسول الله الاّ انّي سمعت ناسا يزعمون انّك انّما خلّفتني لشيء كرهته منّي، فتضاحك رسول الله صلّى الله عليه وسلم، وقال: يا علي اما ترضى ان تكون منّي كهارون من موسى غير انّك لست بنبيّ؟ قال: بلى يا رسول الله، قال فانّه كذلك[1] وقد مرّ بعض الفاظ الحديث في باب من استخلفه النبي صلّى الله عليه وآله على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ «منّي» في أحاديث الرّسول صلّى الله عليه وآله:

إنّ لفظ «منّي» في حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» يوضّح المراد من هذا اللفظ في احاديث الرسول الاخرى، وذلك انّ هارون لمّا كان شريك موسى في النبوة ووزيره في التبليغ وكان عليّ من خاتم الانبياء بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوة يبقى لعلي الوزارة في التبليغ، وعلى هذا فانّ الرسول فسر لفظ «منّي» في هذه الاحاديث بكل وضوح وجلاء ان القصدمنه انّه منه في مقام التبليغ عن الله الى المكلفين بلا واسطة، ومن ثمّ يتضح معنى «منّي» في احاديث اخرى للرسول صلى الله عليه وآله في حق الامام علي والذي وردفيها غير مفسرة.

و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ١٨٥ و ٣٣٠ وج ٣/٣٢ و ٣٣٨ وج ٦/٣٦٩ و ٤٣٨، ومستدرك الحاكم ج ٢/٣٣٧، وطبقات ابن سعد ٣/١/١٤ و ١٥، ومجمع الزوائد ج ٩/١٠٩ ــ ١١١، ومصادر اخرى كثيرة.

١) طبقات ابن سعد ج ٣ / ق ١/١٥، ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٩/١١١ باختلاف يسير.

مثل ما ورد في رواية بريدة في خبر الشكوى انّ الرسول صلّى الله عليه وآله قال له: «لا تقع في علي فأنّه منّي و...»[1].

ورواية عمران بن حصين: «انّ عليا منّي...»[2].

* * *

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أن عليّاً والائمّة (ع) من ولده، من رسول الله صلّى الله عليه وآله في حمل أعباء التبليغ الى المكلفين مباشرة وظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فهم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنّه يأخذ الاحكام التي يبلّغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله صلّى الله عليه وآله فهم مبلّغون عن رسول الله الى الامة وقد أعدهم الله ورسوله لحمل أعباء التبليغ وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهّرهم تطهيرا كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول على الامام علي خاصة ممّا أوحى الله اليه ثمّ ورث الائمة من أبيهم الامام علي ذلك واحدا بعد الاخر كما نصّت على ذلك الروايات الاتية.

حامل علوم الرسول صلّى الله عليه وآله

في تفسير الرازي وكنز العمال قال علي:

«علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله الف باب من العلم وتشعب لي من كلّ باب الف باب»[3].

وفي تفسير الطبري وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال وفتح الباري واللفظ للاخير:

عن ابي الطفيل قال: شهدت عليا وهو يخطب وهو يقول: سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون الى يوم القيامة الاحدثتكم به، وسلوني عن كتاب الله فوالله مامن آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل...»[4].

ومن هنا قال في حقّه رسول الله صلّى الله عليه وآله كما رواه جابر بن عبدالله

١ و ٢) مضى ذكر سندهما في باب: ولّي امر المسلمين.

٣) بتفسير الاية «ان الله أصطفى آدم...» وكنز العمال ج ٣٩٢/٦ و ٤٠٥.

٤) تفسير ابن جرير ج ١١٦/٢٦، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ق: ١٠١/٢، وتهذيب التهذيب ج ٣٣٧/٧، وفتح الباري ج ٢٢١/١٠، وحلية الاولياء ج ٦٧/١، وكنز العمال ج ٢٢٨/١.

«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب» قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد[1].

وفي رواية: فمن أراد العلم فليأت الباب[2].

وفي رواية:

«سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي (عليه السّلام) يقول: هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، ــ يمدّ بها صوته ــ أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب»[3].

ولفظه في رواية ابن عباس:

«آنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»[4].

وفي رواية الامام علي، قال رسول الله (ص):

«أنا دار العلم وعلي بابها»[5].

وقال في حقّه ايضا كما رواه ابن عباس:

«أنا مدينة الحكمة وعلي بابها فمن اراد الحكمة فليأت الباب»[6].

وفي رواية الامام علي، قال رسول الله (ص):

«أنا دار الحكمة وعلي بابها»[7].

وقال في حقّه كما في رواية ابي ذر:

«علي باب علمي ومبين لامتي ما أرسلت به بعدي...»[8].

١) مستدرك الصحيحين ج ١٢٦/٣. وفي ص: ١٢٧ منه بطريق اخر، وفي تاريخ بغداد ج ٣٤٨/٤ و ج ١٧٢/٧ وج ٤٨/١١ وفي ص ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح وفي أسد الغابة ٢٢/٤ ومجمع الزوائد ج ١١٤/٩ وتهذيب التهذيب ٣٢٠/٦ و ٤٢٧/٧، وفي متن فيض القدير ٤٦/٣، وكنز العمال ط ٢، ج ٢٠١/١٢ ح ١١٣٠، والصواعق المحرقة / ٧٣.

٢) مستدرك الصحيحين ١٢٧/٣.

٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣٧٧/٢.

٤) كنز العمال ط ٢، ج ٢١٢/١٢، ح ١٢١٩، وراجع كنوز الحقائق للمناوي.

٥) الرياض النضرة ج ١٩٣/٢.

٦) تاريخ بغداد للخطيب ج ٢٠٤/١١، وصحيح الترمذي.

٧) صحيح الترمذي ج ١٧١/١٣ باب مناقب علي بن ابي طالب، قال وفي الباب عن ابن عباس، وحلية الاولياء لابي نعيم ج ٦٤/١، وكنز العمال ط. ١، ج ١٥٦/٦.

٨) كنز العمال ط. ١ ج ١٥٦/٦.

ائمة اهل البيت (ع) لا يعتمدون الرأي في بيان الاحكام

في الكافي: سأل رجل ابا عبدالله ــ الامام جعفر الصادق ــ عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل: أرأيت ان كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه، ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله لسنا من (أرأيت) في شيء[1].

احاديث ائمة اهل البيت مسندة الى الله ورسوله

في بصائر الدرجات: مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله لسنا نقول برأينا من شيء[1].

قال المجلسي: لمّا كان مراده ــ اى السائل ــ اخبرني عن رأيك الذى تختاره بالظنّ والاجتهاد نهاه (ع) عن هذا الظنّ وبيّن له أنّهم لا يقولون شيئاً إلاّ بالجزم واليقين وبما وصل اليهم من سيّد المرسلين (ص)[2].

وفي بصائر الدرجات، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر الامام محمّد الباقر(ع) انّه قال: لو انّا حدّثنا برأينا ضللنا كما ضلّ من كان قبلنا ولكنّا حدّثنا ببيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه فبيّنها لنا[3].

وفيه ايضا عن الفضيل عن الامام جعفر الصادق انّه قال: بيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه (ص) فبيّنها نبيّه لنا فلولا ذلك كنّا كهؤلاء الناس[4].

وفيه عن سماعة عن ابي الحسن (ع) قال قلت له: كلّ شيء تقول به في كتاب الله وسنّة «نبيه» او تقولون فيه برأيكم قال: بل كل شيء نقوله في كتاب الله وسنّة نبيّه[5].

توارث ائمة اهل البيت (ع) علومهم

في بصائر الدرجات عن داود بن ابي يزيد الاحول عن ابي عبدالله ــ الامام الصادق ــ قال: سمعته يقول: انّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين ولكنّها آثار من رسول الله اصل علم نتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم[6].

١) الكافي ٥٨/١ من اصول الكافي تأليف ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي (ت: ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ) ط. طهران سنة ١٣٧٥ هـ، والوافي ٥٩/١ تأليف محمد بن مرتضى المشهور بملا محسن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ) ط. سنة ١٣٢٤ هـ.

صيانة القرآن من التحريف

للإمام الأكبر زعيم الحوزة العلمية

السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي

وقوع التحريف المعنوي في القرآن باتفاق المسلمين. التحريف الذي لم يقع في القرآن بلا خلاف . التحريف الذي وقع فيه الخلاف. تصريحات أعلام الإمامية بعدم التحريف كجزء من معتقداتهم . نسخ التلاوة مذهب مشهور بين علماء أهل السنة . كلمات مشاهير الصحابة في وقوع التحريف . القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف . الأدلة الخمسة على نفي التحريف . شبهات القائلين بالتحريف .

يحسن بنا – قبل الخوض في صميم الموضوع – أن نقدم أمام البحث اموراً ، لها صلة بالمقصود ، لا يستغنى عنها في تحقيق الحال وتوضيحها .

١ – معنى التحريف :

يطلق لفظ التحريف ويراد منه عدة معان على سبيل الاشتراك ، فبعض منها واقع في القرآن باتفاق من المسلمين ، وبعض منها لم يقع فيه باتفاق منهم أيضاً ، وبعض منها وقع الخلاف بينهم . واليك تفصيل ذلك [١] :

الأول : « نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره » ومنه قوله تعالى :

« مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ٤ : ٤٦ » .

ولا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله فإن كل من فسّر القرآن بغير حقيقته ، وحمله على غير معناه فقد حرّفه . وترى كثيراً من أهل البدع ، والمذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم .

وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى ، وذم فاعله في عدة من الروايات .

---

(١) انظر التعليقة رقم (٦) تقديم دار التقريب لهذا البحث في قسم التعليقات .

منها: رواية الكافي بإسناده عن الباقر عليه السلام أنه كتب في رسالته إلى سعد الخير:

« وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يرعونه ، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية ... »[1] .

الثاني : « النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات ، مع حفظ القرآن وعدم ضياعه ، وإن لم يكن متميزاً في الخارج عن غيره » .

والتحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعاً ، فقد أثبتنا لك فيما تقدم عدم تواتر القراءات ، ومعنى هذا أن القرآن المنزل إنما هو مطابق لإحدى القراءات ، وأما غيرها فهو إما زيادة في القرآن وإما نقيصة فيه .

الثالث : « النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين ، مع التحفظ على نفس القرآن المنزل » .

والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الإسلام ، وفي زمان الصحابة قطعاً، ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أن عثمان أحرق جملة من المصاحف وأمر ولاته بحرق كل مصحف غير ما جمعه ، وهذا يدل على أن هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه ، وإلا لم يكن هناك سبب موجب لإحراقها، وقد ضبط جماعة من العلماء موارد الاختلاف بين المصاحف ، منهم عبد الله ابن أبي داود السجستاني ، وقد سمى كتابه هذا بكتاب المصاحف . وعلى ذلك فالتحريف واقع لا محالة إما من عثمان أو من كتّاب تلك المصاحف ، ولكنا سنبين بعد هذا إن شاء الله تعالى أن ما جمعه عثمان كان هو القرآن المعروف بين المسلمين ، الذي تداولوه عن النبي

---

(١) الوافي آخر كتاب الصلاة ص ٢٧٤ .

– ص – يداً بيد . فالتحريف بالزيادة والنقيصة إنما وقع في تلك المصاحف التي انقطعت بعد عهد عثمان ، وأما القرآن الموجود فليس فيه زيادة ولا نقيصة .

وجملة القول : إن من يقول بعدم تواتر تلك المصاحف – كما هو الصحيح – فالتحريف بهذا المعنى وإن كان قد وقع عنده في الصدر الأول إلا أنه قد انقطع في زمان عثمان ، وانحصر المصحف بما ثبت تواتره عن النبي – ص – وأما القائل بتواتر المصاحف بأجمعها ، فلا بد له من الالتزام بوقوع التحريف بالمعنى المتنازع فيه في القرآن المنزل ، وبضياع شيء منه . وقد مرّ عليك تصريح الطبرسي ، وجماعة آخرين بإلغاء عثمان للحروف الستة التي نزل بها القرآن ، واقتصاره على حرف واحد [1] .

الرابع : « التحريف بالزيادة والنقيصة في الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل ، والتسالم على قراءة النبي – ص – إياها » .

والتحريف بهذا المعنى أيضاً واقع في القرآن قطعاً . فالبسملة – مثلاً – مما تسالم المسلمون على أن النبي – ص – قرأها قبل كل سورة غير سورة التوبة وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن بين علماء السنة ، فاختار جمع منهم أنها ليست من القرآن ، بل ذهبت المالكية إلى كراهة الإتيان بها قبل قراءة الفاتحة في الصلاة المفروضة ، إلا إذا نوى به المصلي الخروج من الخلاف ، وذهب جماعة اخرى إلى أن البسملة من القرآن .

وأما الشيعة فهم متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة ، واختار هذا القول جماعة من علماء السنة أيضاً – وستعرف تفصيل ذلك عند تفسيرنا سورة الفاتحة – وإذن فالقرآن المنزل من السماء قد وقع فيه التحريف يقيناً ، بالزيادة أو بالنقيصة .

---

(١) في موضوع نزول القرآن على سبعة أحرف ص ١٩٦ من هذا الكتاب .

الخامس : « التحريف بالزيادة بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل » .

والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين ، بل هو مما علم بطلانه بالضرورة .

السادس : « التحريف بالنقيصة ، بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء ، فقد ضاع بعضه على الناس » .

والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون .

٢ – رأي المسلمين في التحريف :

المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن ، وأن الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبي الأعظم – ص – ، وقد صرح بذلك كثير من الأعلام . منهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه ، وقد عدّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية . ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، وصرح بذلك في أول تفسيره « التبيان » ونقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدى السيد المرتضى ، واستدلاله على ذلك بأتم دليل . ومنهم المفسر الشهير الطبرسي في مقدمة تفسيره « مجمع البيان » ، ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه « كشف الغطاء » وادّعى الإجماع على ذلك ومنهم العلامة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه « العروة الوثقى » ونسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين . ومنهم المحدث الشهير المولى محسن القاساني في كتابيه [1] . ومنهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره « آلاء الرحمن » .

---

(١) الوافي ج ٥ ص ٢٧٤ ، وعلم اليقين ص ١٣٠ .

وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف إلى كثير من الأعاظم . منهم شيخ المشايخ المفيد ، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي ، والمحقق القاضي نور الله ، وأضرابهم . وممن يظهر منه القول بعدم التحريف : كل من كتب في الإمامة من علماء الشيعة وذكر فيه المثالب ، ولم يتعرض للتحريف ، فلو كان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولى بالذكر من إحراق المصحف وغيره .

وجملة القول : أن المشهور بين علماء الشيعة ومحققيهم ، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف . نعم ذهب جماعة من المحدثين من الشيعة ، وجمع من علماء أهل السنة إلى وقوع التحريف . قال الرافعي : فذهب جماعة من أهل الكلام ممن لا صناعة لهم إلا الظن والتأويل ، واستخراج الأساليب الجدلية من كل حكم وكل قول إلى جواز أن يكون قد سقط عنهم من القرآن شيء ، حملا على ما وصفوا من كيفية جمعه [1] وقد نسب الطبرسي في « مجمع البيان » هذا القول إلى الحشوية من العامة .

أقول : سيظهر لك – بعيد هذا – أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف ، وعليه فاشتهار القول بوقوع النسخ في التلاوة – عند علماء أهل السنة – يستلزم اشتهار القول بالتحريف .

٣ – نسخ التلاوة :

ذكر أكثر علماء أهل السنة : أن بعض القرآن قد نسخت تلاوته ، وحملوا على ذلك ما ورد في الروايات أنه كان قرآناً على عهد رسول الله ﷺ فيحسن بنا أن نذكر جملة من هذه الروايات ، ليتبين أن الالتزام بصحة هذه الروايات التزام بوقوع التحريف في القرآن :

---

(١) إعجاز القرآن ص ٤١ .

١ – روى ابن عباس أن عمر قال فيما قال ، وهو على المنبر :

« إن الله بعث محمداً – ص – بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها ، وعقلناها ، ووعيناها . فلذا رجم رسول الله – ص – ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ... ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ ، من كتاب الله : أنْ لا تَرْغَبوا عن آبائكم فإنه كُفْرٌ بكم أن ترغبوا عن آبائكم ، أو : إنّ كُفْراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم ... » (١) .

وذكر السيوطي : أخرج ابن اشته في المصاحف عن الليث بن سعد . قال : « أول من جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ... وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها ، لأنه كان وحده » (٢) .

أقول : وآية الرجم التي ادعى عمر أنها من القرآن ، ولم تقبل منه رويت بوجوه : منها : « إذا زَنى الشيخُ والشيخةُ فارجمُوهما البتة ، نَكالاً من الله ، والله عزيزٌ حكيمٌ » ومنها : « الشيخُ والشيخةُ فارجموهما البتة بما قضَيَا من اللذة » ومنها : « إن الشيخَ والشيخةَ إذا زنيا فارجموهما البتة » وكيف كان فليس في القرآن الموجود ما يستفاد منه حكم الرجم . فلو صحت الرواية فقد سقطت آية من القرآن لا محالة .

٢ – وأخرج الطبراني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً :

« القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف » (٣) بينما القرآن الذي

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٦ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١١٦ بلا زيادة ثم إنا .
(٢) الإتقان ج ١ ص ١٠١ .
(٣) الإتقان ج ١ ص ١٢١ .

بين أيدينا لا يبلغ ثلث هذا المقدار، وعليه فقد سقط من القرآن أكثر من ثلثيه.

٣ – وروى ابن عباس عن عمر أنه قال :

« إن الله عز وجل بعث محمداً بالحق ، وأنزل معه الكتاب ، فكان مما أنزل اليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، ثم قال : كنا نقرأ : « ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم » ، أو : « إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم » [١] .

٤ – وروى نافع أن ابن عمر قال :

« ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله ؟ قد ذهب منه قرآن كثير ، ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر » [٢] .

٥ – وروى عروة بن الزبير عن عائشة قالت :

« كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مئتي آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن » [٣] .

٦ – وروت حميدة بنت أبي يونس . قالت :

« قرأ عليَّ أبي – وهو ابن ثمانين سنة – في مصحف عائشة : إن الله وملائكته يُصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً ، وعلى الذين يصلون الصفوف الاوَلْ . قالت : قبل أن يغير عثمان المصاحف » [٤] .

٧ – وروى أبو حرب ابن أبي الأسود عن أبيه . قال :

---

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٤٧ .
(٢) الإتقان ج ٢ ص ٤٠ – ٤١ .
(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٠ – ٤١ .
(٤) الإتقان ج ٢ ص ٤٠ – ٤١ .

« بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل. قد قرأوا القرآن . فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم ، فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب العرب من كان قبلكم ، وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدّة ببراءة فانسيتها ، غير أني قد حفظت منها: لو كان لابن آدمَ واديانِ من مال لابتغى واديا ثالثاً ولا يملأ جوْفَ ابن آدمَ إلا التراب . وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فانسيتها ، غير أني حفظت منها : يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلون ، فتُكتب شهادة في أعناقِكم ، فتُسألونَ عنها يوم القيامة » (١) .

٨ – وروى زرّ . قال : قال أُبيّ بن كعب يا زرّ :

« كأيّن تقرأ سورة الأحزاب قلت : ثلاث وسبعين آية . قال : إن كانت لتضاهي سورة البقرة ، أو هي أطول من سورة البقرة ... » (٢) .

٩ – وروى ابن أبي داود وابن الانباري عن ابن شهاب . قال :

« بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير ، فقتل علماؤه يوم اليمامة ، الذين كانوا قد وعوه ، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب ... » (٣)

١٠ – وروى عمرة عن عائشة أنها قالت :

« كان فيما انزل من القرآن : عشرُ رَضَعاتٍ معلوماتٍ يُحرّمنَ ثم نسخن بـ : خَمْسٍ معلومات، فتوفي رسول الله – ص – وهن فيما يقرأ من القرآن » (٤).

١١ – وروى المسور بن مخرمة . قال :

---

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠ .
(٢) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣ .
(٣) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٥٠ .
(٤) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٧ .

« قال عمر لعبد الرحمن بن عوف : ألم تجد فيما انزل علينا . أنْ جاهِدوا كما جاهدتم أوّلَ مرّة . فإنا لا نجـــدها . قال : اسقطت فيما اسقط من القرآن »[١] .

١٢ – وروى أبو سفيان الكلاعي : أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم :

« أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف ، فلم يخبروه ، وعنـــدهم أبو الكنود سعد بن مالك ، فقال ابن مسلمة : إنّ الذينَ آمَنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيلِ اللهِ بأموالهمْ وأنفسهمْ ألاَ أبشِروا أنتمُ المفلحون . والذينَ آوَوْهم وَنصَروهم وجادَلوا عنهمُ القومَ الذينَ غَضِبَ اللهُ عليهم أولئك لا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعْيُنٍ جزاءً بما كانوا يعملون »[٢] .

وقد نقل بطرق عديدة عن ثبوت سورتي الخلع والحفد في مصحف ابن عباس وأُبيّ بن كعب : « اللهُمّ إنا نستعينكَ ونستغفرك ونُثني عليك ولا نكْفرك ونخلع ونترك مَنْ يَفْجُرك ، اللهمّ إيّاكَ نَعْبُد ولكَ نصَلّي ونسْجُد وإليكَ نَسْعى ونَحْفَـــد ، نرجو رحمتكَ ونَخشى عذابَك إنّ عذابَك بالكافرين مُلْحق » . وغير ذلك مما لا يهمنا استقصاؤه[٣] .

وغير خفي أن القول بنسخ التلاوة هو بعينه القول بالتحريف والاسقاط .

وبيان ذلك : أن نسخ التلاوة هذا إما أن يكون قـــد وقع من رسول الله – ص – وإما أن يكون ممن تصدّى للزعامة من بعده ، فإن أراد القائلون

---

(١) الاتقان ج ٢ص ٤٢ .
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) الاتقان ج ١ص ١٢٢ – ٢١٣ .

بالنسخ وقوعه من رسول الله – ص – فهو أمر يحتاج إلى الإثبات . وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد ، وقد صرّح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها [١] بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه ، وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه ، بل إن جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه[٢] وعلى ذلك فكيف تصحّ نسبة النسخ إلى النبي – ص – بأخبار هؤلاء الرواة ؟ مع أن نسبة النسخ إلى النبي – ص – تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أن الإسقاط قد وقع بعده . وإن أرادوا أن النسخ قد وقع من الذين تصدّوا للزعامة بعد النبي – ص – فهو عين القول بالتحريف . وعلى ذلك فيمكن أن يدّعى أن القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة..سواء أنسخ الحكم أم لم ينسخ، بل تردّد الاصوليون منهم في جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته ، وفي جواز أن يمسّه المحدث . واختار بعضهم عدم الجواز . نعم ذهبت طائفة من المعتزلة إلى عدم جواز نسخ التلاوة [٣] .

ومن العجيب أن جماعة من علماء أهل السنة أنكروا نسبة القول بالتحريف إلى أحد من علمائهم حتى أن الألوسي كذّب الطبرسي في نسبة القول بالتحريف إلى الحشوية ، وقال : « إن أحداً من علماء أهل السنة لم يذهب إلى ذلك » ، واعجب من ذلك أنه ذكر أن قول الطبرسي بعدم التحريف نشأ من ظهور فساد قول أصحابه بالتحريف ، فالتجأ هو الى إنكاره[٤] مع انك قد عرفت أن القول بعدم التحريف هو المشهور . بل المتسالم عليه بين علماء الشيعة ومحققيهم ، حتى

---

(١) الموافقات لأبي اسحاق الشاطبي ج ٣ ص ١٠٦ طبعة المطبعة الرحمانية بمصر .
(٢) الإحكام في اصول الأحكام للآمدي ج ٣ ص ٢١٧ .
(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٠١ – ٢٠٣ .
(٤) روح المعاني ج ١ ص ٢٤ .

أن الطبرسي قد نقل كلام السيد المرتضى بطوله ، واستدلاله على بطلان القول بالتحريف بأتم بيان وأقوى حجة [١] .

التحريف والكتاب :

والحق . بعد هذا كله ان التحريف « بالمعنى الذي وقع النزاع فيه » غير واقع في القرآن أصلاً بالأدلة التالية :

الدليل الأول – قوله تعالى :

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ١٥ : ٩ » .

فإن في هذه الآية دلالة على حفظ القرآن من التحريف ، وأن الأيدي الجائرة لن تتمكن من التلاعب فيه .

والقائلون بالتحريف قد أوّلوا هـذه الآية الشريفة ، وذكروا في تأويلها وجوهاً :

الأول: « أن الذكر هو الرسول » فقد ورد استعمال الذكر فيه في قوله تعالى:

« قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً ٦٥ : ١٠ . رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ : ١١ » .

وهذا الوجه بيّن الفساد: لأن المراد بالذكر هو القرآن في كلتا الآيتين بقرينة التعبير « بالتنزيل والإنزال » ولو كان المراد هو الرسول لكان المناسب أن يأتي

---

(١) مجمع البيان ج ١ مقدمة الكتاب ص ١٥ .

بلفظ « الإرسال » أو بما يقاربه في المعنى ، على ان هذا الإحتمال إذ تم في الآية الثانية فلا يتم في آية الحفظ ، فإنها مسبوقة بقوله تعالى :

« وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ١٥ : ٦ » .

ولا شبهة في أن المراد بالذكر في هذه الآية هو القرآن ، فتكون قرينة على أن المراد من الذكر في آية الحفظ هو القرآن أيضاً .

الثاني : « أن يراد من حفظ القرآن صيانته عن القدح فيه ، وعن إبطال ما يتضمنه من المعاني العالية ، والتعاليم الجليلة » .

وهذا الاحتمال أبين فساداً من الأول : لأن صيانته عن القدح إن أُريد بها حفظه من قدح الكفار والمعاندين فلا ريب في بطلان ذلك ، لأن قدح هؤلاء في القرآن فوق حد الاحصاء. وان أُريد أن القرآن رصين المعاني ، قوي الاستدلال مستقيم الطريقة ، وأنه لهذه الجهات ونحوها أرفع مقاماً من أن يصل اليه قدح القادحين ، وريب المرتابين فهو صحيح ولكن هذا ليس من الحفظ بعد التنزيل كما تقوله الآية ، لأن القرآن بما له من الميزات حافظ لنفسه ، وليس محتاجاً إلى حافظ آخر ، وهو غير مفاد الآية الكريمة ، لأنها تضمنت حفظه بعد التنزيل .

الثالث : « أن الآية دلت على حفظ القرآن في الجملة ، ولم تدل على حفظ كل فرد من أفراد القرآن ، فإن هذا غير مراد من الآية بالضرورة وإذا كان المراد حفظه في الجملة ، كفى في ذلك حفظه عند الإمام الغائب عليه السلام » .

وهذا الاحتمال أوهن الاحتمالات : لأن حفظ القرآن يجب أن يكون عند من انزل اليهم وهم عامة البشر ، أما حفظه عند الإمام عليه السلام فهو نظير حفظه في

اللوح المحفوظ ، أو عند ملك من الملائكة ، وهو معنى تافه يشبه قول القائل : إني أرسلت اليك بهدية وأنا حافظ لها عندي ، أو عند بعض خاصتي .

ومن الغريب قول هذا القائل إن المراد في الآية حفظ القرآن في الجملة ، لا حفظ كل فرد من أفراده ، فكأنه توهم أن المراد بالذكر هو القران المكتوب ، أو الملفوظ لتكون له أفراد كثيرة ، ومن الواضح أن المراد ليس ذلك ، لأن القرآن المكتوب أو الملفوظ لا دوام له خارجاً ، فلا يمكن أن يراد من آية الحفظ وإنما المراد بالذكر هو المحكي بهذا القرآن الملفوظ أو المكتوب ، وهو المنزل على رسول الله ﷺ والمراد بحفظه صيانته عن التلاعب ، وعن الضياع ، فيمكن للبشر عامة أن يصلوا اليه ، وهو نظير قولنا القصيدة الفلانية محفوظة ، فإنا نريد من حفظها صيانتها ، وعدم ضياعها بحيث يمكن الحصول عليها .

نعم هنا شبهة اخرى ترد على الاستدلال بالآية الكريمة على عدم التحريف . وحاصل هذه الشبهة أن مدّعي التحريف في القرآن يحتمل وجود التحريف في هذه الآية نفسها ، لأنها بعض آيات القرآن ، فلا يكون الاستدلال بها صحيحاً حتى يثبت عدم التحريف ، فلو أردنا أن نثبت عدم التحريف بها كان ذلك من الدور الباطل .

وهذه شبهة تدل على عزل العترة الطاهرة عن الخلافة الإلهية ، ولم يعتمد على أقوالهم وأفعالهم ، فإنه لا يسعه دفع هذه الشبهة ، وأما من يرى أنهم حجج الله على خلقه ، وأنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسك فلا ترد عليه هذه الشبهة ، لأن استدلال العترة بالكتاب ، وتقرير أصحابهم عليه يكشف عن حجية الكتاب الموجود ، وإن قيل بتحريفه ، غاية الأمر أن حجية الكتاب على القول بالتحريف تكون متوقفة على إمضائهم .

الدليل الثاني قوله تعالى :

« وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ٤١ : ٤١ . لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ : ٤٢ » .

فقد دلت هذه الآية الكريمة على نفي الباطل بجميع أقسامه عن الكتاب فإن النفي إذا ورد على الطبيعة أفاد العموم ، ولا شبهة في أن التحريف من أفراد الباطل ، فيجب أن لا يتطرق إلى الكتاب العزيز .

وقد أُجيب عن هذا الدليل :

بأن المراد من الآية صيانة الكتاب من التناقض في أحكامه ، ونفي الكذب عن أخباره ، واستشهد لذلك برواية علي بن إبراهيم القمي ، في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « لا يأتيه الباطل من قبل التوراة ، ولا من قبل الإنجيل ، والزبور ، ولا من خلفه أي لا يأتيه من بعده كتاب يبطله » ورواية مجمع البيان عن الصادقين — ع — أنه : « ليس في اخباره عما مضى باطل ، ولا في اخباره عما يكون في المستقبل باطل » .

ويردّ هذا الجواب :

أن الرواية لا تدل على حصر الباطل في ذلك ، لتكون منافية لدلالة الآية على العموم ، وخصوصاً إذا لاحظنا الروايات التي دلت على أن معاني القرآن لا تختص بموارد خاصة ، وقد تقدم بعض هذه الروايات في مبحث «فضل القرآن» فالآية دالة على تنزيه القرآن في جميع الأعصار عن الباطل بجميع أقسامه ، والتحريف من أظهر أفراد الباطل فيجب أن يكون مصوناً عنه ، ويشهد لدخول التحريف في الباطل ، الذي نفته الآية عن الكتاب أن الآية وصفت الكتاب

بالعزة ، وعزّة الشيء تقتضي المحـــافظة عليه من التغيير والضياع ، أما إرادة خصوص التناقض والكذب من لفظ الباطل في الآية الكريمة ، فلا يناسبها توصيف الكتاب بالعزة .

التحريف والسنة :

الدليل الثالث : أخبار الثقلين اللذين خلّفهما النبي ﷺ في أُمّته وأخبر أنهما لن يفترقـا حتى يردا عليه الحوض ، وأمر الأمة بالتمسك بهما ، وهما الكتاب والعترة . وهذه الأخبار متظافرة من طرق الفريقين[1] والإستدلال بها على عدم التحريف في الكتاب يكون من ناحيتين :

الناحية الأولى : أن القول بالتحريف يستلزم عدم وجوب التمسك بالكتاب المنزل لضيـــاعه على الأمّة بسبب وقوع التحريف ، ولكن وجوب التمسك بالكتاب باقٍ إلى يوم القيامة ، لصريح أخبار الثقلين ، فيكون القول بالتحريف باطلاً جزماً .

وتوضيح ذلك :

أن هـذه الروايات دلت على اقتران العترة بالكتاب ، وعلى أنهما باقيان في الناس إلى يوم القيامة ، فلا بد من وجود شخص يكون قريناً الكتاب ولا بد من وجود الكتاب ليكون قريناً للعترة ، حتى يردا على النبي الحوض ، وليكون التمسك بهما حافظاً للأمة عن الضلال ، كما يقول النبي ﷺ في هذا الحديث . ومن الضروري أن التمسك بالعترة إنما يكون بموالاتهم ، واتباع أوامرهم ونواهيهم والسير على هداهم ، وهذا شيء لا يتوقف على الاتصال بالإمام ، والمخاطبة معه شفاهاً ، فإن الوصول إلى الإمام والمخاطبة معه لا يتيسر لجميع المكلفين في زمان

---

(١) تقدمت الاشارة إلى مصادر هذه الأخبار في ص ٢٦ من هذا الكتاب .

الحضور ، فضلاً عن أزمنة الغيبة ، واشتراط إمكان الوصول إلى الإمام عليه السلام لبعض الناس دعوىً بلا برهان ولا سبب يوجب ذلك ، فالشيعة في أيام الغيبة متمسكون بإمامهم يوالونه ويتبعون أوامره ، ومن هذه الأوامر الرجوع إلى رواة أحاديثهم في الحوادث الواقعة ، أما التمسك بالقرآن فهو أمر لا يمكن إلا بالوصول اليه ، فلا بد من كونه موجوداً بين الأمة ، ليمكنها أن تتمسك به ، لئلا تقع في الضلال ، وهذا البيان يرشدنا إلى فساد المناقشة بأن القرآن محفوظ وموجود عند الإمام الغائب ، فإن وجوده الواقعي لا يكفي لتمسك الأمة به .

وقد أشكل على هذا الدليل :

بأن أخبار الثقلين إنما تدل على نفي التحريف في آيات الأحكام من القرآن ، لأنها هي التي أمر الناس بالتمسك بها ، فلا تنفي وقوع التحريف في الآيات الأخرى منه .

وجوابه :

أن القرآن بجميع آياته مما أنزله الله لهداية البشر ، وإرشادهم إلى كمالهم الممكن من جميع الجهات ، ولا فرق في ذلك بين آيات الأحكام وغيرها ، وقد قدمنا في بيان فضل القرآن أن ظاهر القرآن قصة وباطنه عظة ، على أن عمدة القائلين بالتحريف يدّعون وقوع التحريف في الآيات التي ترجع إلى الولاية وما يشبهها ومن البيّن أنها لو ثبت كونها من القرآن ، لوجب التمسك بها على الأمة .

الناحية الثانية : أن القول بالتحريف يقتضي سقوط الكتاب عن الحجية ، فلا يتمسك بظواهره ، فلا بد للقائلين بالتحريف من الرجوع إلى إمضاء الأئمة الطاهرين لهذا الكتاب الموجود بأيدينا ، وإقرار الناس على الرجوع اليه بعد ثبوت تحريفه ، ومعنى هذا : أن حجية الكتاب الموجود متوقفة على إمضاء الأئمة للاستدلال به ، وأولى الحجتين المستقلتين اللتين يجب التمسك بهما ، بل هو الثقل

الأكبر ، فلا تكون حجيته فرعاً على حجيـة الثقل الأصغر ، والوجه في سقوط الكتاب عن الحجية – على القول بالتحريف – هو احتمال اقتران ظواهره بمـا يكون قرينة على خلافها، أما الاعتماد في ذلك على أصالة عدم القرينة فهو ساقط، فإن الدليل على هـذا الأصل هو بناء العقلاء على اتباع الظهور ، وعدم اعتنائهم باحتمال القرينة على خلافه ، وقد أوضحنا في مباحث الأصول أن القدر الثـابت من البناء العقلائي ، هو عـدم اعتناء العقلاء باحتمال وجود القرينة المنفصلة ، ولا باحتمال القرينة المتصلة إذا كان سببه احتمال غفـلة المتكلم عن البيان ، أو غفلة السامع عن الإستفادة ، أما احتمال وجود القرينة المتصلة من غير هذين السببين ، فإن العقلاء يتوقفون عن اتبـاع الظهور معه ، ومثال ذلك : ما إذا ورد على إنسان كتاب ممن يجب عليه طاعته يأمره فيه بشراء دار، ووجد بعض الكتاب تالفاً ، واحتمل أن يكون في هذا البعض التالف بيان لخصوصيات في الدار التي أمر بشرائها من حيث السعة والضيق ، أو من حيث القيمة أو المحل ، فإن العقلاء لا يتمسكون بإطلاق الكلام الموجود ، اعتماداً على أصالة عدم القرينة المتصلة ولا يشترون أية دار امتثالاً لأمر هذا الآمر ، ولا يعدّون من يعمل مثل ذلك ممتثلاً لأمر سيده .

ولعل القارىء يذهب به وهمه بعيداً ، فيقول : إن هـذا التقريب يهدم أساس الفقه ، واستنباط الأحكام الشرعية ، لأن العمدة في أدلتها هي الأخبار المروية عن المعصومين – عليهم السلام – ومن المحتمل أن تكون كلماتهم مقرونة بقرائن متصلة ، ولم تنقل الينا .

ولو تأمّل قليلاً لم يستقر في ذهنه هذا التوهم ، فإن المتبع في مقام الإخبار، هو ظهور كلام الراوي في عدم وجود القرينة المتصلة ، فإن اللازم عليه البيان لو كان كلام المعصوم متصلاً بقرينة ، واحتمال غفلته عنها مدفوع بالأصل .

نعم إن القول بالتحريف يلزمه عدم جواز التمسك بظواهر القرآن ، ولا

يحتاج في إثبات هـذه النتيجة إلى دعوى العلم الإجمالي باختلال الظواهر في بعض الآيات ، حتى يُجاب عنه بأن وقوع التحريف في القرآن لا يلزمه العلم الإجمالي المذكور ، وبأن هـذا العلم الإجمالي لا ينجز ، لأن بعض أطرافه ليس من آيات الأحكام ، فلا يكون له أثر في العمل ، والعلم الإجمالي إنما ينجز إذا كان له أثر عملي في كل طرف من أطرافه .

وقد يدّعي القائل بالتحريف : أن إرشاد الأئمة المعصومين – عليهم السلام – إلى الاستدلال بظواهر الكتاب ، وتقرير أصحابهم عليه قـد أثبت الحجية للظواهر ، وإن سقطت قبل ذلك بسبب التحريف .

ولكن هذه الدعوى فاسدة ، فإن هذا الإرشاد من الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وهذا التقرير منهم لأصحابهم على التمسك بظواهر القرآن ، إنما هو من جهة كون القرآن في نفسه حجة مستقلة ، لا أنهم يريدون إثبـات الحجية له بذلك ابتداءً .

ترخيص قراءة السور في الصلاة :

الدليل الرابع : انه قد أمر الأئمة من أهل البيت – ع – بقراءة سورة تامة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من الفريضة ، وحكموا بجواز تقسيم سورة تامة أو أكثر في صلاة الآيات ، على تفصيل مذكور في موضعه .

ومن البين أن هـذه الأحكام إنما ثبتت في أصل الشريعة بتشريع الصلاة وليس للتقية فيها أثر ، وعلى ذلك فاللازم على القائلين بالتحريف أن لا يأتوا بما يحتمل فيه التحريف من السور ، لأن الاشتغال اليقيني يقتضي البراءة اليقينية . وقد يدعي القائل بالتحريف أنه غير متمكن من إحراز السورة التامة ، فلا تجب عليه ، لأن الأحكام إنما تتوجه إلى المتمكنين ، وهذه الدعوى إنما تكون مسلمة إذا احتمل وقوع التحريف في جميع السور .

أما إذا كان هناك سورة لا يحتمل فيها ذلك كسورة التوحيد ، فاللازم عليه أن لا يقرأ غيرها ، ولا يمكن للخصم أن يجعل ترخيص الأئمة – ع – للمصلي بقراءة أية سورة شاء دليلاً على الاكتفاء بما يختاره من السور ، وإن لم يجز الاكتفاء بها قبل هذا الترخيص بسبب التحريف ، فإن هذا الترخيص من الأئمة – ع – بنفسه دليل على عدم وقوع التحريف في القرآن وإلا لكان مستلزماً لتفويت الصلاة الواجبة على المكلف بدون سبب موجب ، فإن من البين أن الالزام بقراءة السور ، التي لم يقع فيها تحريف ليس فيه مخالفة للتقية ، ونرى أنهم عليهم السلام أمرونا بقراءة سورة « القدر والتوحيد » في كل صلاة استحباباً ، فأي مانع من الإلزام بهما ، أو بغيرهما مما لا يحتمل وقوع التحريف فيه .

اللهم إلا أن يدعي نسخ وجوب قراءة السورة التامة إلى وجوب قراءة سورة تامة من القرآن الموجود ، ولا أظن القائل بالتحريف يلتزم بذلك ، لأن النسخ لم يقع بعد النبي ﷺ قطعاً ، وان كان في إمكانه وامتناعه كلام بين العلماء ، وهذا خارج عما نحن بصدده .

وجملة القول انه لا ريب في أمر أهل البيت – ع – بقراءة سورة من القرآن الذي بين أيدينا في الصلاة ، وهذا الحكم الثابت من دون ريب ولا شائبة تقية إما أن يكون هو نفس الحكم الثابت في زمان رسول الله ﷺ وإما أن يكون غيره ، وهذا الأخير باطل لأنه من النسخ الذي لا ريب في عدم وقوعه بعد النبي ﷺ وإن كان أمراً ممكناً في نفسه ، فلا بد وأن يكون ذلك هو الحكم الثابت على عهد رسول الله ﷺ ومعنى ذلك عدم التحريف . وهذا الاستدلال يجري في كل حكم شرعي ، رتبه أهل البيت عليهم السلام على قراءة سورة كاملة ، أو آية تامة .

دعوى وقوع التحريف من الخلفاء :

الدليل الخامس : أن القائل بالتحريف إما أن يدعي وقوعه من الشيخين ،

بعد وفاة النبي ﷺ وإما من عثمان بعد انتهاء الأمر اليه ، وإما من شخص آخر بعد انتهاء الدور الأول من الخلافة ، وجميع هـذه الدعاوى باطلة . أما دعوى وقوع التحريف من أبي بكر وعمر ، فيبطلها انهما في هذا التحريف إما أن يكونا غير عامدين ، وإنما صدر عنهما من جهة عدم وصول القرآن اليهما بتمامه ، لأنه لم يكن مجموعاً قبل ذلك ، وإما أن يكونا متعمدين في هذا التحريف ، وإذا كانا عامدين فإما أن يكون التحريف الذي وقع منهما في آيات تمس بزعامتهما وإما أن يكون في آيات ليس لها تعلق بذلك ، فالاحتمالات المتصورة ثلاثة :

أما احتمال عدم وصول القرآن اليهما بتمامه فهو ساقط قطعاً ، فإن اهتمام النبي – ص – بأمر القرآن بحفظه ، وقراءته ، وترتيل آياته ، واهتمام الصحابة بذلك في عهد رسول الله – ص – وبعـد وفاته يورث القطع بكون القرآن محفوظاً عندهم ، جمعاً أو متفرقاً ، حفظاً في الصدور ، أو تدويناً في القراطيس ، وقد اهتموا بحفظ أشعار الجاهلية وخطبها ، فكيف لا يهتمون بأمر الكتاب العزيز ، الذي عرّضوا أنفسهم للقتـل في دعوته ، وإعلان أحكامه ، وهجروا في سبيله أوطانهم ، وبذلوا أموالهم ، وأعرضوا عن نسائهم وأطفالهم ، ووقفوا المواقف التي بيّضوا بها وجه التاريخ ، وهل يحتمل عاقل مع ذلك كله عـدم اعتنائهم بالقرآن ؟ حتى يضيع بين الناس ، وحتى يحتاج في إثباته إلى شهادة شاهدين ؟ وهل هذا إلا كاحتمال الزيادة في القرآن ، بل كاحتمال عدم بقـاء شيء من القرآن المنزل ؟. على أن روايات الثقلين المتظافرة « المتقدمة » دالة على بطلان هـذا الاحتمال ، فإن قوله – ص – : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي » لا يصح إذا كان بعض القرآن ضائعاً في عصره ، فإن المتروك حينئذ يكون بعض الكتاب لا جميعه ، بل وفي هذه الروايات دلالة صريحة على تدوين القرآن ، وجمعه في زمـان النبي – ص – لأن الكتاب لا يصدق على مجموع المتفرقات ، ولا على المحفوظ في الصدور . – وسنتعرض للكلام فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله – ﷺ – ، وإذا سلّم عدم اهتمام المسلمين بجمع القرآن على عهده – ﷺ –

فلماذا لم يهتم بذلك النبي – صلى الله عليه وآله – بنفسه مع اهتمامه الشديد بأمر القرآن ؟ فهل كان غافلاً عن نتائج هذا الإغفال ، أو كان غير متمكن من الجمع، لعدم تهيؤ الوسائل عنده ؟! ومن الواضح بطلان جميع ذلك .

وأما احتمال تحريف الشيخين للقرآن – عمداً – في الآيات التي لا تمس بزعامتهما، وزعامة أصحابهما فهو بعيد في نفسه ، إذ لا غرض لهما في ذلك ، على أن ذلك مقطوع بعدمه ، وكيف يمكن وقوع التحريف منهما مع أن الخلافة كانت مبتنية على السياسة ، وإظهار الاهتمام بأمر الدين ؟ وهلاّ احتج بذلك أحد الممتنعين عن بيعتهما، والمعترضين على أبي بكر في أمر الخلافة كسعد بن عبادة وأصحابه؟ وهلاّ ذكر ذلك أمير المؤمنين – عليه السلام – في خطبته الشقشقية المعروفة ، أو في غيرها من كلماته التي اعترض بها على من تقدّمه ؟ ولا يمكن دعوى اعتراض المسلمين عليهما بذلك ، واختفاء ذلك عنا ، فإن هذه الدعوى واضحة البطلان .

وأما احتمال وقوع التحريف من الشيخين عمداً ، في آيات تمس بزعامتهما فهو أيضاً مقطوع بعدمه ، فإن أمير المؤمنين – عليه السلام – وزوجته الصديقة الطاهرة – عليها السلام – وجماعة من أصحابه قد عارضوا الشيخين في أمر الخلافة ، واحتجوا عليهما بما سمعوا من النبي – ص – واستشهدوا على ذلك من شهد من المهاجرين والأنصار ، واحتجوا عليه بحديث الغدير وغيره ، وقد ذكر في كتاب الاحتجاج : احتجاج اثني عشر رجلاً على أبي بكر في الخلافة ، وذكروا له النص فيها ، وقد عقد العلاّمة المجلسي باباً لاحتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في أمر الخلافة [1] ، ولو كان في القرآن شيء يمس زعامتهم لكان أحق بالذكر في مقام الاحتجاج ، وأحرى بالاستشهاد عليه من جميع المسلمين، ولا سيما أن أمر الخلافة كان قبل جمع القرآن على زعمهم بكثير ، ففي ترك الصحابة ذكر ذلك في أول

---

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٧٩ .

أمر الخلافة وبعد انتهائها إلى علي – عليه السلام – دلالة قطعية على عدم التحريف المذكور .

وأما احتمال وقوع التحريف من عثمان فهو أبعد من الدعوى الأولى :

١ – لأن الإسلام قد انتشر في زمان عثمان على نحو ليس في إمكان عثمان أن ينقص من القرآن شيئاً ، ولا في إمكان من هو أكبر شأناً من عثمان .

٢ – ولأن تحريفه إن كان للآيات التي لا ترجع إلى الولاية ، ولا تمس زعامة سلفه بشيء ، فهو بغير سبب موجب ، وإن كان للآيات التي ترجع إلى شيء من ذلك فهو مقطوع بعدمه ، لأن القرآن لو اشتمل على شيء من ذلك وانتشر بين الناس لما وصلت الخلافة إلى عثمان .

٣ – ولأنه لو كان محرّفاً للقرآن ، لكان في ذلك أوضح حجة ، وأكبر عذر لقتلة عثمان في قتله علناً ، ولما احتاجوا في الاحتجاج على ذلك إلى مخالفته لسيرة الشيخين في بيت مال المسلمين ، وإلى ما سوى ذلك من الحجج .

٤ – ولكان من الواجب على علي – عليه السلام – بعد عثمان أن يردّ القرآن إلى أصله ، الذي كان يُقرأ به في زمان النبي – ص – وزمان الشيخين ولم يكن عليه في ذلك شيء ينتقد به ، بل ولكان ذلك أبلغ أثراً في مقصوده وأظهر لحجته على الثائرين بدم عثمان ، ولا سيما أنه – عليه السلام – قد أمر بإرجاع القطائع التي أقطعها عثمان . وقال في خطبة له :

« والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق »[1] .

---

(١) نهج البلاغة : فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان .

هـذا أمر عليّ في الأموال ، فكيف يكون أمره في القرآن لو كان محرّفاً ، فيكون إمضاؤه – عليه السلام – للقرآن الموجود في عصره ، دليلاً على عـدم وقوع التحريف فيه .

وأما دعوى وقوع التحريف بعد زمان الخلفاء فلم يدّعها أحد فيما نعلم ، غير أنها نسبت إلى بعض القائلين بالتحريف ، فادّعى أن الحجاج لما قـام بنصرة بني أُمية أسقط من القرآن آيات كثيرة كانت قد نزلت فيهم ، وزاد فيه ما لم يكن منه ، وكتب مصاحف وبعثهـا إلى مصر ، والشام ، والحرمين ، والبصرة والكوفة ، وإن القرآن الموجود اليوم مطابق لتلك المصاحف . وأمـا المصاحف الاخرى فقد جمعها ولم يبق منها شيئاً ولا نسخة واحدة [1] .

وهـذه الدعوى تشبه هذيان المحمومين ، وخرافات المجانين والأطفال ، فإن الحجاج واحد من ولاة بني أُمية ، وهو أقصر باعاً ، وأصغر قدراً من أن ينـال القرآن بشيء ، بل وهو أعجز من أن يغير شيئاً من الفروع الإسلامية ، فكيف يغير ما هو أساس الدين ، وقوام الشريعة ؟ ومن أين له القدرة والنفوذ في جميع ممالك الإسلام وغيرها مع انتشار القرآن فيها ؟ وكيف لم يذكر هـذا الخطب العظيم مؤرخ في تاريخه ، ولا ناقد في نقده مع ما فيه من الأهمية ، وكثرة الدواعي إلى نقله ، وكيف لم يتعرض لنقـله واحد من المسلمين في وقته ، وكيف أغضى المسلمون عن هذا العمل بعد انقضاء عهد الحجاج ، وانتهاء سلطته ؟.

وهب أنه تمكن من جمع نسخ المصاحف جميعها ، ولم تشذ عن قدرته نسخة واحدة من أقطار المسلمين المتباعدة ، فهل تمكن من إزالته عن صدور المسلمين وقـلوب حفظة القران ؟ وعددهم في ذلك الوقت لا يحصيه إلا الله ، على أن القرآن لو كان في بعض آياته شيء يمس بني أُمية ، لاهتمّ معـاوية بإسقاطه قبل

---

(١) مناهل العرفان ص ٢٥٧ .

زمان الحجاج وهو أشد منه قدرة ، وأعظم نفوذاً ، ولاستدلّ به أصحاب علي – عليه السلام – على معاوية ، كما احتجوا عليه بما حفظه التاريخ ، وكتب الحديث والكلام ، وبما قدمناه للقارىء، يتضح له أن من يدّعي التحريف يخالف بداهة العقل ، وقد قيل في المثل : حدّث الرجل بما لا يليق ، فإن صدّق فهو ليس بعاقل .

شبهات القائلين بالتحريف :

وهنا شبهات يتشبث بها القائلون بالتحريف لا بد لنا من التعرض لها ودفعها واحدة واحدة :

الشبهة الاولى :

أن التحريف قد وقع في التوراة والإنجيل، وقد ورد في الروايات المتواترة من طريقي الشيعة والسنة : أن كل ما وقع في الأمم السابقة لا بد وأن يقع مثله في هذه الامة ، فمنها ما رواه الصدوق في « الإكمال » عن غياث بن ابراهيم ، عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كل ما كان في الأمم السالفة ، فإنه يكون في هذه الأمة مثله حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة »[1] .

ونتيجة ذلك : أن التحريف لا بد من وقوعه في القرآن، وإلا لم يصح معنى هذه الأحاديث .

---

(١) البحار باب افتراق الامة بعد النبي – ص – على ثلاث وسبعين فرقة ج ٨ ص ٤ . وقد تقدم بعض مصادر هذا الحديث من طرق أهل السنة في ما تقدم من هذا الكتاب .

والجواب عن ذلك :

أولاً : أن الروايات المشار اليها أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً ، ودعوى التواتر فيها جزافية لا دليل عليها ، ولم يذكر من هذه الروايات شيء في الكتب الأربعة ، ولذلك فلا ملازمة بين وقوع التحريف في التوراة ووقوعه في القرآن .

ثانياً : أن هذا الدليل لو تم لكان دالاً على وقوع الزيادة في القرآن أيضاً ، كما وقعت في التوراة والإنجيل ، ومن الواضح بطلان ذلك .

ثالثاً : أن كثيراً من الوقائع التي حدثت في الأمم السابقة لم يصدر مثلها في هذه الأمة ، كعبادة العجل ، وتيه بني إسرائيل أربعين سنة ، وغرق فرعون وأصحابه ، وملك سليمان للإنس والجن ، ورفع عيسى إلى السماء وموت هارون وهو وصي موسى قبل موت موسى نفسه ، وإتيان موسى بتسع آيات بينات ، وولادة عيسى من غير أب ، ومسخ كثير من السابقين قردة وخنازير ، وغير ذلك مما لا يسعنا إحصاؤه ، وهذا أدل دليل على عدم إرادة الظاهر من تلك الروايات ، فلا بد من إرادة المشابهة في بعض الوجوه .

وعلى ذلك فيكفي في وقوع التحريف في هذه الامّة عدم اتباعهم لحدود القرآن ، وإن أقاموا حروفه كما في الرواية التي تقدمت في صدر البحث ، ويؤكد ذلك ما رواه أبو واقد الليثي : « أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط ، يعلقون عليها أسلحتهم . فقالوا : يا رسول الله إجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال النبي ﷺ سبحان الله هذا كما قال قوم موسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبن سنّة من كان قبلكم »[1] فإن هذه الرواية صريحة في أن الذي يقع في هذه الأمة ، شبيه بما وقع في تلك الأمم من بعض الوجوه .

---

(١) صحيح الترمذي ، باب ما جاء لتركبن سنن من قبلكم ج ٩ ص ٢٦ .

رابعاً : لو سلّم تواتر هذه الروايات في السند ، وصحتها في الدلالة ، لما ثبت بها أن التحريف قد وقع فيما مضى من الزمن ، فلعله يقع في المستقبل زيادة ونقيصة ، والذي يظهر من رواية البخاري تحديده بقيام الساعة ، فكيف يستدل بذلك على وقوع التحريف في صدر الإسلام ، وفي زمان الخلفاء .

الشبهة الثانية :

أن علياً عليه السلام كان له مصحف غير المصحف الموجود ، وقد أتى به إلى القوم فلم يقبلوا منه ، وأن مصحفه عليه السلام كان مشتملاً على أبعاض ليست موجودة في القرآن الذي بأيدينا ، ويترتب على ذلك نقص القرآن الموجود عن مصحف أمير المؤمنين علي عليه السلام وهذا هو التحريف الذي وقع الكلام فيه ، والروايات الدالة على ذلك كثيرة :

منها ما في رواية احتجاج علي عليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار أنه قال :

« يا طلحة إن كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله عندي باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي ، وتأويل كل آية أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وآله وكل حلال ، أو حرام ، أو حدّ أو حكم ، أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة ، فهو عندي مكتوب باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط يدي ، حتى أرش الخدش . . »[1]

ومنها ما في احتجاجه عليه السلام على الزنديق من أنه :

---

(١) مقدمة تفسير البرهان ص ٢٧ . وفي هذه الرواية تصريح بأن ما في القرآن الموجود كله قرآن .

« أتى بالكتاب كملاً مشتملاً على التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، لم يسقط منه حرف ألف ولا لام فلم يقبلوا ذلك »[١].

ومنها ما رواه في الكافي، بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

« ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره وباطنه غير الأوصياء »[٢].

وبإسناده عن جابر. قال:

« سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادّعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أُنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده عليهم السلام »[٣].

والجواب عن ذلك:

أن وجود مصحف لأمير المؤمنين — عليه السلام — يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور مما لا ينبغي الشك فيه، وتسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته، كما أن اشتمال قرآنه — عليه السلام — على زيادات ليست في القرآن الموجود، وإن كان صحيحاً إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن، وقد أُسقطت منه بالتحريف، بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيراً بعنوان التأويل، وما يؤول اليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحاً للمراد.

---

(١) تفسير الصافي المقدمة السادسة ص ١١.
(٢) الوافي ج ٢ كتاب الحجة باب ٧٦ ص ١٣٠.
(٣) نفس المصدر.

وأن هذه الشبهة مبتنية على أن يراد من لفظي التأويل والتنزيل ما اصطلح عليه المتأخرون من إطلاق لفظ التنزيل على ما نزل قرآناً، وإطلاق لفظ التأويل على بيان المراد من اللفظ، حملاً له على خلاف ظاهره، إلا أن هذين الإطلاقين من الاصطلاحات المحدثة، وليس لهما في اللغة عين ولا أثر ليحمل عليهما هذان اللفظان «التنزيل والتأويل» متى وردا في الروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام.

وإنما التأويل في اللغة مصدر مزيد فيه، وأصله «الأول – بمعنى الرجوع». ومنه قولهم: «أوّل الحكَم إلى أهله أي ردّه اليهم». وقد يستعمل التأويل ويراد منه العاقبة، وما يؤول اليه الأمر. وعلى ذلك جرت الآيات الكريمة:

«وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ١٢ : ٦. نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ : ٣٦. هٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ : ١٠٠. ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً ١٨ : ٨٢».

وغير ذلك من موارد استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم، وعلى ذلك فالمراد بتأويل القرآن ما يرجع اليه الكلام، وما هو عاقبته، سواء أكان ذلك ظاهراً يفهمه العارف باللغة العربية، أم كان خفيّاً لا يعرفه إلا الراسخون في العلم.

وأما التنزيل فهو أيضاً مصدر مزيد فيه، وأصله النزول، وقد يستعمل ويراد به ما نزل، ومن هذا القبيل إطلاقه على القرآن في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٥٦ : ٧٧ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ : ٧٨ . لاَ يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ : ٧٩ . تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ : ٨٠ » .

وعلى ما ذكرناه فليس كل ما نزل من الله وحياً يلزم أن يكون من القرآن ، فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام أن مصحف علي — عليه السلام — كان مشتملاً على زيادات تنزيلاً أو تأويلاً . ولا دلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات هي من القرآن . وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذكر أسماء المنافقين في مصحف أمير المؤمنين — عليه السلام — فإن ذكر أسمائهم لا بد وأن يكون بعنوان التفسير .

ويدل على ذلك ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم سقوط شيء من القرآن ، أضف إلى ذلك أن سيرة النبي — ص — مع المنافقين تأبى ذلك فإن دأبه تأليف قلوبهم ، والإسرار بما يعلمه من نفاقهم ، وهذا واضح لمن له أدنى اطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وحسن أخلاقه ، فكيف يمكن أن يذكر أسماءهم في القرآن ، ويأمرهم بلعن أنفسهم ، ويأمر سائر المسلمين بذلك ويحثهم عليه ليلاً ونهاراً ، وهل يحتمل ذلك حتى ينظر في صحته وفساده أو يتمسك في إثباته بما في بعض الروايات من وجود أسماء جملة من المنافقين في مصحف علي عليه السلام وهل يقاس ذلك بذكر أبي لهب المعلن بشركه ، ومعاداته للنبي صلى الله عليه وآله مع علم النبي بأنه يموت على شركه . نعم لا بعد في ذكر النبي صلى الله عليه وآله أسماء المنافقين لبعض خواصه كأمير المؤمنين عليه السلام وغيره في مجالسه الخاصة .

وحاصل ما تقدم : أن وجود الزيادات في مصحف علي عليه السلام وإن كان صحيحاً ، إلا أن هذه الزيادات ليست من القرآن ، ومما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله

بتبليغه إلى الامّة ، فإن الإلتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قول بلا دليل ، مضافاً إلى أنه باطل قطعاً . ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن .

الشبهة الثالثة :

أن الروايات المتواترة عن أهل البيت – ع – قد دلت على تحريف القرآن فلا بد من القول به :

والجواب :

أن هذه الروايات لا دلالة فيها على وقوع التحريف في القرآن بالمعنى المتنازع فيه ، وتوضيح ذلك : أن كثيراً من الروايات ، وإن كانت ضعيفة السند ، فإن جملة منها نقلت من كتاب أحمد بن محمد السياري ، الذي اتفق علماء الرجال على فساد مذهبه ، وأنه يقول بالتناسخ ، ومن علي بن أحمد الكوفي الذي ذكر علماء الرجال أنه كذاب ، وأنه فاسد المذهب إلا أن كثرة الروايات تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين عليهم السلام ولا أقل من الاطمئنان بذلك ، وفيها ما روي بطريق معتبر فلا حاجة بنا إلى التكلم في سند كل رواية بخصوصها .

عرض روايات التحريف :

علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات ، وإيضاح أنها ليست متحدة في المفاد ، وأنها على طوائف . فلا بد لنا من شرح ذلك والكلام على كل طائفة بخصوصها .

الطائفة الأولى : هي الروايات التي دلت على التحريف بعنوانه ، وانها تبلغ عشرين رواية ، نذكر جملة منها ونترك ما هو بمضمونها . وهي :

١ – ما عن علي بن إبراهيم القمي ، بإسناده عن أبي ذر . قال :

« لما نزلت هذه الآية : يومَ تبيَضُّ وجوهٌ وتسوَدُّ وجوهٌ. قال رسول الله ﷺ ترد أُمتي عليَّ يوم القيامة على خمس رايات . ثم ذكر أن رسول الله ﷺ يسأل الرايات عما فعلوا بالثقلين . فتقول الراية الاولى : أما الأكبر فحرّفناه ، ونبذناه وراء ظهورنا ، وأما الأصغر فعادیناه ، وأبغضناه ، وظلمناه . وتقول الراية الثانية : أما الأكبر فحرّفناه ، ومزقناه ، وخالفناه ، وأما الأصغر فعادیناه وقاتلناه ... » .

٢ — ما عن ابن طاووس ، والسيد المحدث الجزائري ، باسنادهما عن الحسن ابن الحسن السامري في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال لحذيفة فيما قاله في من يهتك الحرم :

« إنه يضل الناس عن سبيل الله ، ويحرّف كتابه ، ويغير سنتي » .

٣ — ما عن سعد بن عبد الله القمي ، باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« دعا رسول الله ﷺ بمنى . فقال : أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين — أما إن تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي — والكعبة البيت الحرام ثم قال أبو جعفر عليه السلام : أما كتاب الله فحرّفوا ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا ، وكل ودائع الله قد نبذوا ومنها قد تبرأوا » .

٤ — ما عن الصدوق في الخصال بإسناده عن جابر عن النبي قال :

« يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون : المصحف ،

والمسجد ، والعترة . يقول المصحف يا رب حرّفوني ومزقوني ، ويقول المسجد يا رب عطلوني وضيعوني ، وتقول العترة يا رب قتلونا ، وطردونا ، وشردونا . . » .

٥ – ما عن الكافي والصدوق ، باسنادهما عن علي بن سويد . قال :

« كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً إلى أن ذكر جوابه عليه السلام بتمامه ، وفيه قوله عليه السلام اؤتمنوا على كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه » .

٦ – ما عن ابن شهراشوب ، باسناده عن عبد الله في خطبة أبي عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ، وفيها :

« إنما أنتم من طواغيت الأمة ، وشذاذ الأحزاب ، ونبذة الكتاب ، ونفثة الشيطان ، وعصبة الآثام ، ومحرفي الكتاب » .

٧ – ما عن كامل الزيارات ، باسناده عن الحسن بن عطية ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« إذا دخلت الحائر فقل : اللهم العن الذين كذبوا رسلك ، وهدّموا كعبتك ، وحرفوا كتابك . . . » .

٨ – ما عن الحجال عن قطبة بن ميمون عن عبد الأعلى . قال :

« قال أبو عبد الله عليه السلام أصحاب العربية يحرفون كلام الله عز وجل عن مواضعه » .

المفهوم الحقيقي للروايات :

والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة : أن الظاهر من الرواية الأخيرة تفسير التحريف باختلاف القراء ، وإعمال اجتهاداتهم في القراءات . ومرجع ذلك إلى الإختلاف في كيفية القراءة مع التحفظ على جوهر القرآن وأصله وقد أوضحنا للقارىء في صدر المبحث أن التحريف بهذا المعنى مما لا ريب في وقوعه ، بناءً على ما هو الحق من عدم تواتر القراءات السبع ، بل ولا ريب في وقوع هذا التحريف ، بناء على تواتر القراءات السبع أيضاً ، فإن القراءات كثيرة ، وهي مبتنية على اجتهادات ظنية توجب تغيير كيفية القراءة . فهذه الرواية لا مساس لها بمراد المستدل .

وأما بقية الروايات ، فهي ظاهرة في الدلالة على أن المراد بالتحريف حمل الآيات على غير معانيها ، الذي يلازم إنكار فضل أهل البيت – عليهم السلام – ونصب العداوة لهم وقتالهم . ويشهد لذلك – صريحاً – نسبة التحريف إلى مقاتلي أبي عبد الله – عليه السلام – في الخطبة المتقدمة .

ورواية الكافي التي تقدمت في صدر البحث ، فإن الإمام الباقر – عليه السلام – يقول فيها :

« وكان من نبذهم الكتاب، أنهم أقاموا حروفه ، وحرّفوا حدوده » .

وقد ذكرنا أن التحريف بهذا المعنى واقع قطعاً، وهو خارج عن محل النزاع، ولولا هذا التحريف لم تزل حقوق العترة محفوظة ، وحرمة النبي فيهم مرعية ، ولما انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه من اهتضام حقوقهم وإيذاء النبي – ص – فيهم.

الطائفة الثانية : هي الروايات التي دلّت على أن بعض الآيات المنزلة من القرآن قد ذكرت فيها أسماء الأئمة – عليهم السلام – وهي كثيرة :

منها : ما ورد من ذكر أسماء الأئمة – عليهم السلام – في القرآن ، كرواية الكافي بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن – عليه السلام – قال :

« ولاية علي بن أبي طالب مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد و «ولاية» وصيه ، صلى الله عليهما وآلهما » .

ومنها : رواية العياشي بإسناده عن الصادق عليه السلام :

«لو قرىء القرآن – كما أُنزل – لألفينا مسمّين».

ومنها : رواية الكافي ، وتفسير العياشي عن أبي جعفر – عليه السلام – وكنز الفوائد بأسانيد عديدة عن ابن عباس، وتفسير فرات بن إبراهيم الكوفي بأسانيد متعددة أيضاً ، عن الأصبغ بن نباتة . قالوا : قال أمير المؤمنين – عليه السلام – :

« القرآن نزل على أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام ، ولنا كرائم القرآن » .

ومنها : رواية الكافي أيضاً بإسناده عن أبي جعفر – عليه السلام – قال :

« نزل جبرئيل بهذه الآية على محمد – ص – هكذا : وإنْ كنتمْ في رَيْبٍ مما نزّلْنا على عَبْدِنا – في علي – فأتوا بِسُورَةٍ من مِثْلِه » .

والجواب عن الإستدلال بهذه الطائفة :

أنّا قد أوضحنا فيما تقدم أن بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه ، فلا بد من حمل هذه الروايات على أن ذكر أسماء الأئمة – عليهم السلام – في التنزيل من هذا القبيل ، وإذا لم يتم هذا الحمل فلا بد من

طرح هـــذه الروايات لمخالفتها للكتاب ، والسنة ، والأدلة المتقدمة على نفي التحريف. وقد دلّت الأخبار المتواترة على وجوب عرض الروايات على الكتاب والسنة وأن ما خالف الكتاب منها يجب طرحه ، وضربه على الجدار .

ومما يدل على أن اسم أمير المؤمنين عليه السلام لم يذكر صريحا في القرآن حديث الغدير ، فإنه صريح في أن النبي — ص — إنما نصب علياً بأمر الله ، وبعـد أن ورد عليه التأكيد في ذلك ، وبعـد أن وعده الله بالعصمة من الناس ، ولو كان اسم « علي » مذكوراً في القرآن لم يحتج إلى ذلك النصب ، ولا إلى تهيئـــة ذلك الاجتماع الحـــافل بالمسلمين ، ولما خشي رسول الله — ص — من إظهار ذلك ، ليحتاج إلى التأكيد في أمر التبليغ .

وعلى الجملة : فصحة حديث الغدير توجب الحكم بكذب هذه الروايات التي تقول : إن أسماء الأئمة مذكورة في القرآن ولا سيما أن حديث الغدير كان في حجة الوداع التي وقعت في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وآله ونزول عامة القرآن ، وشيوعه بين المسلمين ، على أن الرواية الأخيرة المروية في الكافي مما لا يحتمل صدقه في نفسه ، فإن ذكر اسم علي عليه السلام في مقام إثبات النبوة والتحدي على الإتيان بمثل القرآن لا يناسب مقتضى الحال . ويعارض جميع هـذه الروايات صحيحة أبي بصير المروية في الكافي . قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى :

« وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

٤ : ٥٩ » .

« قال : فقال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين — ع — فقلت له : إن الناس يقولون فما له لم

يسمّ علياً وأهل بيته في كتاب الله. قال عليه السلام : فقولوا لهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ، ولا أربعاً ، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسّر لهم ذلك ... » [1] .

فتكون هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات ، وموضحة للمراد منها ، وأن ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الروايات قد كان بعنوان التفسير ، أو بعنوان التنزيل ، مع عدم الأمر بالتبليغ . ويضاف إلى ذلك أن المتخلفين عن بيعة أبي بكر لم يحتجوا بذكر اسم علي في القرآن ، ولو كان له ذكر في الكتاب لكان ذلك أبلغ في الحجة ، ولا سيما أن جمع القرآن — بزعم المستدل — كان بعد تمامية أمر الخلافة بزمان غير يسير ، فهذا من الأدلة الواضحة على عدم ذكره في الآيات .

الطائفة الثالثة : هي الروايات التي دلت على وقوع التحريف في القرآن بالزيادة والنقصان ، وان الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله غيّرت بعض الكلمات وجعلت مكانها كلمات أخرى .

فمنها : ما رواه علي بن ابراهيم القمي ، بإسناده عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام : « صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين » .

ومنها : ما عن العياشي ، عن هشام بن سالم. قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى :

« إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرٰاهِيمَ وَآلَ عِمْرٰانَ ٣٣ : ٣ » .

---

(١) الوافي ج ٢ باب ٣٠ ما نص الله ورسوله عليهم ص ٦٣ .

قال : هو آل إبراهيم وآل محمد على العالمين ، فوضعوا اسماً مكان اسم . أي انهم غيروا فجعلوا مكان آل محمد آل عمران .

والجواب :

عن الاستدلال بهذه الطائفة – بعد الاغضاء عما في سندها من الضعف – أنها مخالفة للكتاب ، والسنة ، ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ولا حرفاً واحداً حتى من القائلين بالتحريف. وقد ادّعى الاجماع جماعة كثيرون على عدم الزيادة في القرآن ، وأن مجموع ما بين الدفتين كله من القرآن. وممن ادعى الاجماع الشيخ المفيد ، والشيخ الطوسي، والشيخ البهائي ، وغيرهم من الأعاظم قدس الله أسرارهم . وقد تقدمت رواية الاحتجاج الدالة على عدم الزيادة في القرآن .

الطائفة الرابعة : هي الروايات التي دلّت على التحريف في القرآن بالنقيصة فقط .

والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة :

أنه لا بد من حملها على ما تقدم في معنى الزيادات في مصحف أمير المؤمنين – عليه السلام – وإن لم يمكن ذلك الحمل في جملة منها فلا بد من طرحها لأنها مخالفة للكتاب والسنة ، وقد ذكرنا لها في مجلس بحثنا توجيهاً آخر أعرضنا عن ذكره هنا حذراً من الإطالة ، ولعله أقرب المحامل ، ونشير إليه في محل آخر إن شاء الله تعالى .

على أن أكثر هذه الروايات بل كثيرها ضعيفة السند . وبعضها لا يحتمل صدقه في نفسه . وقد صرح جماعة من الأعلام بلزوم تأويل هذه الروايات أو لزوم طرحها .

وممن صرح بذلك المحقق الكلباسي حيث قال على مـا حُكي عنه : « أن الروايات الدالة على التحريف مخالفـة لإجماع الأمة إلا من لا اعتداد به ... وقال : إن نقصان الكتاب مما لا أصل له وإلا لاشتهر وتواتر ، نظراً إلى العـادة في الحوادث العظيمة . وهذا منها بل أعظمها » .

وعن المحقق البغدادي شارح الوافية التصريح بذلك، ونقله عن المحقق الكركي الذي صنّف في ذلك رسالة مستقلة ، وذكر فيها : « أن مـا دلّ من الروايات على النقيصة لا بد من تأويلها أو طرحها ، فإن الحديث إذا جاء على خـلاف الدليل من الكتاب ، والسنة المتواترة ، والإجماع ، ولم يمكن تأويله ، ولا حمله على بعض الوجوه ، وجب طرحه » .

أقول : أشار المحقق الكركي بكلامه هذا إلى ما أشرنا إليه – سابقاً – من أن الروايات المتواترة قـد دلّت على أن الروايات إذا خالفت القرآن لا بد من طرحها . فمن تلك الروايات :

ما رواه الشيخ الصدوق محمـد بن علي بن الحسين بسنده الصحيح عن الصادق عليه السلام :

« الوقوف عند الشبهة خير من الإقتحام في الهلكة ، إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فمـا وافق كتاب الله فخـذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه .. » [1] .

وما رواه الشيخ الجليل سعيد بن هبـة الله « القطب الراوندي » بسنده الصحيح إلى الصادق عليه السلام :

---

(١) الوسائل ج ٣ كتاب القضاء . باب وجوه الجمع بين الأحاديث المختلفة ، وكيفية العمل ، ص ٣٨٠ .

« إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فردُّوه .. »[١] .

وأما الشبهة الرابعة :

فيتلخص في كيفية جمع القرآن ، واستلزامها وقوع التحريف فيه . وقد انعقد البحث الآتي « فكرة عن جمع القرآن » لتصفية هذه الشبهة وتفنيدها .

---

(١) المصدر السابق .

فكرة عن جمع القرآن

كيفية جمع القرآن . عرض الروايات في جمع القرآن . تناقضها وتضاربها . معارضتها لما دلّ على أن القرآن جُمع على عهد الرسول . معارضتها للكتاب وحكم العقل . مخالفتها لإجماع المسلمين على أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر . الاستدلال بهذه الروايات يستلزم التحريف بالزيادة المتسالم على بطلانه .

ان موضوع جمع القرآن من الموضوعات التي يتذرع بها القائلون بالتحريف ، إلى إثبات ان في القرآن تحريفاً وتغييراً. وان كيفية جمعه مستلزمة — في العادة — لوقوع هذا التحريف والتغيير فيه .

فكان من الضروري أن يعقد هذا البحث إكمالاً لصيانة القرآن من التحريف وتنزيهه عن نقص أو أي تغيير .

إن مصدر هذه الشبهة هو زعمهم بأن جمع القرآن كان بأمر من أبي بكر بعد أن قتل سبعون رجلاً من القراء في بئر معونة ، وأربعمائة نفر في حرب اليمامة فخيف ضياع القرآن وذهابه من الناس ، فتصدى عمر وزيد بن ثابت لجمع القرآن من العسب ، والرقاع ، واللخاف ، ومن صدور الناس بشرط أن يشهد شاهدان على أنه من القرآن ، وقد صرّح بجميع ذلك في عدة من الروايات ، والعـــادة تقضي بفوات شيء منه على المتصدي لذلك، إذا كان غير معصوم ، كما هو مشاهد فيمن يتصدى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر ، إذا كان هـذا الشعر متفرقاً ، وهذا الحكم قطعي بمقتضى العادة ، ولا أقل من احتمال وقوع التحريف ، فإن من المحتمل عدم إمكان إقامة شاهدين على بعض ما سمع من النبي ﷺ فلا يبقى وثوق بعدم النقيصة .

والجواب :

إن هـذه الشبهة مبتنية على صحة الروايات الواردة في كيفية جمع القرآن والأولى أن نذكر هذه الروايات ثم نعقبها بما يرد عليها .

أحاديث جمع القرآن :

١ — روى زيد بن ثابت . قال :

« أرسل إليّ أبو بكر، مقتلَ أهل يمامة،فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر : إن عمر أتاني . فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القران . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قـــال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني من جمع القران قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري ، للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب ، واللخاف ، وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ٩ : ١٢٨ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ : ١٢٩ » .

حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر »[١] .

(١) صحيح البخاري . باب جمع القرآن ج ٦ ص ٩٨ .

٢ – وروى ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه :

« ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة . فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها اليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل افق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق » .

قال ابن شهاب : « وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري :

« مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ

٣٣ : ٢٣ » .

« فألحقناها في سورتها في المصحف »[1] .

---

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص٩٩، وهاتان الروايتان وما بعدهما الى الرواية الحادية والعشرين، مذكورة في منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣ – ٥٢ .

٣ – وروى ابن أبي شيبة باسناده عن علي . قال :

« أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر ، إن أبا بكر أول من جمع ما بين اللوحين » .

٤ – وروى ابن شهاب . عن سالم بن عبد الله وخارجة :

« أن أبا بكر الصديق كان جمع القرآن في قراطيس ، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل ، فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفي ، ثم عند عمر حتى توفي ، ثم كانت عند حفصة زوج النبي ﷺ فأرسل اليها عثمان فأبت أن تدفعها ، حتى عاهدها ليردنها اليها فبعثت بها اليه ، فنسخ عثمان هذه المصاحف ثم ردها اليها فلم تزل عندها ... » .

٥ – وروى هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال :

« لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت . فقال : اجلسا على باب المسجد . فلا يأتينكما أحد بشيء من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلا اثبتاه ، وذلك لأنه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جمعوا القرآن » .

٦ – وروى محمد بن سيرين . قال : « قتل عمر ولم يجمع القرآن » .

٧ – وروىَ الحسن :

« أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة . فقال : إنا لله ، وأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف » .

٨ – وروى يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . قال :

« أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس ، فقال : من كان تلقى من رسول الله – ص – شيئاً من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف

والألواح ، والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، فقتل وهو يحمع ذلك إليه ، فقام عثمان ، فقال : من كان عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به ، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان ، فجاءه خزيمة ابن ثابت ، فقال : إني قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما . قالوا : ما هما ؟ قال : تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ .. »

إلى آخر السورة ، فقال عثمان : وأنا أشهد أنهما من عند الله ، فأين ترى أن نجعلها ؟ قال : اختم بهما آخر ما نزل من القرآن ، فختمت بهما براءة » .

٩ — وروى عبيد بن عمير ، قال :

« كان عمر لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان ، فجاءه رجل من الأنصار بهاتين الآيتين : لقدْ جاءكم رسولٌ من أنفسكم ... إلى آخرها . فقال عمر : لا أسألك عليها بيّنة أبداً ، كذلك كان رسول الله »[1]

١٠ — وروى سليمان بن أرقم ، عن الحسن وابن سيرين ، وابن شهاب الزهري . قالوا :

« لما أسرع القتل في قراء القرآن يوم اليمامة قتل منهم يومئذ أربعمائة رجل ، لقي زيد بن ثابت عمر بن الخطاب ، فقال له : إن هذا القرآن هو الجامع لديننا فإن ذهب القرآن ذهب ديننا ، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب ، فقال له: انتظر حتى أسأل أبا بكر، فمضيا إلى أبي بكر فأخبراه بذلك، فقال : لا تعجل حتى اشاور المسلمين ، ثم قام خطيباً في الناس فأخبرهم بذلك ، فقالوا :

---

(١) الروايات التي نقلناها عن المنتخب مذكورة في كنز العمال « جمع القرآن » الطبعة الثانية ج ٢ ص ٣٦١ عدا هذه الرواية ، ولكن بمضمونها رواية عن يحيى بن جعدة .

أصبت ، فجمعوا القرآن ، فأمر أبو بكر منادياً فنـــادى في الناس : من كان عنده شيء من القرآن فليجيء به .. » .

١١ – وروى خزيمة بن ثابت . قال :

« جئت بهذه الآية : لقدْ جاءكم رسولٌ من أنفسكم ... إلى عمر بن الخطاب وإلى زيد بن ثابت . فقـال زيد : من يشهد معك ؟ قلت : لا والله ما أدري . فقال عمر : أنا أشهد معه على ذلك » .

١٢ – وروى أبو إسحق ، عن بعض أصحابه . قال :

« لما جمع عمر بن الخطاب المصحف سأل : من أعرب الناس ؟ قيل : سعيد ابن العاص . فقال : من أكتب الناس ؟ فقيل : زيد بن ثابت . قال : فليُمْلِ سعيد وليَكْتُبْ زيد ، فكتبوا مصاحف أربعة ، فأنفـــذ مصحفاً منها إلى الكوفة ، ومصحفاً إلى البصرة ، ومصحفاً إلى الشام ، ومصحفاً إلى الحجاز » .

١٣ – وروى عبد الله بن فضالة . قال :

« لما أراد عمر أن يكتب الإمـــام أقعد له نفراً من أصحابه ، وقال : إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل على رجل من مضر » .

١٤ – وروى أبو قلابة . قال :

« لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلّم قراءة الرجل ، والمعلم يعلّم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون ، حتى ارتفع ذلك الى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً . فقال : أنتم عندي تختلفون وتلحنون ، فمن نأى عني من الأمصار أشدّ اختلافاً ، وأشد لحناً ، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً ، قال أبو قلابة : فحدثني مالك ابن أنس ، قال أبو بكر بن أبي داود : هذا مالك بن انس جد مالك بن أنس . قال : كنت فيمن أملي عليهم فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها

من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي ، فيكتبون ما قبلها وما بعدها ، ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل اليه ، فلما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار أني قد صنعت كذا وصنعت كذا ، ومحوت ما عندي ، فامحوا ما عندكم » .

١٥ — وروى مصعب بن سعد . قال :

« قام عثمان يخطب الناس . فقال : أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن ، تقولون قراءة أُبيّ ، وقراءة عبد الله ، يقول الرجل والله ما تقيم قراءتك ، فاعزم على كل رجل منكم كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به ، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن ، حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دخل عثمان ودعاهم رجلاً رجلاً ، فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أمّله عليك فيقول: نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان . قال : من أكتب الناس؟ قالوا : كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت . قال : فأيُّ الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص . قال عثمان : فليمل سعيد ، وليكتب زيد ، فكتب زيد ، وكتب مصاحف ففرّقها في الناس ، فسمعت بعض أصحاب محمد ﷺ يقول : قد أحسن » .

١٦ — وروى أبو المليح . قال :

« قال عثمان بن عفان حين أراد أن يكتب المصحف ، تملي هذيل وتكتب ثقيف » .

١٧ — وروى عبد الأعلى بن عبد الله بن عبد الله بن عامر القرشي . قال :

« لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه . فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها » .

١٨ — وروى عكرمة . قال :

« لما أتى عثمان بالمصحف رأى فيه شيئاً من لحن . فقال : لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا » .

١٩ – وروى عطاء :

« أن عثمان بن عفان لما نسخ القرآن في المصاحف ، أرسل إلى أُبي بن كعب فكان يملي على زيد بن ثابت ، وزيد يكتب ، ومعه سعيد بن العاص يعربه ، فهذا المصحف على قراءة أُبيّ وزيد » .

٢٠ – وروى مجاهد :

« ان عثمان أمر أُبيّ بن كعب يملي ، ويكتب زيد بن ثابت ، ويعربه سعيد ابن العاص ، وعبد الرحمن بن الحرث » .

٢١ – وروى زيد بن ثابت :

« لما كتبنا المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله – ص – فوجدتها عند خزيمة بن ثابت : مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صَدَقوا ما عاهَدوا اللهَ عليه .. إلى تبديلاً . وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين أجاز رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين » .

٢٢ – وقد أخرج ابن اشته ، عن الليث بن سعد . قال :

« أول من جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لا يكتب آية إلا بشهادة عدلين ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت . فقال : اكتبوها فإن رسول الله – ص – جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتب ، وإن عمر أتى بآية الرجم فلم نكتبها لأنه كان وحده »[1] .

---

(١) الاتقان النوع ١٨ ج ١ ص ١٠١ .

هذه أهم الروايات التي وردت في كيفية جمع القرآن ، وهي – مع انها أخبار آحاد لا تفيدنا علماً – مخدوشة من جهات شتى :

١ – تناقض أحاديث جمع القرآن !

إنها متناقضة في أنفسها فلا يمكن الاعتماد على شيء منها ، ومن الجدير بنا أن نشير إلى جملة من مناقضاتها ، في ضمن أسئلة وأجوبة :

● – متى جمع القرآن في المصحف ؟

ظاهر الرواية الثانية أن الجمع كان في زمن عثمان ، وصريح الروايات الأولى ، والثالثة ، والرابعة ، وظاهر البعض الآخر أنه كان في زمان أبي بكر ، وصريح الروايتين السابعة ، والثانية عشرة أنه كان في زمان عمر .

● – من تصدّى لجمع القرآن زمن أبي بكر ؟

تقول الروايتان الاولى ، والثانية والعشرون أن المتصدي لذلك هو زيد بن ثابت ، وتقول الرواية الرابعة أنه أبو بكر نفسه ، وإنما طلب من زيد أن ينظر فيما جمعه من الكتب ، وتقول الرواية الخامسة – ويظهر من غيرها أيضاً – أن المتصدي هو زيد وعمر .

● – هل فوّض لزيد جمع القرآن ؟

يظهر من الرواية الأولى أن أبا بكر قد فوّض إليه ذلك ، بل هو صريحها ، فإن قوله لزيد : « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله – ص – فتتبّع القرآن واجمعه » صريح في ذلك ، وتقول الرواية الخامسة وغيرها : إن الكتابة إنما كانت بشهادة شاهدين ، حتى ان عمر جاء بآية الرجم فلم تقبل منه .

● – هل بقي من الآيات ما لم يدون إلى زمان عثمان ؟

ظاهر كثير من الروايات ، بل صريحها أنه لم يبق شيء من ذلك ، وصريح الرواية الثانية ، بقاء شيء من الآيات لم يدون إلى زمان عثمان .

● — هل نقص عثمان شيئاً مما كان مدوناً قبله ؟

ظاهر كثير من الروايات بل صريحها أيضاً أن عثمان لم ينقص مما كان مدوّناً قبله ، وصريح الرواية الرابعة عشرة أنه محا شيئاً مما دوّن قبله ، وأمر المسلمين بمحو ما محاه .

● — من أي مصدر جمع عثمان المصحف ؟

صريح الروايتين الثانية والرابعة : أن الذي اعتمد عليه في جمعه هي الصحف التي جمعها أبو بكر ، وصريح الروايات الثامنة ، والرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، أن عثمان جمعه بشهادة شاهدين ، وبأخبار من سمع الآية من رسول الله ﷺ .

● — من الذي طلب من أبي بكر جمع القرآن ؟

تقول الرواية الاولى أن الذي طلب ذلك منه هو عمر ، وأن أبا بكر إنما أجابه بعد الإمتناع ، فأرسل إلى زيد وطلب منه ذلك ، فأجابه بعد الإمتناع ، وتقول الرواية العاشرة أن زيداً وعمر طلبا ذلك من أبي بكر ، فأجابهما بعد مشاورة المسلمين .

● — من جمع المصحف الإمام وأرسل منه نُسَخاً إلى البلاد ؟

صريح الرواية الثانية أنه كان عثمان ، وصريح الرواية الثانية عشرة أنه كان عمر .

● — متى ألحقت الآيتان بآخر سورة براءة ؟

صريح الروايات الأولى ، والحادية عشرة ، والثانية والعشرين أن إلحاقهما كان

في زمان أبي بكر ، وصريح الرواية الثامنة ، وظاهر غيرهـــا أنه كان في عهد عمر .

● – من اتى بهاتين الآيتين ؟

صريح الروايتين الأولى ، والثانية والعشرين أنه كان أبا خزيمة ، وصريح الروايتين الثامنة ، والحادية عشرة أنه كان خزيمة بن ثابت ، وهما رجلان ليس بينهما نسبة أصلاً ، على ما ذكره ابن عبد البر [١]

● – بماذا ثبت أنهما من القرآن ؟

بشهادة الواحد، على ما هو ظاهر الرواية الأولى،وصريح الراويتين التاسعة، والثانية والعشرين ، وبشهادة عثمان معه ، على ما هو صريح الرواية الثامنـــة ، وبشهادة عمر معه ، على ما هو صريح الرواية الحادية عشر .

● – من عينه عثمان لكتابة القرآن وإملائه ؟

صريح الرواية الثانية أن عثمان عين للكتابة زيداً ، وابن الزبير ، وسعيد ، وعبد الرحمن ، وصريح الرواية الخامسة عشرة أنه عين زيداً للكتابة وسعيداً للإملاء ، وصريح الرواية السادسة عشرة أنه عين ثقيفاً للكتابة ، وهذيلاً للإملاء وصريح الرواية الثامنة عشرة أن الكاتب لم يكن من ثقيف وأن المملي لم يكن من هذيل ، وصريح الرواية التاسعة عشرة أن المملي كان أبيّ بن كعب ، وأن سعيداً كان يعرب ما كتبه زيد ، وهـــذا أيضاً صريح الرواية العشرين بزيادة عبد الرحمن بن الحرث للإعراب .

٢ – تعارض روايات الجمع :

إن هذه الروايات معارضة بما دل على أن القرآن كان قد جمع ، وكتب على

---

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٥٦ .

عهد رسول الله ﷺ فقد روى جماعة ، منهم ابن أبي شيبة وأحمد بن حنبل ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي ، والضياء المقدسي عن ابن عباس . قال : قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلى براءة ، وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر : « بسم الله الرحمن الرحيم » ؟ ووضعتموهما في السبع الطوال ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان : إن رسول الله ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه السورة ذات العدد ، وكان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وتنزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أول ما أنزل بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فظننت أنها منها ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر : « بسم الله الرحمن الرحيم » ووضعتها في السبع الطوال [١] .

وروى الطبراني ، وابن عساكر عن الشعبي ، قال :

« جمع القرآن على عهد رسول الله — ص — ستة من الأنصار : أُبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد وكان مجمع بن جارية قد أخذه إلا سورتين أو ثلاث » [٢] .

وروى قتادة ، قال :

« سألت أنس بن مالك : مَن جمع القرآن على عهد النبي ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أُبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد » [٣] .

---

(١) منتخب كنز العمال ج ٢ ص ٤٨ .
(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٥٢ .
(٣) صحيح البخاري باب القراء من أصحاب النبي — ص — ج ٦ ص ٢٠٢

وروى مسروق : ذكر عبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود ، فقال :

« لا أزال أحبه ، سمعت النبي – ص – يقول : خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأُبيّ بن كعب »[١] .

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن عمر ، قال :

« جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة ، فبلغ النبي – ص – فقال : اقرأه في شهر ... »[٢] . وستجيء رواية ابن سعد في جمع أم ورقة القرآن .

ولعل قائلاً يقول و إن المراد من الجمع في هذه الروايات هو الجمع في الصدور لا التدوين ، وهذا القول دعوى لا شاهد عليها ، أضف إلى ذلك أنك ستعرف أن حفاظ القرآن على عهد رسول الله – ص – كانوا أكثر من أن تحصى أسماؤهم ، فكيف يمكن حصرهم في أربعة أو ستة ؟!! وإن المتصفح لأحوال الصحابة ، وأحوال النبي – ص – يحصل له العلم اليقين بأن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله – ص – وأن عدد الجامعين له لا يستهان به . وأما ما رواه البخاري بإسناده عن أنس ، قال : مات النبي – ص – ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، فهو مردود مطروح ، لأنه معارض للروايات المتقدمة ، حتى لما رواه البخاري بنفسه . ويضاف إلى ذلك أنه غير قابل للتصديق به . وكيف يمكن أن يحيط الراوي بجميع أفراد المسلمين حين وفاة النبي – ص – على كثرتهم ، وتفرقهم في البلاد ، ويستعلم أحوالهم ليمكنه أن يحصر الجامعين للقرآن في أربعة ، وهذه الدعوى تخرص بالغيب ، وقول بغير علم .

وصفوة القول : أنه مع هذه الروايات كيف يمكن أن يصدق أن أبا بكر

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الاتقان النوع ٢٠ ج ١ ص ١٢٤ .

كان أول من جمع القرآن بعد خلافته ؟ وإذا سلمنا ذلك فلماذا أمر زيداً وعمر بجمعه من اللخاف ، والعسب ، وصدور الرجال ، ولم يأخذه من عبد الله ومعاذ وأبيّ ، وقد كانوا عند الجمع أحياء ، وقد أمروا بأخذ القرآن منهم ، ومن سالم ؟ نعم إن سالماً قد قتل في حرب اليمامة ، فلم يمكن الأخذ منه . على أن زيداً نفسه كان أحد الجامعين للقرآن على ما يظهر من هذه الرواية ، فلا حاجة إلى التفحص والسؤال من غيره ، بعد أن كان شاباً عاقلاً غير متهم كما يقول أبو بكر ، أضف إلى جميع ذلك أن أخبار الثقلين المتظافرة تدلنا على أن القرآن كان مجموعاً على عهد رسول الله – ص – على ما سنشير إليه .

٣ – تعارض أحاديث الجمع مع الكتاب :

إن هذه الروايات معارضة بالكتاب ، فإن كثيراً من آيات الكتاب الكريمة دالة على أن سور القرآن كانت متميزة في الخارج بعضها عن بعض ، وان السور كانت منتشرة بين الناس ، حتى المشركين وأهل الكتاب ، فإن النبي – ص – قد تحدى الكفار والمشركين على الإتيان بمثل القرآن ، وبعشر سور مثله مفتريات ، وبسورة من مثله ، ومعنى هذا : أن سور القرآن كانت في متناول أيديهم .

وقد أُطلق لفظ الكتاب على القرآن في كثير من آياته الكريمة ، وفي قول النبي ﷺ : « إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي » وفي هذا دلالة على أنه كان مكتوباً مجموعاً ، لأنه لا يصح إطلاق الكتاب عليه وهو في الصدور ، بل ولا على ما كتب في اللخاف ، والعسب ، والاكتاف ، إلا على نحو المجاز والعناية ، والمجاز لا يحمل اللفظ عليه من غير قرينة ، فإن لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعي ، ولا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءاً غير مجتمع ، فضلاً عما إذا لم يكتب ، وكان محفوظاً في الصدور فقط .

٤ – مخالفة أحاديث الجمع مع حكم العقل !

إن هـذه الروايات مخالفة لحكم العقل ، فإن عظمة القرآن في نفسه ، واهتمام النبي – ص – بحفظه وقراءته ، واهتمام المسلمين بمـا يهتم به النبي – ص – وما يستوجبه ذلك من الثواب ، كل ذلك ينافي جمع القرآن على النحو المذكور في تلك الروايات ، فإن في القرآن جهات عديدة كل واحدة منها تكفي لأن يكون القرآن موضعاً لعناية المسلمين ، وسبباً لاشتهاره حتى بين الأطفال والنساء منهم ، فضلاً عن الرجال . وهذه الجهات هي :

١ – بلاغـة القرآن : فقد كانت العرب تهتم بحفظ الكلام البليغ ، ولذلك فهم يحفظون أشعار الجاهلية وخطبها ، فكيف بالقرآن الذي تحدّى ببلاغته كل بليغ ، وأخرس بفصاحته كل خطيب لسن ، وقـد كانت العرب بأجمعهم متوجهين إليه ، سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم ، فالمؤمن يحفظه لإيمانه ، والكافر يتحفظ به لأنه يتمنى معارضته ، وإبطال حجته .

٢ – إظهار النبي – ص – رغبته بحفظ القرآن ، والإحتفاظ به : وكانت السيطرة والسلطة له خاصة ، والعـادة تقضي بأن الزعيم إذا أظهر رغبته بحفظ كتاب أو بقراءته فإن ذلك الكتاب يكون رائجاً بين جميع الرعيـة ، الذين يطلبون رضاه لدين أو دنيا .

٣ – إن حفظ القرآن سبب لارتفاع شأن الحافظ بين النـاس ، وتعظيمه عندهم : فقد علم كل مطّلع على التاريخ ما للقرّاء والحفّاظ من المنزلة الكبيرة ، والمقام الرفيع بين الناس ، وهذا أقوى سبب لاهتمام الناس بحفظ القرآن جملة ، أو بحفظ القدر الميسور منه .

٤ – الأجر والثواب الذي يستحقه القارىء والحافظ بقراءة القرآن وحفظه : هذه أهم العوامل التي تبعث على حفظ القرآن والإحتفاظ به ، وقد كان المسلمون

يهتمون بشأن القرآن ، ويحتفظون به أكثر من اهتمامهم بأنفسهم ، وبما يهمهم من مال وأولاد . وقد ورد أن بعض النساء جمعت جميع القرآن . أخرج ابن سعد في الطبقات : « أنبأنا الفضل بن دكين ، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، قال : حدثتني جدتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، وكان رسول الله — ص — يزورها ، ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن ، ان رسول الله — ص — حين غزا بدراً ، قالت له : أتأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وامرّض مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة ؟ قال: إن الله مهّد لك شهادة...»[١] وإذا كان هذا حال النساء في جمع القرآن فكيف يكون حال الرجال ؟ وقد عدّ من حفاظ القرآن على عهد رسول الله — ص — جمّ غفير . قال القرطبي : « قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي — ص — ببئر معونة مثل هذا العدد »[٢] .

وقد تقدم في الرواية «العاشرة» أنه قتل من القراء يوم اليمامة أربعمائة رجل على أن شدة اهتمام النبي ﷺ بالقرآن ، وقد كان له كتّاب عديدون ، ولا سيما أن القرآن نزل نجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة ، كل هذا يورث لنا القطع بأن النبي ﷺ كان قد أمر بكتابة القرآن على عهده . روى زيد بن ثابت ، قال : « كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع » . قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » وفيه الدليل الواضح: أن القرآن إنما جمع على عهد رسول الله[٣] .

وأما حفظ بعض سور القرآن أو بعض السورة فقد كان منتشراً جداً، وشذ

---

(١) الاتقان ـ النوع ٢٠ ج ١ ص ١٢٥ .

(٢) الاتقان ـ النوع ٢٠ ص ١٢٢ ، وقال القرطبي في تفسيره ج ١ ص ٥٦ : وقتل منهم « القراء » في ذلك اليوم « يوم اليمامة » فيما قيل سبعمائة .

(٣) المستدرك ج ٢ ص ٦١١ .

أن يخلو من ذلك رجل أو امرأة من المسلمين . روى عبادة بن الصامت قال :

« كان رسول الله ﷺ يشغل ، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منّا يعلمه القرآن » (١)

وروى كليب ، قال :

« كنت مع علي عليه السلام فسمع ضجتهم في المسجد يقرأون القرآن ، فقال : طوبى لهؤلاء ... » (٢) .

وعن عبادة بن الصامت أيضاً :

« كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن ، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا » (٣) .

نعم إن حفظ القرآن ولو ببعضه كان رائجاً بين الرجال والنساء من المسلمين ، حتى أن المسلمة قد تجعل مهرها تعليم سورة من القرآن أو أكثر (٤) ومع هذا الإهتمام كله كيف يمكن أن يقال : إن جمع القرآن قد تأخر إلى زمان خلافة أبي بكر ، وإن أبا بكر احتاج في جمع القرآن إلى شاهدين يشهدان أنهما سمعا ذلك من رسول الله ﷺ .

---

(١) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٢٤ .
(٢) كنز العمال . فضائل القرآن الطبعة الثانية ج ٢ ص ١٨٥ .
(٣) مناهل العرفان ص ٣٢٤ .
(٤) رواه الشيخان ، وأبو داود والترمذي ، والنسائي . التاج . ج ٢ ص ٣٣٢ .

٥ – مخالفة أحاديث الجمع للاجماع :

إن هذه الروايات مخالفة لما أجمع عليه المسلمون قاطبة من أن القرآن لا طريق لإثباته إلا التواتر ، فإنها تقول : إن إثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين ، أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل شهادتين ، وعلى هذا فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضاً ، وهل يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك ؟ ولست أدري كيف يجتمع القول بصحة هذه الروايات التي تدل على ثبوت القرآن بالبينة ، مع القول بأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواتراً سبباً للقطع بكذب هذه الروايات أجمع ؟ ومن الغريب أن بعضهم كابن حجر فسر الشاهدين في الروايات بالكتابة والحفظ [١] .

وفي ظني أن الذي حمله على ارتكاب هذا التفسير هو ما ذكرناه من لزوم التواتر في القرآن . وعلى كل حال فهذا التفسير واضح الفساد من جهات :

أما ، أولاً : فلمخالفته صريح تلك الروايات في جمع القرآن ، وقد سمعتها .

وأما ، ثانياً : فلأن هذا التفسير يلزمه أنهم لم يكتبوا ما ثبت أنه من القرآن بالتواتر ، إذا لم يكن مكتوباً عند أحد ، ومعنى ذلك أنهم أسقطوا من القرآن ما ثبت بالتواتر أنه من القران .

وأما ، ثالثاً : فلأن الكتابة والحفظ لا يحتاج اليهما إذا كان ما تراد كتابته متواتراً ، وهما لا يثبتان كونه من القرآن ، إذا لم يكن متواتراً . وعلى كل حال فلا فائدة في جعلهما شرطاً في جمع القرآن .

وعلى الجملة لا بد من طرح هذه الروايات ، لأنها تدل على ثبوت القرآن بغير التواتر ، وقد ثبت بطلان ذلك بإجماع المسلمين .

---

(١) الاتقان - النوع ١٨ ص ١٠٠

٦ – أحاديث الجمع والتحريف بالزيادة !

إن هذه الروايات لو صحت ، وأمكن الإستدلال بها على التحريف من جهة النقص ، لكان اللازم على المستدل أن يقول بالتحريف من جهة الزيادة في القرآن أيضاً ، لأن كيفية الجمع المذكورة تستلزم ذلك ، ولا يمكن له أن يعتذر عن ذلك بأن حد الإعجاز في بلاغة القرآن يمنع من الزيادة عليه ، فلا تقاس الزيادة على النقيصة ، وذلك لأن الإعجاز في بلاغة القرآن وإن كان يمنع عن الإتيان بمثل سورة من سوره ، ولكنه لا يمنع من الزيادة عليه بكلمة أو بكلمتين ، بل ولا بآية كاملة ، ولا سيما إذا كانت قصيرة ، ولولا هذا الإحتمال لم تكن حاجة إلى شهادة شاهدين ، كما في روايات الجمع المتقدمة ، فإن الآية التي يأتي بها الرجل تثبت نفسها أنها من القرآن أو من غيره . وإذن فلا مناص للقائل بالتحريف من القول بالزيادة أيضاً وهو خلاف إجماع المسلمين .

وخلاصة ما تقدم ، أن إسناد جمع القرآن إلى الخلفاء أمر موهوم ، مخالف للكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والعقل ، فلا يمكن القائل بالتحريف أن يستدل به على دعواه ، ولو سلمنا أن جامع القرآن هو أبو بكر في أيام خلافته ، فلا ينبغي الشك في أن كيفية الجمع المذكورة في الروايات المتقدمة مكذوبة ، وأن جمع القرآن كان مستنداً إلى التواتر بين المسلمين ، غاية الأمر أن الجامع قد دوّن في المصحف ما كان محفوظاً في الصدور على نحو التواتر .

نعم لا شك أن عثمان قد جمع القرآن في زمانه ، لا بمعنى أنه جمع الآيات والسور في مصحف ، بل بمعنى أنه جمع المسلمين على قراءة إمام واحد ، وأحرق

المصاحف الأخرى التي تخالف ذلك المصحف ، وكتب إلى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها ، ونهى المسلمين عن الإختلاف في القراءة ، وقد صرح بهذا كثير من أعلام أهل السنة .

قال الحارث المحاسبي : « المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان ، وليس كذلك ، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد ، على اختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والأنصار ، لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات ، فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التي أُنزل بها القرآن ... »[1] .

أقول : أما أن عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة ، وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين ، والتي تلقوها بالتواتر عن النبي ﷺ وأنه منع عن القراءات الأخرى المبتنية على أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف ، التي تقدم توضيح بطلانها . أما هذا العمل من عثمان فلم ينتقده عليه أحد من المسلمين ، وذلك لأن الإختلاف في القراءة كان يؤدي إلى الإختلاف بين المسلمين ، وتمزيق صفوفهم ، وتفريق وحدتهم ، بل كان يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضاً . وقد مرّ – فيما تقدم – بعض الروايات الدالّة على أن النبي ﷺ منع عن الإختلاف في القرآن ، ولكن الأمر الذي انتقد عليه هو إحراقه لبقية المصاحف ، وأمره أهالى الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف ، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين ، حتى سموّه بحرّاق المصاحف .

---

(١) الاتقان ـ النوع ١٨ ج ١ ص ١٠٣ .

النتيجة :

ومما ذكرناه : قد تبين للقارىء أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو من ألجأه إليه يجب القول به . والحب يعمي ويصم ، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته .

بحوث قرآنية

البسملة

مفتاح الحمد والرحمنة

البسملة تيجان السور

الامام الصادق «ع»

اصدار

مكتبة چهلستون العامة

تأليف

عبد الحسين محمد علي بقال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد الرسول الأمين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد، فهذه حياة، وهي دائرة سنين وشهور وأيام، وفي كل عام لنا شهر، هو شهر الله، «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».

هذا الشهر، الذي قيل في جملة ما قيل فيه: «ربيع القرآن».

والقرآن سيدي الكريم، في نفحاته ورحماته، سور وآيات.

ولكن، لمطلع كل سورة آية، وهي في مفهومها لدى الجميع واحدة، وفي مصاديق عطاءاتها عند كل واحدة متجددة؛ أعني بها: البسملة، التي فضل بها نبينا محمد، صلى الله عليه وآله.

وبالمناسبة، فإني أشكر لسماحة الشيخ حسن سعيد دام ظله، ومن عليه بالصحة والعافية، حيث طلب إليّ أن أساهم في رحاب القرآن الكريم.

وإنه لمنة منه تعالى، أن أكون ممن يحظى بشرف الكتابة عن القرآن، وفي مثل هذا الشهر المبارك، وكان أن اخترت البسملة بداية الحديث.

فلنعش سويعات معها، وعسى أن يأتي يوم تكون فيه ميداناً للتأمل وتوحيد الكلمة، فالله المستعان، وهو الرحمن الرحيم، أرحم الراحمين.

التمهيد

-١-

البسملة، هي المنطلق الأول في تنفيذ كل بداية رائدة. والنمط الأكمل لكل بلاغة هادفة. والمثال القدوة في استقبال كل عطاء إلهي.

هي الخلاصة بمعطيات كل سورة سورة. والعنوان الجامع المانع لما فيها من آيات ومهام، مع أنها في الوقت نفسه تمثل سورة داخل سورة - إن جاز مثل هذا التعبير - كما هو الحال في رسالة سليمان «ع»... «ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين»، وتمثل آية داخل آية، كما هو الحال في «الرحمن الرحيم»، من سورة الحمد.

-٢-

وبالتالي، فالبسملة بلحاظ وجودها مطلعاً لسورة من جهة، وبلحاظ تكرارها في كل السور من جهة ثانية، ثم بلحاظ كونها آية ضمن آيات في سورة واحدة من جهة ثالثة:

أجل، هي هنا وهناك، تكرار ولا تكرار، وهي في الجميع معجز، على حدٍ سواء.

والأمر في تصويره، أشبه ما يكون - وأنت العالم - بمجموعة من العمارات، لكل منها تخطيطه الهندسي المتميز، وغايته المرسومة المنشودة، وبصرف النظر عن المساحة والارتفاع وطبيعة

المحتوى ومستواه، وما يراد منه وله.

هذا، مع العلم بأنّ الجميع عبارات.

-٣-

بلى، هي معجزة، سواء في سبكها على تلك الرّحمة من اللّبنات، أم في تغنيها بهذا الترتيب من الحركات والسّكنات، أم ترتيلها على هذه الشاكلة المتفنّنة من الحروف والكلمات، واختزانها من البلاغة مقوّمات ومقوّمات.

وفي عقيدتي، أنّ القولَ في عظمة وعظم، كونها الآية الكريمة الأولى، لأوّل تنزيل عزيز، وسرّ جعلها مطلع قراءة تاريخ الخلق، في: «اقرأ باسم ربّك الذي خلق»

وإنسانه بالخصوص، في: «خلق الإنسان من علق»

وربوبيّة خالقه جلّ وعلا، في: «وربك الأكرم»

ووسيلة القلم، في: «الذي علّم بالقلم»

وطريق العلم، في «علّم الإنسان ما لم يعلم»

القولُ عن هذه مجتمعة، بما لها من أسرار في قاموس الحياة ورحاب الكون، في قانونيّتها وجاذبيّتها وعلوّ آفاقها...

نعم، لما ينتهي بعد...

- ٤ -

في مبدئي، انه لما ينتهي الحديث عنها بعد، ولا اتصور انه سيقف يوماً عند حد، مادام هناك كون موجود، وفلك يدور، وارض عامرة، وإنسان يتحرك، وقرآن يقرأ، وسنة تتبع.

ومادام هناك إنسان يحيا، وعقل يستجلي، وخلق يسمو، ووجدان يحترم، ولسان يبين، وسلوك يتزن.

ثم، مادام هناك دعاة يدعون، وقادة يصدقون، وناس يمتثلون، ودعاة إلى وحدة الله يدعون.

هذا، إذا كنا نؤمن: انا لله، وإنا إليه راجعون؟

المبحث الأول

في: فضل البسملة

كثيرة هي الأحاديث الشريفة، التي قد تعرّضت لبيان فضيلة التسمية، كتلك التي وَرَدت في تفسيري: الدرّ المنثور للسيوطيّ، والبرهان للبحرانيّ، والقرآن الكريم في أحاديث[1]، ومنها:

١- قالَ البرقيّ في ثواب ما جاء في: «بسم الله الرحمن الرحيم».

«عنه، عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن علي بن يوسف، عن هارون بن الخطّاب التميميّ، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال:

ما نزلَ كتابٌ من السماء إلاّ أوّله «بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

٢- وعن العسكريّ «ع» قالَ:

قالَ رسولُ الله: فُضّلتُ ببسم الله الرحمن الرحيم»[3].

٣- عن سليمان الجعفريّ، سأل رجلٌ الامامَ الرّضا علي بن

---

(١) ينظر: القرآن الكريم في أحاديث - جمع جعفر الهادي -: ص ١٥٣-١٥٥

(٢) المحاسن: ص ٤٠، وينظر: بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٥٨

(٣) ينظر: تفسير الامام العسكري «ع»: ص ٨٢

موسى «ع» : . . .

أيّ آيةٍ أعظمُ في كتابِ الله ؟

فقالَ عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم[1]

٤- ورُوي عن النبيّ «ص» انّه قالَ : كلُّ كلامٍ أو أمرٍ ذي بالٍ لم يُفتح بذكرِ الله عزّ وجلّ فهو أبتر ، أو قالَ : أقطع.[2]

٥- ورُوي عن أمير المؤمنين «ع» عن رسولِ الله «ص» عن الله عزّ وجلّ : كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لم يُذكر فيه بسم الله فهو أبتر.[3]

٦- وقالَ رسولُ الله «صلّى الله عليه وآله وسلّم» :

« مَن حزَنَهُ أمرٌ فقاطه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ وهو يُخلصُ لله ، ويُقبلُ عليه بقلبه إليه ، لم ينفكّ عن إحدى اثنتين :

إمّا بلوغ حاجته الدنيويّة

وإمّا ما يُعدّ له ويدّخر له ، وما عند الله خيرٌ وأبقى للمؤمنين »[4].

---

(١) يُنظر : تفسير العيّاشي : ج١ ص١٠ ، والبرهان : ج١ ص ٢٧ برقم ٥ .

(٢) مسند أحمد : ج٢ ص ٣٥٩ ، ويُنظر : تفسير الكشاف : ١/٤

(٣) بحار الأنوار : ج١٦ ب ٥٨ ، و ج١٩ ص٦٠ ، ومسائل فقهية : ص٥٠

(٤) بحار الأنوار : ج ٩٢ ص ٢٤٥

٧- وقالَ رسولُ اللهِ «صلّى اللهُ عليهِ وآله»:

إذا قالَ المعلّمُ للصبيّ: قل «بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم»؛ فقالَ الصبيُّ: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم»، كَتَبَ اللهُ براءةً للصبيّ، وبراءةً لأبويه، وبراءةً للمعلّم[1].

٨- وقالَ «صلّى اللهُ عليه وآله» أيضاً:

«إذا قالَ العبدُ عندَ منامِهِ: «بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم» يقولُ اللهُ: ملائكتي، اكتبوا نَفَسَهُ إلى الصباح»[2].

٩- وقد سُئِلَ «صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ»: هل يأكلُ الشيطانُ مع الإنسان؟

فقالَ «ص»: نَعَم؛ كُلُّ مائدةٍ لم يُذكَرِ فيها بسمُ اللهِ، يأكلُ معها الشيطان، ويرفعُ اللهُ البركةَ عنها[3].

١٠- وعن جعفرِ بنِ محمّدٍ الصادقِ «ع» قال:

«افتحوا أبوابَ الطّاعةِ بالتسمية»[4].

---

(١) ينظر: مجمع البيان: ج١ ص ١٨، والبرهان: ج١ ص ٣٤

(٢) بحار الأنوار: ج٩٢ ص ٢٥٨

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه: ج٩٢ ص ٢١٦

١١- وقالَ الإمامُ الرضا عليُّ بنُ موسى «عليه السلام»:

إنَّ «بسم الله الرحمن الرحيم» أقربُ إلى اسمِ اللهِ الأعظم من سوادِ العينِ إلى بياضِها»[1].

١٢- ورَوَى وكيعٌ عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد اللهِ ابن مسعود قال:

مَن أرادَ أن يُنجيَهُ اللهُ من الزبانية التسعةَ عَشَرَ، فليقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»، ليجعلَ اللهُ تعالى له بكلِّ حرفٍ منها جُنَّةً من كلِّ واحد.

فالبسملةُ تسعةَ عَشَرَ حرفاً، على عددِ ملائكةِ أهلِ النار، الذينَ قالَ فيهم: «عليها تسعةَ عَشَرَ»؛ وهم يقولون في كلِّ أفعالهم: «بسم الله الرحمن الرحيم»؛ فمِن هُنالكَ هي قوَّتُهم، وبسمِ اللهِ استَضلَعوا[2].

١٣- ... عن صفوان الجمّال قالَ: قالَ أبو عبد الله «ع»:

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج ٢، ص ٥؛ وينظر: البرهان: ج ١ ص ٤١ رقم ٢، و ٩، ج ١ ص ٤٠ رقم ٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ١ ص ٩٢؛ وينظر: البرهان: ج ١ ص ٤٣ رقم ٨.

ما أنزل الله كتاباً إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم»، وإنما كان يعرف انقضاء السورة بنزول «بسم الله الرحمن الرحيم»، ابتداء للأخرى»[11].

١٤- وقال القرطبي: روي عن جعفر الصادق «رضي الله عنه» انه قال:

البسملة تيجان السور[12]

١٥- ... عن أبي جعفر «عليه السلام» قال:

كان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، ويرفع صوته بها، فإذا سمع المشركون ولّوا مدبرين، فأنزل الله: «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده، ولّوا على أدبارهم نفوراً»[13].

١٦- وقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إذا أمرّ المؤمن على الصراط، فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم، طفئت لهب النار، تقول: جز يا مؤمن، فإن نورك قد طفأ لهبي[14].

---

(11) البرهان: ج١ ص٤٢ رقم ١٦

(12) الجامع لأحكام القرآن: م١، ج١ ص٩٢

(13) البرهان: ج١ ص٤٢ رقم ١٧ (14) المصدر نفسه: ج١ ص٤٣ رقم ٣١.

المبحث الثاني

في : صيغ البسملة

حيث قد وردت أقوال عدّة ، في مفردات البسملة ، وكيفية صياغتها ، في كونها وضعت أساساً تامّة ، أم أنها تدرّجت على مراحل حتى صارت إلى ما هي عليه ، من : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

الأوّل : الصيغة التامّة

وأعني بها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، بكلماتها الخمس ، وحروفها التسعة عشر .

وهي الصيغة الإسلاميّة القرآنيّة الرسالية ، المنقولة عن أئمّة أهل البيت « عليهم السلام » ، حَمَلة علم النبيّ « صلى الله عليه وآله » ، عدل الكتاب ، وواحد رئي الثقلين .

وعن كلّ من أخذ عنهم من العلماء ، السائرين على دربهم .

لذلك ، هي الصيغة التي نادى بها ، عدّة من غير الإماميّين ، ممّن أسندوا عن رسول الله « ص » ، وعلى وفق الشروط المعتبرة لديهم ، كما سنرى بعد .

الثاني : الصيغ المتطوّرة

وهي التي يتعرّف عليها من خلال النصوص التالية :

قالَ الحلبيّ: «كان أهل الجاهليّة يكتبون: باسمِكَ اللهمّ، فكتبَ النبيُّ أوّلَ ما كتبَ: «باسمِكَ اللهمّ»، وكتبَ ذلك في أربع كتب.

ثم نزلت: «باسمِ اللهِ مجراها»[1]، فكتبَ أوّلَ ما كتبَ: بسمِ اللهِ.

ثم نزلت: «ادعوا اللهَ أو ادعوا الرحمانَ»[2]، فكتبَ: بسمِ اللهِ الرحمنِ.

ثم نزلت: «إنّه من سليمانَ وإنّه بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ»[3]، فكتبَها[4].

---

(١) سورة هود، آية: ٤١

(٢) سورة الإسراء، آية: ١١٠

(٣) سورة النمل، آية: ٣٠

(٤) السيرة الحلبيّة: ج ٣ ص ٣٠، وينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١ ص ٢٦٣، وكنز العمال: ج ٥ ص ٢٤٢، والتنبيه والاشراف: ص ٢٥٥، والعقد الفريد: ج ٣ ص ٤. هذا، وقد نقلَ المحدّث القمّيّ «ره» في سفينة البحار في مادة «سما»: «... عن الصادق «ع»...»، وكانوا قبل الإسلام يُصدّرون كتبهم باسمِكَ اللهمّ، فلما نزلَ قوله تعالى: إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم، صدّروا بها؛ وينظر: مكاتيب الرسول - طبعة ١٣٧٩هـ: ص ٢-٤.

-٢-

وقال القرطبيّ: روى الشعبي والأعمش: انّ رسولَ الله «صلّى الله عليه وسلّم»، لمّا كان يكتب: «باسمك اللهمّ»، حتى أمِرَ أن يكتب «بسم الله»، فكتبها.

فلما نزلت: «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن»، كتب «بسم الله الرحمن».

فلمّا نزلت: «إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم»، كتبها.

وفي مصنّف أبي داوود، قال الشعبيّ وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمارة: انّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لم يكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»، حتى نزلت سورة «النمل»[1].

-٣-

وأخرجَ السيوطيّ في آية المباهلة، عن دلائل النبوّة للبيهقي: انه «صلّى الله عليه وآله»، كتبَ إلى أهل نجران - قبل أن تنزل سورة «طس سليمان» -: «بسم إله ابراهيم»[2].

---

(١) الجامع لاحكام القرآن: ج١٢ ح١ ص٩٠

(٢) الدرّ المنثور: ج٢ ص٣٨، وينظر: البداية والنهاية: ج٥ ص٥٣، وتاريخ اليعقوبيّ: ج٢ ص٦٥، وزاد المعاد لابن القيم: ج٣ ص٣٩، ومكاتيب الرسول: ص٤، ١٧٥

-٤-

وأورد اليعقوبي نصاً آخر بقوله: «... بسم الله من محمد رسول الله»[1].

الثالث: الرأي المختار

-١-

طبعاً، الرأي ينحصر في الصيغة التامة، التي أرادها وجاء بها الإسلام، وبلغها لنا رسول الأنام، ورووها عنه «صلى الله عليه وآله»، الأئمة من آل بيته الكرام، ثم الفقهاء الجامعين للشرائط من حملة القرآن.

-٢-

ضف إلى ذلك ضعف الأدلة - إن لم نقل ببطلانها - والنصوص التي سيقت بهذا الصدد، لبيان أن البسملة لم ترد رحمانية، وبرفقة واحدة؛ وإنما صارت إليها على مراحل، وبصورة تدريجية تطورية.

-٣-

بل، إن ذلك أيضاً يتعارض وتاريخ تشريع عمود الدين، أعني: الصلاة، والذي أقيم علناً مزامناً لمبدأ البعثة المباركة، وجماعة من محمد «صلى الله عليه وآله» اماماً، وعلي وخديجة عليهما السلام» مؤتمين.

[1] تاريخ اليعقوبي: ج، ص ٦٥

الصلاة، التي تمثل فاتحة الكتاب أس الأساس في سورها، كما أن البسملة هي الأخرى تحتل أول آية في سباعي آيها.

-٤-

وبهذه المناسبة، لم يبارك مواقف التلاقي التقي، الذي أقام تلك الصلاة الجماعية علانية، أعني: محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخديجة أم المؤمنين «ع»، وعلي زوج سيدة نساء العالمين «ع»؟!

ولم لا نتذكر قولة أبي طالب المدوية: «صل جناح ابن عمك»، تلك التي تدل في جملة ما تدل عليه، على إيمانه، ومدى رسوخ عقيدته.

-٥-

ثم، مالنا نذهب بعيداً

وماذا يعني اعتراض سهيل بن عمرو، ممثل قريش، على بني الرحمة، عميد المسلمين، في صلح الحديبية، حينما كتب كاتبه أمير المؤمنين «بسم الله الرحمن الرحيم»

نعم، فاعترض قائلاً: لا نعرف الرحمن، بل اكتب كما كنت تكتب أولاً: باسمك اللهم[1].

---

[1] ينظر: تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٤١

هذا ويعجبني هنا أن أنقل رَدَّ ومناقشةَ الباحثِ الجليل الأحمدي حيث يقول:

« هذا ما أثبتته أقلام القاطع الأعلام، فلا بدَّ لهم أن يلتزموا بأنَّ البسملة لم تنزل إلا في سورة طس سليمان، أو أنها نزلت قبل ذلك، ولكنَّ النبيَّ لم يستنَّ في افتتاح كتبه بها بكتاب الله، إلا بعد أن نزل القرآن بأنَّ سليمان «ع» كتبه، فعلم حينئذٍ أنَّ افتتاح المكتوب بالبسملة لسائر الأمور العظام والصغار مندوبٌ إليه، فكتبها بعد ذلك.

ونحن نسائلهم ونقول: أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي منذ بُعث بالرسالة؟ ويقرأ فيها الفاتحة وفيها «بسم الله الرحمن الرحيم» بنقل الفريقين؟

أو ما صحَّ عندهم أنَّ افتتاح سورةٍ، وافتتاح أخرى، كان يُعلَم بنزول البسملة؟

أو ما بلغهم قولُ أبي عبد الله الصادق «ع»: ما نزل كتابٌ من السماء إلا أوله «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

أجل، نزلت البسملة في أول كل سورة، وكان رسول الله

«صلى الله عليه وآله» يقرؤها كل يوم وليلة، في كل صلاة وعليه، فليس لأحد أن يقول: إن البسملة نزلت في «طس»، ولم تنزل قبلها.

كما أن ما قاله الحلبي: «وهذا السياق يدل على تأخر نزول الفاتحة عن هذه الآيات، لأن البسملة نزلت أولها»، بلا ريب واضح البطلان بذلك، لأن البسملة كانت في أول كل سورة، وأن رسول الله يقرأ الفاتحة في صلواته قبل أن تنزل «طس».

أما إذا قالوا: إن البسملة نزلت في جميع السور، ولكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يفتتح كتبه بها، إلا بعد نزول «طس»، لما مر آنفاً؟ فلسائل أن يسألهم ويقول: لم بدل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسمك اللهم، وكتب بسم الله بعد نزول سورة هود؟ ولم كتب «بسم الله الرحمن» بعد نزول سورة الإسراء، ولم تنزل سورة طس بعد على ما نقلوه؟ وهل هذا إلا الاستهتار بما نزل عليه من الله سبحانه، مع أن البسملة نزلت قبل ذلك كله. فهلا استن بها؟ ولست أدري وجهاً لهذه المنقولات المأثورة، إلا أن يكون سهواً من أقلامهم، والذي يتضح للمتدبر: هو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان مستناً بسنة الله في افتتاح جميع أموره، وكتبه،

ومراسلاته بالبسملة فحسب.

أمّا ما نقل عنه «صلّى الله عليه وآله» من الكتب، وليس فيها البسملة؛ فمن آفات الرواة، وتلخيص الناقلين.

وأمّا ما أخرجه السيوطيّ من كتابه «صلّى الله عليه وآله» لأهل نجران، فسيأتي الكلام عليه في ذكر وفد نجران؛ مع أنّ المنقول في جمهرة الرسائل ج١ ص٧٦ عن صبح الأعشى ج٦ ص٣٨٠ و٣٨١ هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم إلى ابراهيم الخ؛ وأضف إلى ما ذكرنا ما سيأتي، أنّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله»، كتب للداريّين بمكّة، سنة خمس أو ستّ من البعثة، أو قبلها؛ وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم»[1].

ثم قال أيضاً: لم أجد إلى الآن الكتب الاربعة، التي ذكر الحلبيّ أنّ رسول الله «صلّى الله عليه وآله» كتب فيها باسمك اللهمّ، فإنّه أحالها هنا على ما تقدّم من السيرة، ونحن تصفّحنا السيرة، فلم نجد فيها إلّا ما ذكره هنا مجملاً.

ولوضح ما قيل، أما ما ذا في وسع سهيل بن عمرو، في غزوة حديبية، حين أنكر كتابة «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

---

[1] ينظر: مكاتيب الرسول «ص»: ص٤-٦ «بتصرف»

أما كان في وسع سُهيل هذا أن يقول: اكتب باسمك اللهم، كما كنت من ذي قبل؟

بينما نجد سُهيلاً لم يزد على أن قال: اكتب كما يكتب آباؤك باسمك اللهم.[1]

بلى، وهل كلمة "الرحمن"، هي الباعث الخفي وراء موقف الخليفة معاوية بن أبي سفيان، في اسقاطه البسملة من صلاته.

وإذا كانت "الرحمن" رمزاً وعلامة للتوحيد، مقابل الجهل والشرك الذي أسقطها من حسابه

فهل هي عند ابن أبي سفيان، تعني شيئاً من هذا القبيل، وقولة أبو سفيان تدوي في الأسماع: تلاقفوها يا بني أمية...؟!

---

[1] ينظر: مكاتيب الرسول «ص»: ص ٦

المبحث الثاني

في: قرآنية البسملة

وهنا أيضاً ومع الأسف، فقد تعددت الآراء حول قرآنية البسملة وعدمها، مع أنه ما كان ينبغي للمسلمين إلا أن تتحد كلمتهم فيها، حتى صاروا جراء ذلك إلى طوائف ومذاهب، ويمكن حصر تلك الآراء في:

أولاً: كونها لا قرآنية

-١-

ومِمَّن ذهب إلى أنها لا قرآنية

بعض: أنها ليست بآية، لا من الفاتحة ولا من غيرها

ذهب إلى ذلك مالك، وابن العربي، والقرطبي، وغيرهم[1].

-٢-

وأولاء يرون: أنها إنما يؤتى بها، من أجل أن تكون فاصلة بين السور فقط

وقيل: تبرّكاً بها، كما قد اتفقت الأمة على كتبها، في أوائل الكتب والرسائل[2].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: م١ جـ١ ص٩٣، و٩٦

(٢) ينظر: المصدر نفسه: م١ جـ١ ص٩٥، وتفسير الآلوسي: جـ١ ص٣٩، والمغني للقاضي عبد الجبار: جـ٧ ص١٦١

-٣-

هذا وقد أورد القرطبي الأدلة ، التي استدل بها نفاة كون البسملة آية ، وهي مجملة كما يلي :

أ - روي عن جعفر الصادق «رضي الله عنه» ، أنه قال: البسملة تجان السور .

قلت : وهذا يدل على أنها ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها.[1]

٢- ان طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر ، فكل ما وقع النزاع في ثبوته ، فهو ليس من القرآن ، والبسملة مما وقع النزاع فيه.[2]

نعم ، الفيصل ، ان القرآن لا يثبت بالظن والاستدلال ، وإنما يثبت بالنقل المتواتر القطعي الاضطراري.[3]

٣- والأخبار الصحاح التي لا مطعن فيها ، دالة على ان البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها ، إلا في النمل وحدها.[4]

-٤-

وأقول: بتعبير «تجان السور» ، هل يفهم منه ما ذكره القرطبي ، أم ان هذا التعبير ، إنما يبين عظم موقعها ؛ وانه التاج الذي يقود كل سورة تسورة ويجمل ما يرد فيها من مهام وآيات ؛ كالرأس بالنسبة لسائر الجسد .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١ جـ ١ ص ٩٢ (٣) الجامع لأحكام القرآن: ١ جـ ١ ص ٩٢

(٢) البيان في تفسير القرآن: ص ٤٧٥ (٤) المصدر نفسه: ص ٩٤

كيف ؟! وانّ الروايات عنه «عليه السلام»، بقرآنيّة البسملة، أشهرُ من نارٍ على عَلَم، ومنها:

١- ... كتموا «بسم الله الرحمن الرحيم»، فبئسَ - والله - الأسماءَ كتموها ...»[1]

٢- ... عن أبي حمزة، عن أبي جعفر «ع» قال: سرقوا آيةً من آيٍ في كتاب الله «بسم الله الرحمن الرحيم»[2].

٣- ... عن خالد بن المختار قال: سمعتُ جعفر بن محمد «ع» يقول: مالهم قاتلهم الله، عمَدوا إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا انها بدعة إذا أظهروها، وهي: «بسم الله الرحمن الرحيم»[3].

- ٥ -

وأمّا بالنسبة للتواتر، وادّعاء عدم وقوعه، فهو قد حصلَ، وإن كانت السياسة لعبت دوراً مهمّاً في التغييم عليه، حتى وصل الأمرُ إلى نفيه. السياسة التي تبنّاها سيّدنا معاوية، ومَن جاراه في سرقة

---

(١) ينظر: مكاتيب الرسول: ص٤

(٢) البرهان: ج١، ص٤٢ رقم ١٥

(٣) نفس المصدر: ج١، ص٤٢ رقم ٢٤

للبسملة أو نسيانها أو تناسيها ؛ حتى صار حدثاً تاريخياً كما ذكر ذلك وغيره ، مكّن البعض من ادّعاء عدم التواتر ، وبالتالي تحويل الرواية إلى مرتبة الخبر الواحد .

ولعلّ مناقشة الأخبار النافية لقرآنية البسملة ، سنداً ومتناً وزمن رواياتها ، وما يوجد لها من معارض ، أو امكانية الجمع ... فالاستقراء الشامل المحايد ، للنصوص بهذا الصدد كافة ، وخاصة تلك الواردة عن أئمة أهل البيت « عليهم السلام » .

أقول : بالتأكيد سوف يعيد للتواتر ، على صعيد العالم الإسلامي عامة ، حقيقته ورونقه وبهاءه .

- ٦ -

وبالمناسبة ، فجميل أن ننقل هنا كلاماً للحجة المفقيه المفسّر الخوئي حيث يقول :

« ... انّ كون البسملة من القرآن ، مما تواتر عن أهل البيت عليهم السلام ، ولا فرق في التواتر ، بين أن يكون عن النبي « ص » ، وبين أن يكون عن أهل بيته الطاهرين ، بعد أن ثبت وجوب اتباعهم .

وثانياً : انّ ذهاب شرذمة إلى عدم كون البسملة من القرآن ، لشبهة ، لا يضرّ بالتواتر ، مع شهادة جمع كثير من الصحابة

بكونها من القرآن، ودلالة الروايات المتواترة عليه معنىً

وثالثاً: انه قد تواتر أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم، قرأ البسملة حينما يقرأ سورة من القرآن وهو في مقام البيان، ولم يبيّن انها ليست منه، وهذا يدلّ دلالةً قطعيّةً على أنّ البسملة من القرآن.

نعم، لا يثبت بهذا انها جزءٌ من السورة، ويكفي لاثباته ما تقدّم من الروايات، فضلاً عمّا سواها من الأخبار الكثيرة المرويّة من الطريقين

والجزئيّة تثبت بخبر الواحد الصحيح، ولا دليل على لزوم التواتر فيها»[1].

-٧-

وأمّا بخصوص ما ذهب اليه القرطبيّ، ومن قال بقوله: «الأخبار الصحاح التي لا مطعن فيها، دالّة على انّ البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها، إلا في النمل وحدها»[2]

فالجواب يتلخّص فيما أسلفت، من وجوب الدراسة الشاملة، ثم في كون تلك النافية معارضة بروايات أخر، منقولة عن نفس

---

(١) البيان: ص ٤٧٥-٤٧٦

(٢) الجامع لاحكام القرآن: ١: ١ ص ٩٤

نفاتها، كما هو المحال فيما نقل عن مالك مثلاً"[1].

هذا بالاضافة إلى ما سوف نسوقه بعد، من دليل الاعجاز العددي، في خاتمة المطاف.

ثانياً: كونها قرآنية

-١-

وهنا تعددت الآراء إلى

أ- قائل بانها فاتحية، وردت آية في الفاتحة بالخصوص.

ب- قائل بانها خاتمية، وردت آية في سورة النمل خاصة.

ج- قائل بانها سورية، وردت آية في مطلع كل سورة سورة.

-٢-

أ- هذا، وممن ذهب إلى قرآنية البسملة الامامية الاثنا عشرية كافة، بل اتفقت الشيعة الامامية لهم، على ان البسملة آية من كل سورة بدئت بها، فضلاً عن تلك التي جاءت بين آيها[2].

---

[1] ينظر: صحيح مسلم: ٢/٦٠، وسنن أبي داود: ١/١٢٥، ١٣٠، وسنن النسائي: ١/١٤٤، ومستدرك الحاكم: ١/٥٦٥، وصحيح الترمذي: ١١/٣٠، وكنز العمال: ١/٥١٦، ٥٢٥، وتيسير الوصول: ١/١٩٩، والجامع لاحكام القرآن: ١/٢١، ص ٩٦، والبيان: ٤٧٦-٤٧٨.

[2] ينظر: البيان: ص ٤٦٧، والكافي: ٣/٨٦، والتهذيب: ١/١٥٣، ٥١٨، والاستبصار: ١/٣١١، والوسائل: ١/٣٥٢

وذهب إليه ابن عباس، وابن المبارك، وأهل مكة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم، والكسائي، وغيرهما ما سوى حمزة.

وذهب إليه أيضاً غالب أصحاب الشافعي[1]، وجزم به قراء مكة والكوفة[2].

وحكي هذا القول عن: ابن عمر، وابن الزبير، وأبي هريرة، وعطاء، وطاوس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وأحمد ابن حنبل -في رواية عنه-، وإسحاق بن راهويه، وأبو عبيد القاسم بن سلام[3].

وعن البيهقي: نقل هذا القول عن: الثوري، ومحمد بن كعب[4].

واختاره الرازي في تفسيره؛ ونسبه إلى قراء مكة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز، وإلى ابن المبارك والثوري[5].

ولذا أورده الزمخشري في تفسيره قائلاً: «... وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف، مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك

---

(1) ينظر: تفسير الآلوسي: ج١ ص٣٩

(2) ينظر: تفسير الشوكاني: ج١ ص٧

(3) ينظر: تفسير ابن كثير: ج١ ص١٦،

(4) ينظر: تفسير الخازن: ج١ ص١٣

(5) ينظر: الاتقان = النوع ٢٢ - ٢٧ =: ج١ ص١٣٥، ١٣٦

لم يثبتوا «آمين»، فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها». وعن ابن عباس: «من تركها، فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى».[1]

واختاره أيضاً جلال الدين السيوطي، مدّعياً تواتر الروايات الدالّة عليه معنىً.[2]

٢- وقال بعض الشافعيّة وحمزة: «إنها آية من فاتحة الكتاب خاصّة، دون غيرها»، ونُسِبَ ذلك إلى أحمد بن حنبل، كما نُسِبَ إليه القولُ الأوّل.[3]

كما رُوِيَ عن مالك ابن نافع: ابتداء القراءة بها في الصلاة، الفرض والنفل، ولا تُترَك لحال.

ومن أهل المدينة مَن يقول: إنّه لابدّ فيها من «بسم الله الرحمن الرحيم»، منهم: ابن عمر، وابن شهاب، وبه قال: الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وأبو عُبيد.[4]

٣- وقال الحسن: لم تنزل «بسم الله الرحمن الرحيم» في شيء من القرآن، إلّا في «طس»، «إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم».[5]

---

(١) تفسير الكشّاف: ج١ ص١

(٢) يُنظر: الإتقان، النوع ٢٢-٢٧ = : ج١ ص ١٣٦

(٣) يُنظر: تفسير الآلوسي: ج١ ص ٣٩، والفقه على المذاهب الأربعة: ١/٢٥٧

(٤) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: م١ ج١ ص٩٦ (٥) يُنظر: المصدر نفسه: ج١ ص٩٥

-٣-

أمّا الأدلّة - وقد سبق أن أتينا عليها، فقد حدّدها الفقيه الزنجاني الحنفي بأربعة هي :

١- أحاديث أهل البيت

٢- أحاديث أهل السنة

٣- سيرة المسلمين

٤- مصاحف التابعين والصحابة [١]

-٤-

قال دام ظلّه : لقد استقرت سيرة المسلمين على قراءة البسملة في أوائل السور، عدا سورة براءة ؛ وثبت بالتواتر، أنّ رسول الله «ص» كان يقرؤها، ولو لم تكن من القرآن، لكان لزاماً على الرسول الأكرم «ص» أن يصرّح بذلك، فإنّ قراءته - وهو في مقام البيان - ظاهرة، في أنّ جميع ما يقرأ قرآن، ولو لم يكن بعض ما يقرأ قرآناً، ثمّ لم يصرّح بذلك، لكان ذلك منه إغراء بالجهل، وهو قبيح، وفي ما يرجع إلى الوحي الإلهي أشدّ قبحاً، ولو صرّح الرسول «ص» بذلك، لنقل إلينا بالتواتر، مع أنّه لم ينقل حتى بالآحاد [٢].

---

[١] ينظر : البيان في تفسير القرآن : ٢٦٨- ٢٧٥

[٢] ينظر : المصدر نفسه : ص ٢٧٤

وأقول : نعم ، هي السيرة الربانية ، التي ما أحوجنا إليها اليوم قدوة واقتداء .

السيرة الإيمانية ، التي دفعت بالمسلمين ، إلى أن يعترضوا على معاوية « رضي الله عنه » ، وباسمه المجرد دون أي لقب تكريم ، مستنكرين منه فعلته تلك ، في عدم ذكر البسملة في صلاته . . .

بل ، وكان منهم ، بتلك اللهجة الحاسمة الصارمة ، المتحدية الكبيرة الوقح ، والأعلى موقع في السلطة ، حيث كان يومها معاوية خليفة للمسلمين .

فقد روى البيهقي ، بإسناده عن أنس بن مالك أنه قال :

« صلى معاوية بالمدينة صلاة ، فجهر فيها بالقراءة ، فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » ، لأم القرآن ، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها ، حتى قضى تلك القراءة ، ولم يكبر حين يهوي ، حتى قضى تلك الصلاة فلما سلم ، ناداه من شهد ذلك من المهاجرين ، من كل مكان :

يا معاوية ، أسرقت الصلاة أم نسيت ؟

فلما صلى بعد ذلك ، قرأ « بسم الله الرحمن الرحيم » ، للسورة التي بعد أم القرآن ، وكبر حين يهوي ساجداً »

ورواها بطريق آخر، غير أنّه قال: فلم يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»، لأمّ القرآن، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها، وزاد «الأنصار»[1].

ورواها الحاكم أيضاً، وقال: حديث صحيح، على شرط مسلم[2].

كما أخرجها الشافعي في المسند[3].

-٦-

وأخيراً، فقد قال السيّد أبو القاسم الخوئي، في دليل مصاحف التابعين والصحابة ما نصّه:

«ممّا لا ريب فيه، أنّ مصاحف التابعين والصحابة - فلو جمع عثمان وبعده - كانت مشتملة على البسملة، ولو لم تكن من القرآن، لما أثبتوها في مصاحفهم.

فإنّ الصحابة منعت أن يدرج في المصحف، ما ليس من القرآن، حتى أنّ بعض المتقدمين، منعوا عن تنقيط المصحف

---

(١) ينظر: سنن البيهقي: ج٢، ص٤٩.

(٢) ينظر: مستدرك الحاكم: ج١، ص٣٣٢.

(٣) ينظر: ترتيب المسند: ج١، ص٨٠.

وهنا يجدر التنويه، بأنّ الحجة السيد شرف الدين، قد أتى على أدلتها وحججها، بما يليق ويناسب، في كتابه: مسائل فقهية: ص١٨-٢٩.

وتشكيله، فاثبات البسملة في مصاحفهم، شهادة منهم بأنها من القرآن، كسائر الآيات المتكررة فيه.

وما ذكرناه، يبطل احتمال ان إثباتهم إياها كان للفصل بين السور، ويبطل هذه الدعوى ايضاً، اثبات البسملة في سورة الفاتحة، وعدم اثباتها في أول سورة براءة، ولو كانت للفصل بين السور، لأثبتت في الثانية، ولم تثبت في الاولى؛ وذلك يدلنا قطعاً، على ان البسملة آية منزلة في الفاتحة دون سورة براءة»[1].

-٧-

وبالمناسبة اقول: هل من تنافٍ بين كون البسملة آية، وكونها تخدم غرض الفصل بين السور ومعرفة نهاية كل منها؟

ثم، هل هناك تنافٍ بين اثباتها في كل السور عدا براءة، وكونها تخدم غرض الفصل بين السور، وانها إنما حذفت من براءة لعلة[2]؟

علماً، بأن لنا حديثاً يروى عن الصادق «ع»، ينص على مثل هذا الغرض[3].

---

(١) البيان: ص ٤٧٥ (٢) ينظر: لطائف الاشارات للقشيري: ١: ٢٠

(٣) ينظر: البرهان: ج ١ ص ٤٠ رقم ١٦

المبحث الثالث
في : تفسير البسملة

رحم الله أبا الحسن بهذا الرجل - باب مدينة العلم - الذي سبق وجوده زمنه ، ما أفقهه في آيات القرآن ، وما أروعه في إحاطة تفسيره البيان .

رحم الله ابن أبي طالب ، وهو الذي تربّى في رحاب الرسالة وارتوى من ينابيع معارفها .

أنظر اليه ، حين جاءه اليه ابن عباس حبر الأمة ، ليسأله عن تفسير القرآن

أنظر إليه ، موعداً إياه بالليل

« فلما حضر ، قال : ما أول القرآن ؟ قال : الفاتحة

قال : وما أول الفاتحة ؟ قال : بسم الله

قال : وما بسم الله ؟ قال : بسم

قال : وما أول بسم ؟ قال : الباء

فجعل عليه السلام يتكلم في الباء ، طول الليل ، فلما قرب الفجر قال : لو زادنا الليل لزدنا . »[1]

---

[1] البرهان : ١ / ص ٢ - ٣

نعم، أمّا وقد وَصَلَت النوبة إلى هذا الحدّ، فنحن هنا سنستعرض بعض ما قيل في تفسير هذه الآية الكريمة الأمّ، من خلال العناوين التاليين:

أولاً: التفسير الروائي

ممثّلاً في الروايات التالية:

أ- «... عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «ع»

قال: سألته عن تفسير «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ قال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مَدّ الله، والله: إله كلّ شيء، والرحمن: بجميع خلقه، والرحيم: بالمؤمنين خاصّة»[1].

ب- «... عن أبي عبد الله «ع» أنّه سُئِلَ عن بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم: مَدّ الله.

قال: قلت: الله؟

قال: الألف: آلاء الله على خلقه، من النعيم بولايتنا، واللام: إلزام الله خلقه ولايتنا.

---

(1) البرهان: ج1، ص43-44 رقم 1، وينظر: ج1، ص44 رقم 2.

قلتُ: فالهاء؟

قالَ: هَوانٌ لِمَن خالفَ محمّداً وآلَ محمّدٍ صلواتُ اللهِ عليهم أجمعين.

قلتُ: الرحمٰن؟

قال: لجميع العالَم.

قلتُ: الرَّحيمُ؟

قالَ: بالمؤمنين خاصّة»[1].

٣- «... عن علي بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، قال: سألتُ الرضا علي بن موسى «ع»: عن «بسم الله».

قالَ: معنى قول القائل: «بسم»: أي: أسِمُ على نفسي سِمَةً مِن سِمات الله، وهي العبادةُ.

قال: فقلتُ له: وما السِمَة؟ قال: العلامة»[2].

٤- «... عن الحسن بن علي بن محمّد «ع»: في قول الله عزّ وجلّ: «بسم الله الرحمٰن الرحيم»؟!

فقالَ: هو الله الذي يتألّه إليه - عندَ الحوائج والشدائد - كلُّ مخلوق، عند انقطاع الرجاء عَن كلِّ ما هو دونَهُ، وتقطّع الأسبابُ مِن جميع مَن سواه، تقولُ: باسم الله، أي: استعينُ على أموري

---

[1] البرهان: ١، ص٤٤ رقم ٦

كُلِّها بالله، الذي لا تحقُّ العبادةُ إلّا له، والمغيثُ إذا استُغيثَ، والمجيبُ إذا دُعي.

وهو ما قالَ رجلٌ للصادق: يا ابنَ رسولِ الله، دُلَّني على اللهِ ما هو؟ فقد أكثرَ عليَّ المجادلون وحيَّروني؟

فقالَ له: يا عبدَ الله، هل ركبتَ سفينةً قطّ؟ قالَ: نعم. فقالَ: هل كُسِرَت بكَ حيثُ لا سفينةَ تُنجيكَ، ولا سباحةَ تُغنيكَ؟ قالَ: نعم.

قالَ الصادقُ «عليه السلام»: فهل تعلَّقَ قلبُكَ هنالكَ، أنَّ شيئاً من الأشياءِ، قادرٌ على أن يُخلِّصَكَ من ورطتِكَ؟ قالَ: نعم.

قالَ الصادقُ «عليه السلام»: فذاكَ الشيءُ هو اللهُ القادرُ على الإنجاءِ حيثُ لا منجي، وعلى الإغاثةِ حيثُ لا مغيثَ.

ثم قالَ الصادقُ «عليه السلام»: ولربَّما تركَ بعضُ شيعتِنا في افتتاحِ أمرِه، «بسم الله الرحمن الرحيم»، فيمتحنُهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بمكروهٍ، لينبِّهَهُ اللهُ على شكرِ اللهِ تباركَ وتعالى، والثناءِ عليه، ويحثَّ عنه وصمةَ تقصيرِه عندَ تركِهِ قولَه: «بسم الله الرحمن الرحيم».

قالَ: وقامَ رجلٌ إلى عليِّ بنِ الحسين «ع»، فقالَ: أخبرني ما معنى: «بسم الله الرحمن الرحيم»؟

فقال علي بن الحسين: حدثني أبي، عن أخيه الحسن، عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن رجلاً قام اليه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ ما معناه؟

فقال: إن قول الله، أعظم اسم من اسماء الله عزّ وجلّ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله، ولم يتسمّ به مخلوق.

فقال الرجل: فما تفسير قول الله؟ قال: هو الذي يتألّه اليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق، عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه، وتقطّع الأسباب من كلّ ما سواه.

وذلك بأنّ كلّ متأنّس في هذه الدنيا، ومتعظّم فيها وإن عظم غناه وطغيانه، ولذّ حوائج من دونه اليه، فانّهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها، فينقطع الى الله حين ضرورته وفاقته، حتّى إذا لقي همّه، عاد الى شركه.

أما تسمع الله عزّ وجلّ يقول: «قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء، وتنسون ما تشركون»

فقال الله عزّ وجلّ لعباده: أيّها الفقراء الى رحمتي، اني قد ألزمتكم الحاجة اليّ في كلّ حال، وذلّة العبودية في كلّ وقت، فاليّ فافزعوا في كلّ أمر تأخذون، وترجون تمامه، وبلوغ غايته، فاني

إن أردت أن أعطيكم، لم يقدر غيري على اعطائكم، فأنا أحق من يسأل وأولى من تضرع اليه.

فقولوا عند افتتاح كل أمر - صغير أو عظيم -:

« بسم الله الرحمن الرحيم »

أي: استعين على هذا الأمر بالذي له الحق العبادة لخلقه، الإله المجيب إذا دعا، المغيث إذا استغيث، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق عليه، الرحيم بنا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين، وجعله سهلاً خفيفاً، وهو يرحمنا بتيسيرنا من أعدائه.

ثم قال: قال رسول الله: من حزنه أمر وتعاطاه، فقال: « بسم الله الرحمن الرحيم »، وهو مخلص لله، ويقبل بقلبه اليه، لم يغد من إحدى اثنتين:

إما بلوغ حاجته في الدنيا

وإما يعد له عند ربه، ويدخر له، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين »[1]

٥ - قال القرطبي: « روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال:

---

[1] البرهان: م ١، ص ٤٤ - ٤٥

في قوله «بسم الله»: إنه شفاءٌ من كلِّ داء، وعونٌ على كلِّ دَواء؛ وأمّا «الرحمن»، فهو عونٌ لكلِّ مَن آمَنَ به، وهو اسمٌ لم يُسَمَّ به غيرُه، وأمّا «الرحيم»، فهو لِمَن تابَ وآمَنَ وعمِلَ صالحاً.

وقد فسَّره بعضهم على الحروف، فرُوي عن عثمان بن عفّان أنه سألَ رسولَ الله «صلى الله عليه وسلّم»: عن تفسير

«بسم الله الرحمن الرحيم»

فقال: أمّا الباء، فبلاء الله وروحه ونضرته وبهاؤه؛ وأمّا السين، فسناء الله؛ وأمّا الميم، فملك الله؛ وأمّا الله، فلا إله غيرُه؛ وأمّا الرحمن، فالعاطف على البَرِّ والفاجر من خَلقه؛ وأمّا الرَّحيم، فالرفيق بالمؤمنين خاصّة.

ورُوي عن كعب الأحبار أنه قال: الباء، بهاؤه، والسين سناؤه، فلا شيءَ أعلى منه، والميم ملكه وهو على كلِّ شيءٍ قدير فلا شيءَ يعازّه.

وقد قيلَ: إنّ لكلِّ حرفٍ هو افتتاحُ اسمٍ من أسمائه، فالباء، مفتاحُ اسمه بصير، والسين مفتاح اسمه سميع، والميم مفتاح اسمه مجيد، والالف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه حليم، والنون مفتاح اسمه نور، ومعنى هذا كلّه دعاء الله تعالى عند افتتاح كلِّ شيءٍ[1]

---

(1) الجامع لأحكام القرآن: م١ ج١ ص١٠٧

ثانياً: التفسير البياني

ونحن نورد هنا النموذجين فقط، وإلا، فالبسملة في كل موضع وردت فيه من القرآن، لها خصوصيتها، ولها تفسيرها الخاص بها[1]، مع أنها تشترك جميعاً - فيما تشترك به - لونها تأتي في مطالع السور بتهانا لها.

لذا، كل تفسير من تفاسيرنا المعتبرة - وما أكثرها - تجدها في كل موضع تعرّضت فيه للبسملة، تجدها ذات نكهة يوجُ عطرها في بيانِ العظمة القرآنية والآفاق البلاغية...

١. مع السيد قطب

قال رحمه الله:

«والبدء باسم الله، هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في أول ما نزل من القرآن باتفاق، وهو قوله تعالى: «اقرأ باسم ربك...»..، وهو الذي يتفق مع قاعدة التصور الإسلامي الكبرى: من أن الله «هو الأول والآخر والظاهر والباطن»..، فهو سبحانه الموجود الحق، الذي يستمد منه كل موجود وجوده، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه؛ فباسمه إذن يكون كل ابتداء، وباسمه إذن تكون كل حركة وكل اتجاه.

ووصفه - سبحانه - في البدء بالرحمان الرحيم، يستغرق

[1] ينظر: لطائف الإشارات: ج١ ص ٣٨

كل معاني الرحمة وحالاتها.. ، وهو المختص وحده باجتماع هاتين الصفتين ، كما انه المختص وحده بصفة الرحمان . فمن الجائز أن يوصف عبد من عباده بانه رحيم ، ولكن من الممتنع من الناحية الايمانية أن يوصف عبد من عباده بانه رحمان ، ومن باب أولى أن تجتمع له الصفتان .

ومما يختلف في معنى الصفتين ، أيتهما تدل على مدى أوسع من الرحمة ، فهذا الاختلاف ليس مما يعنينا تقصيه في هذه الظلال ، إنما نخلص منه الى استغراق هاتين الصفتين بحقيقتين ، لكل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها .

وإذا كان البدء باسم الله ، وما ينطوي عليه من توحيد لله وأدب معه ، يمثل الكلية الاولى في التصور الاسلامي .. ، فان استغراق معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها ، في صفتي « الرحمان الرحيم » ، يمثل الكلية الثانية في هذا التصور ، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله والعباد »[1] .

ب . مع السيد الخوئي

قال دام ظله :

« قد عرفت ان هيئة فعيل تدل على ان المبدأ فيها ، من الغرائز

---

[1] في ظلال القرآن : ج ١ ص ١٤

والسجايا غير المنفكة عن الذات، وبذلك تظهر نكتة تأخير كلمة: «الرحيم» عن كلمة: «الرحمن».

فإن هيئة «الرحمن»، تدل على عموم الرحمة وسعتها، ولا دلالة لها على أنها لازمة للذات، فأتت كلمة: «الرحيم» بعدها للدلالة على هذا المعنى.

وقد اقتضت بلاغة القرآن، أن تشير إلى كلا الهدفين، في هذه الآية المباركة، فالله رحمن قد وسعت رحمته كل شيء، وهو رحيم لا تنفك عنه الرحمة.

وقد خفي الأمر على جملة من المفسرين، فتخيلوا أن كلمة: «الرحمن» أوسع معنى من كلمة: «الرحيم»، بتوهم أن زيادة المباني تدل على زيادة المعاني.

وهذا التعليل ينبغي أن يعد من المضحكات، فإن دلالة الألفاظ، تتبع كيفية وضعها، ولا صلة لها بكثرة الحروف وقلتها.

ورب لفظ قليل الحروف كثير المعنى، وبخلافه لفظ آخر، فكلمة حذر تدل على المبالغة، دون كلمة حاذر، وإن كثيراً ما يلون الفعل المجرد والمزيد فيه بمعنى واحد، كضر وأضر»[1].

وأقول: يبدو أن قاعدة «زيادة المباني»، تبقى هي الأساس، وبالتالي ما عداها هي الاستثناء، والذي تليه ضرورات ثانوية، كيف والسيد نفسه يقول: «ورب لفظ...»!!...

---

(1) البيان في تفسير القرآن: ص ٤٢٦

الخاتمة

سيدي القارئ الكريم

سيدي، أما ونحن قد صرنا إلى خاتمة، ولا خاتمة مأمونة إلا بانتهاج خاتمة الأديان.

دعنا نودّع ما نحن فيه، بمثل هذه الفقرات التالية:

- ١ -

قال قطب «رد»:

«وانتهيت من فترة الحياة - في ظلال القرآن - إلى يقين جازم حاسم.. انه لا صلاح لهذه الأرض، ولا راحة لهذه البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة.. إلا بالرجوع إلى الله.

والرجوع إلى الله - كما يتجلى في ظلال القرآن - له صورة واحدة وطريق واحد.. واحد لا سواه.. انه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم.. انه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها، والتحاكم إليه وحده في شؤونها، وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس، والارتكاس في الجاهلية، الجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله.. فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين»...

إن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه، ليس نافلة ولا تطوعاً ولا موضع اختيار، إنما هو الإيمان .. أو .. فلا إيمان .. « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .. « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين » ..

والأمر إذن جد .. إنه أمر العقيدة من أساسها .. ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها .. »[1].

-٢-

ونقول: ربما يتصور البعض أن هناك تعارضاً بين: حديث « ما نزل كتاب من السماء إلا أوله بسم الله الرحمن الرحيم »، وحديث « فضلت بلبسم الله الرحمن الرحيم ».

وفي الجواب نقول: إن الأمر لا يعدو كونه من قبيل ما نقله القرطبي، وهو: « روى ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء، كان الله إذا بعث نبياً قال ادعني استجب لك، وقال لهذه الأمة ادعوني استجب لكم، وكان الله إذا بعث النبي

---

[1] في ظلال القرآن: ج ١ ص ٨

قالَ لَهُ: ما جعلَ عليكَ في الدينِ من حَرَجٍ، وقالَ لهذهِ الأمةِ ما جعلَ عليكم في الدينِ من حَرَجٍ؛ وكانَ اللهُ إذا بعثَ النبيَّ جعلَهُ شهيداً على قومِهِ، وجعلَ هذهِ الأمةَ شهداءَ على الناسِ".[1]

-٣-

وأخيراً، فلنختتم هذهِ السويعاتِ المباركةَ التي قضيناها مع آيةٍ قرآنيةٍ تاجيةٍ، لنرى ماذا تقولُ عنها لغةُ الأرقامِ والحاسباتِ الالكترونيةِ.

يقولُ الدكتورُ بشيرُ الزكيُّ عن القرآنِ: ... انَّ آياتهُ وكلماتهُ وحروفهُ كلها متناسقةٌ متناسبةٌ منظَّمةٌ، حسبَ قانونٍ عدديٍّ محكَمٍ، رغمَ طولِ مدةِ نزولهِ، وهي ٢٣ سنةً.[2]

فإذا اعتبرنا: «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ»، فهي تحتوي على تسعةَ عشرَ حرفاً، وكلُّ كلمةٍ من هذهِ الآياتِ مكررةٌ في القرآنِ عددَ مرّاتٍ من مكرراتِ ١٩.

اسم: ١٩ مرّةً، أي ١×١٩؛ الله: ٢٦٩٨ مرّةً، أي ١٤٢×١٩؛

الرحمان: ٥٧ مرّةً، أي ٣×١٩؛ الرحيم: ١١٤ مرّةً، أي ٦×١٩ ...[3]

وأقولُ: نفسُ البسملةِ، بجملةِ كلماتها مجتمعةً، تكررتْ في القرآنِ ١١٤ مرّةً، أي ٦×١٩ ...؛ فسبحانهُ جلّتْ قدرتهُ، وهو وليُّ التوفيقِ.

---

(١) الجامع لاحكام القرآن: م١ ج٢ ص ٣٠٩

(٢) لله العلم: ص ٨٨؛ وينظر: الاعجاز العددي للنوفل: ج٣ ص ١٧٣

(٣) لله العلم: ص ٩٣؛ وينظر: مجمع البيان الحديث: ص ٢٤، ٩٥٦-٩٥٨ والاعجاز العددي: ج١ ص ١٨٠-٤٨-

E7261

بشرى سارة

بحمد الله ومنه فقد وفقت مكتبتنا في افتتاح جناحها الخاص بالقرآن الكريم في عيد الغدير الأغر سنة ١٤٠٣ هـ وهي تأمل أيضاً أن يستمر ذلك احتفالاً سنوياً وعلى صعيد عالمي. مع إعادة طبع نسخ ثمينة منه وإخراجها إلى محبي الفرقان بمناسبة موالد المعصومين من أهل البيت عليهم السلام. والله الموفق.

مولد النبی الاعظم (ص)
وحفیده الام الصادق (ع)

قدشعت انوارالنبوة، وعمت خیرات عترة الرسول، الامین، فبذالك انهارت صروح الشرك والنفاق.

لذا یجب علی کل مؤمن، ان یتعاهدالقرآن فی کل آن و زمان و بالقسط، فیعیشوا عیشة راضیة مرضیة، ذالك ان القرآن الکریم دستور الهی لمن اتبعه، ومتکفل لسعادة المجتمع البشری فی حیاته المادیة والمعنویة.

لذا یجب علی کل مؤمن، ان یتعاهدالقرآن فی کل آن و زمان و مکان حتی یعرف الحق فی مجالاته المختلفه.

وهاهی خزانة القرآنالکریم (گنجینهٔ قرآن کریم) تضم فی جعبتها ما استفاده المسلمون منذصدر الاسلام وحتی الان، من کتابه العزیز فیما یطبع منه دائرة معارف القرآن الکریم، کی تسهل مراجعته لاهل التحقیق والتدقیق.

علماً بانه صدر منها حتی الان، المجلد الاول والثانی و الثالث باللغة الفارسیة، بمناسبة عیدالغدیر الاغر کماصدر المجلد الاول منها ایضاً، بلغة القرآن فی میلاد رسولالاسلام صلیالله علیه وآله وحفیده الامام الصادق «علیهالسلام».

ونحن بذالك نرجومن ولیالامر بقیةالله فیالارضین، ان یتقبل مناهذه الخدمة المتواضعه، لتکون لناذخرا ولوالدینا و لمن ساهم ویساهم فی بلوغ هذاالهدف السامی.

و اخیراً، فنحن کلنا امل، من ارباب التحقیق والسادة العلماء والمفکرین، ان یساهموا معنا فی اداء هذه المهمة، فیرشدونا الی ماهوالاصلح فی نشر الحق وازالة الباطل، انه ولی التوفیق.

قیمت ۱۵۰۰ ریال

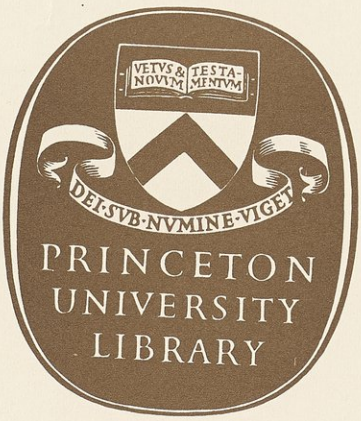

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JAN-MAR 1997
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 057484899